عبد الله بن سبأ

وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام

تأليف
سليمان بن حمد العود

دار طيبة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤١٢هـ

شكــر وتنــويــه

لا أنسى وهذا الكتاب يخرج في هذه الصورة أن أتقدم بالشكر لكل من ساهم في اخراجه، وفي المقدمة جامعة الإمام ممثلة بكلية العلوم الاجتماعية، والمشرف الأول على الرسالة الدكتور محمد فتحي عثمان الذي كان له جهود لا تنكر في وضع مخطط هذا الكتاب، ومتابعة التوجيه بعد ذلك، وبعد أن حالت ظروفه عن المواصلة، أكمل التوجيه بعده الدكتور سيد رضوان علي فلكليهما مني الشكر والتقدير.

كما أتقدم بالشكر أيضا لكل من ساهم برأيه وخبرته ــ وهم كثير ــ في إخراج هذا الكتاب في صورته الأخيرة.

كما لا يفوتني التنويه بأن هذه الآراء التي أودعت في الكتاب لا تعدو أن تكون رأي بشر فهي عرضة للخطأ، وحسبي أنني اجتهدت فيها ما وسعني الجهد، ولديّ الاستعداد لقبول أي ملاحظة تبلغ بالكتاب غايته، وللقارىء الذي يتقدم بشيء من هذه التوجيهات مني الشكر مقدماً ومن الله المثوبة.

أسأله تعالى أن يجعل أعمالنا لوجه الله خالصة وأن تكون لنا ذخراً يوم نلقاه..

المؤلف

هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى « الماجستير » من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض وقد تكونت لجنة المناقشة من :

١ ــ الأستاذ الدكتور : سيد رضوان علي، الاستاذ بالكلية والمشرف على الرسالة ــ رئيساً

٢ ــ الأستاذ الدكتور : إبراهيم علي شعوط، الأستاذ بجامعة أم القرى ــ عضواً

٣ ــ الأستاذ الدكتور : علي حسني الخربوطلي، الأستاذ بالكلية ــ عضواً

ومنح صاحبها درجة الماجستير بتقدير ممتاز، وذلك في ١٤٠٢/٧/٢٤ هـ

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد فقد أثار انتشار الاسلام في أيامه الأولى، وامتداد الفتوح الاسلامية شرقا وغربا حفيظة اعداء هذا الدين، وراموا كيده والنيل من المسلمين وكانت وسيلتهم في البداية مجابهة المسلمين في ميادين القتال، ولكن خطتهم تلك باءت بالفشل يوم أن ردت جحافل المرتدين ثم توالت الضربات في (القادسية) و (ونهاوند) و (اليرموك) الخ...

فرأوا أن كيد الاسلام على الحيلة أنجع، فبدأوا يحكمون مخططاتهم في الخفاء... وكان استشهاد الخليفة عمر رضي الله عنه نتيجة هذا التخطيط الماكر...

ثم أعقب ذلك الفتنة التي انتهت باستشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه، وكانت فتنة هوجاء، فاقت في ضراوتها ما كان قبلها، فالخليفة لا يقتل في (الغلس) كما كان الأمر مع عمر رضي الله عنه، وانما يقتل الخليفة في وضح النهار، وفوق ذلك يمسك الثوار بزمام المدينة ويتولون أمرها خمسة أيام.

ثم تعصف الفتنة بالمسلمين مرة أخرى، وتبلغ الفتنة غايتها في معركتي (الجمل) و (صفين) وأخيرا يستشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما استشهد الخليفتان قبله !

وموضوع البحث (عبد الله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام) يتناول معظم هذه الأحداث... وهي ــ ولا شك ــ أحداث غامضة تحتاج الى عناء، والبحث فيها شائك يحتاج الى المزيد من التأمل والتروى قبل اصدار الحكم...

على أن الموضوع تناولته الأقلام من شتى المشارب، فالمستشرقون لم يزهدوا في البحث فيه بل كان مغنما تسابقوا الى اقتسامه، فاستغل بعضهم تلك الأحداث للطعن في

الاسلام او النيل من أعراض الصحابة الكرام[1] وتبع أولئك تلامذتهم من المستغربين الذين أبعدوا النجعة في تحليلاتهم لتلك الأحداث، يضاف الى هؤلاء وأولئك طائفة من الشيعة المحدثين لبسوا لبوس البحث العلمي حتى يقنعوا الناس بنتائج أبحاثهم !

ازاء هذا ــ ونظرا لقلة[2] الكتابة الاسلامية الحديثة عن تلك الفترة أحسست بالحاجة الى الكتابة في هذا الموضوع ــ على الرغم من صعوبته.

ولكي تتضح الصورة، وحتى يعلم طرف من الصعوبة في الموضوع أشير الى النقاط الآتية :

١ ــ الموضوع الأساسي للبحث (عبد الله بن سبأ) شخصيته اسطورة عند بعض الباحثين ! وما أصعب البحث عن شخصية تعتبر من نسج الخيال لدى بعض الباحثين، وأسطورة في عداد الأساطير عند آخرين.
واذا كان ذلك صعبا فأصعب منه البحث عن آثار تلك الشخصية التي لا بد أن يكون الغموض فيها أحد العوامل التي ساقت الى انكارها، أو التشكيك فيها على الأقل.

٢ ــ وحتى لو تجاوزنا هذه العقبة واجهتنا عقبة أخرى، ألا وهي صعوبة البحث في أحداث يشكل طرفي النزاع فيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه من جهة، وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم من جهة أخرى !

٣ ــ يضاف الى ذلك حاجة البحث الى نقد النصوص، وخاصة عن طريق (الجرح والتعديل) وهو علم عزيز الفائدة فعن طريقه نتبين صحيح الأخبار من سقيمها، ولكنه صعب المنال لغير المختصين فيه...

---

(١) يقول المستشرق «فلهوزن» عن علي : « فالثورة التي أتت بعلي الى الخلافة ثم تتعاون معه حينما ضل الطريق » (الخوارج والشيعة ص ٣٩) ويقول عن معاوية « ... ان عليا ان طوعا وان كرها قد عقد ميثاقاً مع الشيطان (أعني معاوية).. » (المرجع نفسه ص ٤٠)

(٢) أمثال تعليقات الخطيب على كتاب العواصم من القواصم، وكتابة محمد الصادق عرجون عن عثمان « الخليفة المفترى عليه » وكتابة العش عن الفتنة في صدر كتابه « الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من خلافة عثمان ».

ان الأمر الذي لا بد أن يعيه الباحثون في التاريخ الاسلامي كله وخاصة تلك الفترة المبكرة من تاريخنا ــ ان الحقائق الناصعة فيه تحتاج الى استخراجها من الأنقاض... أنقاض الأوهام والمفتريات، وأنقاض الأهواء والعصبيات تلك التي اختلقها المختلقون والوضاعون من بين الرواة، وهؤلاء ليسوا قلة حتى احتاجوا من العلماء الى تصانيف خاصة بهم كالمجروحين، والمتروكين والضعفاء[1]... ونحو ذلك ــ

ولماذا لا يظهر أثر أصحاب الأهواء في كثير من النصوص والغالبية من تلك النصوص انما دوّنت بعد نشأة أصحاب الأهواء والفرق، ومعلوم أن من عوامل الكذب دعوة أصحاب البدع والأهواء الناسَ الى بدعتهم[2].

ان دراسة التاريخ بهذا اللون شاقة وعسيرة، ولكنها أمر لا بد منه، ونتائجها في الأخير تذهب بكل عناء، وقبل ذلك، وأشد من ذلك معايشة تلك الأحداث... أجل لقد كان أول من تجرع مرارة الفتنة التي وقعت في صدر الاسلام، وتحمل مشاقها النفر الذين عايشوها، فهذا عثمان رضي الله عنه يحاصر في داره أربعين ليلة، وبعد أن تمضي منها ثماني عشرة ليلة يمنع عنه المحاصرون كل شيء حتى الماء فيناديهم : « ألا تتقون الله ! ألا تعلمون أن في الدار غيرى... »[3] وهو القائل : « ... ووالله ان رحا الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها... »[4].

وهذا علي رضي الله عنه حينما اشتد القتال يوم الجمل ورأى الرؤوس تندر أخذ ابنه الحسن وضمه الى صدره ثم قال : « انا لله يا حسن أي خير يرجى بعد هذا ؟ »[5].

ويقول طلحة رضي الله عنه : « بينما نحن يد واحدة على من سوانا اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا »[6].

---

(١) مثل كتاب المجروحين.. لابن حبان التميمي، والضعفاء والمتروكين : للنسائي والمغني في الضعفاء للذهبي.
(٢) ابن حبان : المجروحين ج ١/٨١
(٣) تاريخ الطبري ج ٤/٣٨٥
(٤) المصدر نفسه ج ٤/٣٤٣
(٥) الخطابي : العزلة ص ٢٠
(٦) تاريخ الطبري ج ٤/٤٧٦

ويقول الزبير : « ما كان أمر قط الا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر فاني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر ؟ »[1].

ومع ذلك فأمر الله غالب، وهو يحكم ما يشاء ويختار، وفي ذلك مزيد من الدروس لمن اعتبر واذا كنا لا نملك شيئا في التقليل من حجم هذه الأحداث فما أحرانا أن نقدّر ظروف الفتنة، والا نطلق لألسنتنا العنان في النيل من خيار الأمة، لاسيما وبين أيدينا نصوص صحيحة صريحة من القرآن والسنّة، في الترضي عنهم وعدم النيل منهم، منها قوله تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه...** ﴾[2].

وفي صحيح البخارى من حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه** »[3].

ولعله اعتمادا على ذلك رأى بعض السلف عدم التعرض لأحداث الفتنة فقال قائلهم : « تلك دماء طهر الله منها سيوفنا، فلنطهر ألسنتنا عنها... ».

وحقا انه لمنهج سديد، لولا أن الأمر لم يكن سلما من قبل المفترين وأصحاب الأهواء، فأحوج ذلك الى كشف الأهواء وتتبع الأخطاء...

هذا وقد تم تقسيم الموضوع الى خمسة فصول...

يشكل الفصل الأول منها (ظروف المجتمع الاسلامي بعد استشهاد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه) تمهيدا أردت منه عرض ظروف المجتمع الاسلامي بعد استشهاد الخليفة عمر الى اختيار عثمان بن عفان خليفة للمسلمين، مشيرا الى جذور هذا التغير عن طريق رصد حركة الفتوح وأثرها على المجتمع الاسلامي والاشارة الى اليهود وموقفهم من المسلمين بعد انتصار الاسلام، ثم عرجت على استشهاد الخليفة عمر رضي الله عنه وأثره على المسلمين ثم ختمت هذا الفصل بالشورى والنتائج التي تمخضت عنها وأهمها اختيار عثمان بن عفان رضي الله عنه خليفة للمسلمين...

---

(١) المصدر نفسه ج ٤/٤٧٦

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٠

(٣) صحيح البخاري ٤/١٩٥

أما الفصل الثاني : (عبد الله بن سبأ وظهوره بين المسلمين) فقد أفردته لدراسة شخصية عبد الله بن سبأ : أصله، ونشأته، ظهوره بين المسلمين ومحاولات التشكيك في وجوده التاريخي وما ينسب اليه من أعمال، وفيما يخص الأصل والمنشأ أبنت عن ضآلة المعلومات في المصادر التي بين أيدينا، عن هذا الجانب، ومع ذلك جمعت ما استطعت العثور عليه، وتطلب الأمر مني ـــ أحيانا ـــ الى الاستنتاج من خلال النصوص العامة.

أما عن ظهوره بين المسلمين فحاولت تتبع تاريخ ظهوره بين المسلمين وتنقله في بلدان المسلمين، والآثار التي خلفها في كل قطر من أقطار الخلافة التي مرّ بها.

كما شمل هذا الفصل دراسة واسعة عن محاولات التشكيك التي أثيرت حول وجود ابن سبأ. والآثار التي خلفها، وقد عرضت قبل ذلك لما كتبه المتقدمون من أهل السنة والشيعة عن عبد الله بن سبأ، فجمعت نصوصهم، ودرست بعض رواياتهم، الأمر الذي استلزم دراسة الاسناد والحكم على الرواية.

ثم عرّجت على كتابات المستشرقين مستجمعا معظم آرائهم حيال الموضوع وأخيرا جمعت معظم كتابات المحدثين من أهل السنة والشيعة، معلقا على بعضها أحيانا، ومشيرا اليها فقط أحيانا أخرى، ومبينا زيفها وتجاوزها أحيانا ثالثة...

وابتدأت في الفصل الثالث : (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه) أركز الحديث عن آثاره في عهد الخليفة عثمان، مبرزا أهم آثاره في تلك الفترة، وذلك في اذكاء الفتنة، ثم تصاعدها ومقتل الخليفة، وقد توقفت طويلا عند ما نسب الى عثمان من أعمال رأى بعض الناس أنها كانت هي السبب في مقتل عثمان، فدرست المآخذ والاجابة عنها، ثم بينت حجم هذه المآخذ في أحداث الفتنة... كما أشرت الى بوادر الخلاف في أقطار الخلافة وموقف الخليفة من ذلك.

أما الفصل الرابع : (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه) فقد كان الهدف منه ابراز دور عبد الله بن سبأ وأتباعه في معركة (الجمل) وقد سبق ذلك الحديث عن ظروف تولي علي للخلافة، ثم اشتعال الخلاف المؤدي الى خروج عائشة وطلحة والزبير ـــ ومن معهم ـــ الى البصرة... وأخيرا (وقعة الجمل) ورصد التحركات والمؤامرات التي كان يحيكها (ابن سبأ) ومن كان معه لاشعال المعركة بعد أن كاد يتم الصلح بين الطرفين...

وأخيرا درست في الفصل الخامس : (السبئية طائفة واعتقادا) مشيرا الى الآراء في نشأة طائفة السبئية، ومبرزا أهم عقائدهم، كما تناول الفصل تعريفا ببعض السبئية وبيان شيء من آثارهم ومكائدهم للمسلمين...

وختمت الرسالة بابراز أهم النقاط التي تركز الحديث حولها، وتسجيل النتائج التي تم التوصل اليها...

وعلى أية حال وعلى الرغم مما جمعته وكتبته فانني أشعر بين الفينة والفينة أن في هذا العنصر نقصا يحتاج الى تكميل، وفي العنصر الآخر اختصارا يحتاج الى تطويل، وفي ثالث غموض يحتاج الى مزيد ايضاح وتفصيل... ولكن أنّى لي أن أحيط ببحر تتلاطم أمواجه...! ولعل مما يعذرني في ذلك أن كل عنصر من عناصر الموضوع يمكن أن يشكل بذاته موضوعا يستحق الدراسة والتحليل.

مصادر الموضوع :

أكثر المتقدمون من الكتابة عن أحداث الفتنة، وأفرد بعضهم كتبا في (مقتل عثمان) كما فعل أبو مخنف (لوط بن يحيى ــ ١٥٧ هـ.)[١]، وأبو عبيدة (معمر بن المثنى ــ ٢٠٧ هـ)[٢]، وعلي بن المدائني (٢٥٥ هـ.)[٣] وعمر بن شبّه (٢٦٢ هـ.)[٤]، وكتب بعضهم عن (الجمل ومسيرة عائشة وعلي) كما صنع سيف بن عمر التميمي (نحو ١٨٠ هـ.)[٥]، وصنف آخرون عن (الردة والدار) كما فعل محمد بن عمر الواقدي (٢٠٧ هـ.)[٦].

وهذه المصادر وان كانت لم تسلم من عوائد الدهر فلم يبق لدينا منها أي كتاب كما يقول الدكتور العش[٧] فان المؤرخين الذين جاؤوا بعد أولئك حفظوا لنا بعض ما في هذه الكتب، أمثال : البلاذري، والطبري، وابن عساكر... وغيرهم، وسنكتفي هنا بتعريف كتابين من هذه المصادر.

---

(١) ابن النديم، الفهرست ص ١٤٣
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١٣٨/٢
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٥
(٤) المصدر نفسه ص ١٦٩
(٥) المصدر نفسه ص ١٤٣
(٦) المصدر نفسه ص ١٤٠
(٧) الدولة الأموية ص ٢٦

١ ــ تاريخ الطبرى : (تاريخ الرسل والملوك)[١] أو (تاريخ الأمم والملوك)[٢].

وإذا كان مؤلفه غني عن التعريف، فان تاريخه من أوسع المصنفات الموجودة في تاريخ المسلمين، واذا كان الطبري قد ساق تاريخه على طريقة المحدّثين في ذكر الاسناد فقد تعددت مصادره، وشملت أخبار الثقات والمأمونين، والإخباريين العارفين، والشيعة المحترقين والرواة الساقطين ومن هنا احتاج هذا الركام الهائل من المرويات إلى الدراسة والتحقيق ولا سيما في تلك الفترة التي نقوم بدراستها في هذا الكتاب، وهو أمر لم يغفل الطبرى شأنه، بل نبّه على ذلك في مقدمة كتابه فقال : « ...فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وانما أتي من قبل بعض ناقليه الينا، وانا انما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا »[٣].

ولئن كنت قد اعتمدت على هذا المصدر كثيرا، فقد كان أغلب اعتمادي على روايات (سيف بن عمر التميمي) ذلك الراوى الذي نقل الطبرى عنه كثيرا ــ على الرغم من كثرة الحديث حوله، (سيأتي تفصيل القول فيه في فصل لاحق في فصول هذا الكتاب) حتى قال الدكتور جواد علي ــ وهو يكتب عن موارد الطبرى ــ ولا شك أن كتاب (الجمل ومسيرة عائشة وعلي) لسيف بن عمر، هو الكتاب الذي نقل منه الطبرى روايات سيف عن معركة الجمل[٤] ثم علق على ذلك بقوله : « وقد أخذ سيف أخبار هذه المعركة من شهود عيان، ذكرت اسماؤهم في سند الطبرى، فحفظ لنا بذلك صورا أصيلة لأنباء تلك المعركة المؤسفة... »[٥].

٢ ــ تاريخ ابن عساكر (تاريخ مدينة دمشق) ومؤلفه أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي، المعروف بابن عساكر (ت : ٥٧١ هـ.)، وقد كان ابن عساكر ــ عليه رحمة الله ــ من العلماء البارزين في عصره، وقد كان محدث الشام في وقته ورحل

---

(١) كما في معجم الأدباء ج ٦٨/١٨
(٢) كما في تاريخ بغداد ج ١٦٣/٢، كشف الظنون ج ٢٩٧/١

(٣) تاريخ الطبري ٨/١
(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث ــ الجزء الأول ــ ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م) ص ٤٩
(٥) المرجع نفسه ص ٤٩.

في طلب العلم وجاب البلاد والتقى بالعلماء، وصنف التصانيف الكثيرة وكان من بينها كتابه في التاريخ، الذي قيل أنه صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلد[1].

ويصف (المنذري) تاريخ ابن عساكر فيقول : « وقد جرى ذكر هذا التاريخ، وأخرج لي منه مجلدا وطال الحديث في أمره واستعظامه، ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت، والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبّه »[2] ويضيف ابن خلكان : « ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله ؟ وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره، وما صح له هذا الا بعد مسودات ما كاد يضبط حصرها... »[3] وعلى أية حال فاذا كان قد طبع من هذا التاريخ اجزاء يسيرة فهناك الكثير من أجزائه تنتظر التحقيق والاخراج.

واذا كان ابن عساكر يشارك الطبرى في ذكر الخبر مسندا، فقد استفاد مما كتبه الطبرى، وزاد عليه أخبارا لم ترد في تاريخ الطبرى، ولقد استفدت منه في اثبات شخصية (ابن سبأ) عن طريق روايات ساقها لم ترد في تاريخ الطبرى...

وشكلت كتب المقالات والفرق مصدرا من مصادر هذا الموضوع، وبخاصة فيما يتعلق بالسبئية (طائفة واعتقادا)، ومن أبرز هذه الكتب :

مقالات الاسلاميين، لأبي الحسن الأشعرى (٣٣٠ هـ.)، والتنبيه والرد، للملطي (٣٧٧ هـ.) والفرق بين الفرق، للبغدادى (٤٢٩ هـ.)، والفصل في الملل والأهواء والنحل : لأبن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ.)، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين : لأبي المظفر الأسفرايني (٤٧١ هـ.) والمل والنحل : للشهرستاني (٥٤٨ هـ.) الخ...

وتنوعت مصادر الموضوع لتشمل كتب الشيعة الى جانب كتب أهل السنّة وقد استخدمتها ــ كواحد من الأدلة ــ في اثبات وجود ابن سبأ، والرد على بعض الباحثين من

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣/٣١٠

(٢) وفيات الأعيان ج ٣/٣١٠

(٣) المصدر نفسه ج ٣/ ٣١٠

الشيعة المحدثين الذين ينكرون وجود ابن سبأ، ويعتبرونه من نسج خيال أهل السنّة ومن أساطيرهم.

وتشمل هذه المصادر الشيعية الآتي : كتب الفرق وفي مقدمتها كتاب : الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ.) : (مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط فى المقالات)، وكتاب : (المقالات والفرق) : للقمي (٣٠١ هـ)، و (فرق الشيعة) للنوبختي (٣١٠ هـ).

أما القسم الثاني فهي كتب الرجال عند الشيعة، ومنها كتاب (رجال الكشي) (من رجال القرن الرابع الهجري) : وهو كتاب يعتمد الاسناد فيما يذكره، وقد نقلت عنه أكثر من رواية مسندة تؤكد حقيقة ابن سبأ، وكتاب (رجال الطوسي) (٤٦٠ هـ.) وكتاب (الرجال) للحلي (٧٢٦ هـ.) الخ...

أما القسم الثالث فهي كتب الحديث والفقه والأحكام، أمثال : الأصول من الكافي : للكلينى أبو جعفر محمد بن يعقوب (٣٢٨ هـ.) ومنزلة كتاب الكافي عند الشيعة كمنزلة صحيح البخارى عند أهل السنّة، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) لرئيس المحدثين عندهم : أبو جعفر الصدوق بن بابوية القمي (٣٨١ هـ.) الى غير ذلك...

كما تنوعت هذه المصادر لتضم الى جانب الكتب المطبوعة بعض المخطوطات... ومنها رسالة الارجاء لمحمد بن الحسن بن الحنفية، وهي ضمن كتاب الايمان لمحمد ابن يحيى بن أبي عمر العدني تلك التي جاءت الاشارة فيها الى السبئية، وعقيدتهم في القرآن.

كما جاء في مخطوط (الضعفاء) للجوزجانى (٢٥٦ هـ.) طرف من أخبار عبد الله ابن سبأ، وفي تاريخ ابن عساكر (٥٧١ هـ.) (تاريخ مدينة دمشق) لا يزال القسم الخاص بترجمة عبد الله بن سبأ مخطوطا، في الوقت الذي نقلت عنه.

ومثال ذلك يقال عن الوافي بالوفيات الصفدى (٧٦٤ هـ.)، فالجزء الذي نقلت منه (الجزء السابع عشر) كان مخطوطا.

يضاف الى ذلك كله مخطوط (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) للعينى (٨٥٥ هـ.)، والذي يعتبر واحداً من مصادر التاريخ الكبيرة اذ يقع في تسعة عشر مجلدا[1].

---

(١) معجم المؤلفين ج ١٢/١٦٠.

الفصـــــل الأول

ظروف المجتمع الاسلامي بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الفتوح الاسلامية وأثرها على المجتمع الاسلامي.

اليهود وموقفهم من المسلمين بعد انتصار الاسلام.

استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب وأثره على المسلمين.

الشورى لاختيار الخليفة بعد مقتل عمر، والنتائج التي تمخضت عنها.

الفتوح الاسلامية وأثرها على المجتمع الاسلامي

شكل صلح الحديبية (سنة ٦ هـ.) نقطة انطلاق في حركة الفتح الاسلامي... فبعد أن أمن المسلمون جانب المشركين، بدأوا يتطلعون الى شمال الجزيرة العربية، وكانت غزوة خيبر (سنة ٧ هـ.) تلك التي احتك فيها المسلمون باليهود وكاد يتم الجلاء فيها، لولا أن الرسول ﷺ صالحهم وقال: « **أقركم ما أقركم الله** »[١].

وكذلك تم للمسلمين اخضاع فدك، ووادى القرى، وتيما، بعضها فتحا والبعض الآخر صلحا[٢].

هذه كلها كانت ممهدات للانتقال بساحة المعركة الى أطراف الجزيرة تجاه الشام، ففي شهر ربيع الأول من السنة الثامنة بعث رسول الله ﷺ (كعب بن عمير الغفارى) في خمسة عشر رجلا حتى بلغوا (ذات اطلاح) من أرض الشام فوجدوا جمعا من جمعهم كثير فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، وقدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فشق عليه ذلك، وهم بالبعثة اليهم فبلغه أنهم قد ساروا الى موضع آخر فتركهم[٣].

وبعث رسول الله ﷺ (الحرث بن عمير الأزدى)، بكتابه الى الشام الى ملك الروم، وقيل الى ملك بصرى، فعرض له (شرحبيل بن عمرو الغسانى) فأوثقه رباطا، ثم قدمه فضرب عنقه صبرا، ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، وكان ذلك سببا في تجهيز المسلمين لغزو الروم في مؤتة، وهي قرية من قرى البلقاء في حدود الشام كما في معجم البلدان[٤]، ونص ابن سيد الناس على أنها بأدنى البلقاء من أرض الشام[٥]، وكانت الوقعة في شهر جماد الأولى سنة ثمان[٦]، وتعتبر مؤتة أول منطلق للمسلمين الى حرب الروم[٧].

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان (دار الكتب العلمية / بيروت) ص ٣٦
(٢) المصدر نفسه ص ٤٢، ٤٧.
(٣) ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والسير (دار المعرفة) ج ١٥٢/٢
(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان (دار صار، دار بيروت ١٣٧٤ هـ) ج ٢٢٠/٩.
(٥) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ١٥٣/٢.
(٦) المصدر نفسه ج ١٥٣/٢.
(٧) شكري فيصل : حركة الفتح الاسلامي (دار العلم للملايين) ص ٢٦

هذا في الشام أما أطراف الجزيرة من قبل البحرين، فقد كانت البحرين من مملكة الفرس وكان بها خلق كثير من العرب (من عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم) مقيمين في باديتها، وقد وجه رسول الله ﷺ الى البحرين (العلاء بن الحضرمي) لدعوة أهلها الى الاسلام أو الجزية وذلك في السنة الثامنة للهجرة، فأسلم العرب وبعض العجم، وصالح المجوس واليهود والنصارى على دفع الجزية[1].

واستمر ذلك، فلم يكن بالبحرين أيام رسول الله ﷺ قتال[2].

فلما مات (المنذر بن ساوى) (وهو الذي كان على العرب من قبل الفرس) بعد وفاة الرسول ﷺ بقليل ارتد بعض أهل البحرين وبلغ العلاء الخبر، فذهب بالمسلمين اليهم، ووقعت بين الفريقين جولات اضطر معها العلاء الى طلب المدد من الخليفة (أبي بكر) فأمده (بخالد بن الوليد) فقدم عليه، الى أن جاء الأمر من أبي بكر الى خالد بالتوجه الى (العراق) فشخص اليها، وأقام العلاء بالبحرين، ولم يتمكن من فتحه في خلافة أبي بكر، وتم له ذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[3].

لن أطيل في تتبع حركة الفتح، فذلك أمر يطول، وليس محله هذه المقدمة التي أردت منها فقط الاشارة الى امتداد حركة الفتح في أطراف الجزيرة في الشمال والجنوب، ومواجهة أكبر مملكتين في تلك الفترة (الفرس والروم)، ثم التوسع بعد ذلك في حركة الفتح شرقا وغربا، حتى دخل في الاسلام ممالك جديدة وخضع لدين الله أمم كثيرة، ولم تنته أيام عثمان رضي الله عنه الا وقد ملك المسلمون زمام الموقف، ولم تقتصر جولاتهم لفتح البلاد وقلوب العباد في البر، وانما ركبوا ثبج البحر وكانت من أعظم تلك المعارك ذات الصوارى (سنة ٣١ هـ.) التي تم فيها النصر لأهل الاسلام وانهزم فيها قسطنطين الروم لائذا بالفرار[4]...

والذي يهمنا — بعد ذلك — أن نتساءل : هل للفتوح من مخاطر ؟ وما هو أثرها في صياغة المجتمع الاسلامي ؟

ولعل في استقراء آراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والوقوف على طرف من سيرته في هذا المجال ما يجيب على السؤال ويحل الاشكال.

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه : ص ٨٧.

(٣) فتوح البلدان ٩٠—٩٣، معجم البلدان ج ٣٤٩/٢.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢٩١/٤.

الرخاء... وأثره :

تروي لنا كتب التاريخ (أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا في بلاد العجم خوفا عليهم من العجم، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس (ت : ٧٢ هـ.) بأن المصلحة تقتضي توسعهم في الفتوحات... فاستحسن عمر ذلك منه وصوّبه وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم)[١]. هذه هي نظرة عمر، وتلك هي رؤيته للمستقبل، ومن يظن بعمر الفاروق الا خيرا !

الا أن عمر وان كان قد قبل رأي الأحنف بشكل عام الا أن مخاطر الفتوح والتوسع لا تزال تراود ذهنه فعلى نطاق الخصوص وبالنسبة للمهاجرين الأولين ينفذ عمر هذه السياسة التي ارتآها حتى ولو كان في ذلك تضييق عليهم، وحتى ولو ملوه بسبب هذا، يقول الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ.) رحمه الله : « كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان الا باذن وأجل »[٢].

ويشير عمر الى أسباب المنع بعد أن بلغته الشكوى فيوضح لهم رأيه ويبين لهم مخاوفه يقول عمر : « الا انني قد سننت الاسلام سنّ البعير يبدأ فيكون جذعا ثم ثنيّا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا ألا فهل ينتظر بالبازل الا النقصان ! الا فان الاسلام قد بزل الا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة، ألا فأما وابن الخطاب حيّ فلا، اني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلا قيم قريش وحجزها ان يتهافتوا في النار »[٣].

لقد كان عمر أخوف ما يخافه على هذه الأمة انتشارهم في البلاد المفتوحة وتوسعهم في القطاع والضياع، فكان يأتيه الرجل من المهاجرين وهو ممن حبس في المدينة فيستأذنه في الخروج فيجيبه عمر : « لقد كان لك من غزوك مع رسول الله ﷺ ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم الا ترى الدنيا ولا تراك »[٤].

وتختلف سياسة عثمان رضي الله عنه عن سياسة عمر فيسمح للمحبوسين ويلين مع

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ٩٨ تحقيق : محمد عبد العزيز النجار.
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٤ ص ٣٩٦ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٩٦، ٣٩٧
(٤) الطبري ج ٤ ص ٣٩٧، بيروت ١٣٨٥ هـ

المهاجرين حتى تحبه قريش في الشطر الأول من خلافته أكثر من عمر، وتصبح محبته مضرب المثل...

أحبـك والرحمـٰن حب قريش عثمان !

اذا دعا بالميزان[1].

ولكن ماذا بعد هذا ؟ وما هي المخاطر التي حسب لها عمر الحساب واجتهد فيها عثمان حق الاجتهاد ؟ لقد كان من نتائج هذا التوسع أن اتصل المسلمون بأناس مغمورين ولم يكن لهم طول عهد ولا مزية في الاسلام فكان ذلك أول وهن دخل في الاسلام وأول فتنة كانت في العامة ليس الا ذلك[2].

ويقول الشعبي (ت : ١٠٣ هـ.) : « فلما ولّي عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكان أحب اليهم من عمر »[3].

ونسير مع المجتمع الاسلامي في ظل حركة الفتح الاسلامي فيبين لنا التاريخ الكثير من عوامل التغير.

الغنائم والأسلاب من أثر الفتوح :

تفتح الدنيا على المسلمين، وتكثر واردات بيت المال من الغنائم والأسلاب، فضلا عما يخص الغازين والمجاهدين...

ففي فتح (تستر) مثلا ينال الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألف درهم[4]. وفي (المدائن) يتحصل المسلمون على فيء عظيم ويشرع سعد فيقسمه، ويأمر سلمان الفارسي بتقسيم الأربعة الأخماس الباقية فينال الفارس اثني عشر ألفا[5].

والذي لا شك فيه أن هذه النعم وتلك الواردات من الفتوح سيكون لها أثرها على المجتمع... فهي تعين على الاسترخاء، ويشتغل بها المسلمون عن غيرها، كما هي مادة للتنافس والبغضاء، وأهم من هذا كله أنها عامل من عوامل الفتنة لدى عامة الناس.

---

(١) ابن قتيبة : المعارف (دار احياء التراث / بيروت ص ٨٣)

(٢) الطبري ج ٣٩٧/٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٣٩٧/٤

(٤) ابن كثير ج ٧ ص ٩٦

(٥) المصدر نفسه ج ٧، ص ٧٥

واذا كان هذا انما ظهر بشكل واضح في الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه، فان عثمان نفسه قد أدرك هذا وجاء في كتابه الى العامة : « ... فان أمر هذه الأمة صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم للقرآن »[1]

وتكامل النعم التي أشار اليها عثمان رضي الله عنه تحدثنا عنها الروايات التاريخية بشكل يجعل المتمعن فيها يدرك أن هذا الخير له ما بعده وأن حالة المجتمع الى تغير.

يحدثنا الحسن البصرى ــ وهو شاهد عيان ــ عن حالة المجتمع وما يحمله من مخاطر فيقول : « أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قلّما يأتي على الناس يوم الا وهم يقتسمون فيه خيرا يقال لهم، يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم أغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل، الأعطيات جارية والأرزاق دارة، والعدو متق وذات البين حسن، والخير كثير...
قد عهد اليهم أنها ستكون أثرة فاذا كانت فاصبروا. قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا : لا والله ما نصابرها، فوالله ما وردوا وما سلموا والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم فوالله مازال مسلولا إلى يوم الناس، هذا وأيم الله اني لأراه سيفا مسلولا الى يوم القيامة »[2].

وفي آخر خطبة لعثمان رضي الله عنه وبعد أن فتحت الدنيا على المسلمين يذكرهم : « ألا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلكم عن الباقية... واحذروا أحداث الدهر المغيرة... والزموا جماعتكم ولا تتفرقوا شيعا وأحزابا »[3].

السبي وآثــاره :

ولو سلطنا الضوء أكثر على (السبي) كأثر متخلف عن الفتوح لرأينا أثره واضحا في المجتمع، ومن ثم لأدركنا أحد العوامل الهامة للتغيير في المجتمع الاسلامي، وتتبعنا الظروف

---

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٤٥.

(٢) ابن كثير ج ٧ ص ٢٣٢، وانظر أيضا محب الدين الخطيب : عثمان بن عفان ص ١٤ الطبعة الأولى.

(٣) المصدر نفسه ج ٧ ص ٢٣٤.

التي أفرحت فيها الفتنة[1].

ويكفي أن نشير بالنسبة (للسبي) وتفاقمه أن يطلع الباحث في كتب التاريخ على الكثير من أمثال هذه الكلمات... (غنم وسبي)، (فرجع بالغنيمة والظفر)، (وسبي فيها أربعين ألف رأس)، (واختار من السبي ستين غلاما).

والسبي قديم في دوله الخلافة، ومرتكزاته في عواصم الخلافة أيضا، ففي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه بالسبي إلى أبي بكر بالمدينة[2].

ولكن آثاره انما تظهر بعد بصورة واضحة كما في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ كما سيأتي ــ أو بشكل عام بتكوين طبقة في المجتمع المسلم تتعلم القرآن لا رغبة وانما رغبة في الجعل الذي جعله الخليفة تشجيعا وتأليفا[3].

الاختلاط في البلاد المفتوحة :

ولا يفوتنا ونحن ندرس أثر الفتوح في تشكل المجتمع أن نعي ظاهرة الاختلاط في البلاد المفتوحة وما يحدثه هذا الامتزاج من خلق مجتمع له صفات معينة، وله تأثراته المختلفة، ونستقرأ نزلاء الكوفة مثلا فنلحظ الامتزاج واضحا جليا فالى جانب قبائل من الشمال توجد قبائل من الجنوب، ونلحظ قبائل من ربيعة وقبائل من مضر، وقبائل من الحجاز وأخرى من نجد وهكذا...[4].

وان كان الاسلام قد صهرها في بوتقته لفترة معينة الا أنه مما يجب أن يوضع في الحسبان أن هذه القبائل لم تنل نصيبا وافرا من التربية، ولم تتشبع بروح الاسلام كما كان

---

(١) ومن هنا فان أي دراسة للفتنة لاتهتم بجذورها، وتدرس ظروف المجتمع قبلها وفي أثنائها هي ولا شك دراسة هزيلة لا تكاد تتجاوز السطح وتقف عاجزة عن ادراك الحقيقة المتوارية في الأعماق ولعله بناء على هذا شده الكثير من احداث الفتنة فاضطروا الى تفسيرها بتعليلات تتناف والحس الاسلامي الأصيل.

(٢) الطبري ج ٣ / ص ٣١٤، شكري فيصل / المجتمعات الاسلامية ص ٣٣.

(٣) محمد حميد الله / مجموعة الوثائق السياسية.. ص ٣٩٢ (نقلا عن مخطوطة الأموال / ابن زنجويه ق ٩٣).

(٤) الطبري ج ٤ ص ٤٥، شكري فيصل / المجتمعات الاسلامية ص ٣٧

المهاجرون والأنصار، ولأن هذه القاعدة الصلبة أيضا لم تكن قادرة على استيعاب هذه الأفواج الكبيرة... فلما أطلت الفتنة برأسها وجدت من هذه القبائل الممتزجة مادتها، خاصة اذا أدركنا أن الاختلاط يتيح فرصة اللقاء بين العناصر المشبوهة من كل قبيلة.

ومن آثار الفتح أيضا، ان الاسلام قضى عن طريق الفتح على ممالك كان أهلها سادة الدنيا، فالفرس مثلا كانوا يسمون أنفسهم بالأحرار والأبناء[1] وينظرون الى غيرهم نظرة الازدراء والاحتقار، حتى اذا دهمهم المسلمون في أرضهم واستولوا على سلطانهم راموا كيد الاسلام بالمحاربة فما أفلحوا، ثم رأوا أن كيده بالحيلة أنجع، فأظهروا الاسلام وأبطنوا الحقد والعدوان حتى أخرجوا من أخرجوا عن دائرة الاسلام[2].

اليهود وموقفهم من المسلمين بعد انتصار الاسلام :

ونحن نتتبع ــ في هذا الفصل ــ جذور الظروف والمؤثرات في المجتمع الاسلامي تلك التي تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، الخلافة في أجوائها لا بد لنا من وقفة ــ ولو سريعة ــ على بعض مواقف اليهود العدائية، لا سيما ونحن ندرس ــ في هذا الكتاب ــ عبد الله بن سبأ اليهودى وأثره في أحداث الفتنة ولن تكون هذه الوقفة تفصيلية، وانما بشكل اجمالي يناسب المقام وسوف يكون الحديث متجها الى ابراز نقطتين : **العداء و الجلاء** وبالنسبة للعداء فلا أحد ينكر عداوة اليهود للمسلمين بعد انتصار الاسلام وحسب المرء ــ في ذلك ــ أن يقف على كتاب الله : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...** ﴾[3].

ومع ذلك فالعداء يؤكده اليهود أنفسهم، ولا يتورعون عن ذكره والتصريح به أمام المسلمين.

---

(1) الابناء : جمع ابن، وهم أولاد قوم من الفرس سكنوا اليمن وتزوجوا من العرب، انظر : المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى الزيات.. وآخرين ج ٧٢/١.

(2) ابن حزم / الفصل في الملل والنحل ج ١١٥/٢ (دار المعرفة / بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ)

(3) المائدة : آية ٨٢.

فهذا (حيّ بن أخطب) أحد زعماء اليهود، ينظر الى رسول الله ﷺ، وهو يقدم للقتل ــ ضمن من قتل من بني قريظة ــ ويقول : « أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل »[1].

كما أن هذه العداوة لم تكن مجرد رغبة في نفوس القوم، وانما شهد مجتمع المسلمين آثارها ونكتفي هنا بالاشارة الى بعضها.

دورهم في بذر النفاق وظهور المنافقين في المدينة :

فاليهود هم الذين ساعدوا على بذر (النفاق) في المدينة، وفي ذلك يقول ابن اسحاق : « ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيا وحسدا... وأضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج... فكانوا أهل نفاق... وكان هواهم مع يهود »[2].

وعند قوله تعالى في المنافقين : ﴿ **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون** ﴾[3] حدد ابن كثير ــ عليه رحمة الله ــ شياطين المنافقين فقال : « وشياطينهم، سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود، ورؤوس المشركين والمنافقين »[4].

نقض العهود والمواثيق :

يقول تعالى عنهم في ذلك : ﴿ **أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾[5].

يقول عبد الرحمن الميداني : « وهذا الفريق منهم انما يمثل الأكثرية بدلالة قوله تعالى : ﴿ **بل أكثرهم لا يؤمنون** ﴾ »[6].

---

١) السيرة النبوية : لابن هشام ج ٣ / ٢٦٠.
٢) ابن هشام : السيرة النبوية : ج ١٣٥/٢.
(٣) البقرة : آية ١٤
(٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم (دار الفكر) ج ٥١/١
(٥) البقرة، آية ١٠٠
(٦) عبد الرحمن الميداني، مكائد يهودية عبر التاريخ (ط الأولى) ص ٩٤.

واذا كان الرسول ﷺ قد عقد المعاهدة مع اليهود حينما قدم المدينة، فان اليهود لم يلتزموا بذلك، وكانت يهود (بنى قينقاع) أول من نقض ذلك العهد مع رسول الله ﷺ[1]. ثم تبعهم (بنو النضير) الذين وصل بهم الأمر الى محاولة قتل الرسول ﷺ حينما ذهب ليستعينهم في دية القتيلين — من بني عامر — اللذين قتلهما (عمرو بن أمية الضمرى) وهم يقولون : « انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه... فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ » الى آخر القصة[2].

وهكذا الأمر مع يهود (بني قريظة) الذين نقضوا عهدهم في وقت زاغت فيه الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظن المؤمنون بالله الظنونا وذلك يوم الأحزاب بل لقد بلغ أمر (بني قريظة) نهايته، حينما أرسل اليهم رسول الله ﷺ من يتأكد من صحة خبر نقضهم للعهد. وكانت اجابتهم : « من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد »[3].

تشكيك المسلمين وفتنتهم عن دينهم :

وهذه من وسائل العداء التي اتخذها اليهود مع المسلمين : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾[4].

وقد كانوا يصلون مع النبي ﷺ صلاة الصبح، ثم يعلنون للناس ردتهم في آخر النهار موهمين الناس أنه قد تبين لهم الضلال كما يقول مجاهد[5].

يضاف الى تلك النماذج العدائية لليهود، مسلك السخرية بالمسلمين والطعن في الاسلام، الحرب الاقتصادية للمسلمين التي خولتهم الى أن يأتوا الى رجال من الأنصار فيقولوا لهم : « لا تنفقوا أموالكم فاننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام يكون »[6].

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢/٤٢٧
(٢) السيرة النبوية — لابن هشام ٣/١٩١
(٣) المصدر نفسه ج ٣/٢٣٧
(٤) آل عمران : الآية ٧٢
(٥) تفسير ابن كثير ج ١/٣٧٣
(٦) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ / ١٨٨.

تلك بعض الاشارات السريعة لمكائد اليهود، والرسول ﷺ بين ظهراني المسلمين، والاسلام في مرحلة الظهور الأولى، ثم تكون خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويكون للاسلام ثقل أكبر من ذى قبل فمملكتا (كسرى وقيصر) تتلاشى، وتتسع الأرض الاسلامية، ويزداد المسلمون وفي ظل تلك الظروف لا يبدو ظاهرا للعيان أثر اليهود... وحتى وان أحسّ منهم عمر شيئا فان أمر الجلاء يشكل الضربة القاصمة لليهود في تلك المرحلة.

واجلاء عمر لليهود من جزيرة العرب اعتمد على سابقة من الرسول ﷺ باجلائهم، وذلك حينما انطلق هو وبعض أصحابه الى يهود فقال لهم: « **اسلموا تسلموا، واعلموا ان الأرض لله ولرسوله، واني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه...** »[1].

وقد كان اجلاء (بني قينقاع) الى أذرعات وتولى ذلك الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه[2]، كما كان اجلاء (بنى النضير) بعد ذلك الى (خيبر) ومنهم من سار الى (الشام)[3]. وبالجملة فقد أجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم، كما جاء في صحيح البخاري[4].

ونأتي إلى بقية اجلاء اليهود في خلافة عمر، فمن المعروف — وكما في كتب السير — أن الرسول ﷺ فتح خيبر عنوة، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: « **ان شئتم دفعت اليكم هذه الأموال على ان تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقركم ما أقركم الله** » فقبلوا، وكانوا على ذلك زمن الرسول ﷺ، فلما تولى أبو بكر رضي الله عنه أقرهم على ما كانوا عليه زمن النبي ﷺ، فلما تولى بعده عمر رضي الله عنه أقرهم صدرا من خلافته، ثم بلغه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبض فيه: « **لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان** » فلما تثبت من ذلك، أرسل الى يهود يقول: « ان الله قد أذن في اجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان** » فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به، ومن

---

(١) صحيح البخاري (نشر المكتبة الإسلامية / استانبول) جـ ٤ / ٦٥

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ١/٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ٣/١٩٣.

(٤) صحيح البخاري ج ٥/٢٢.

لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء » فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم[1].

وفي السنوات الست الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، تبدو سمات الاضطراب في المجتمع نتيجة عوامل التغيير ــ التي سبقت الاشارة الى بعضها في حركة الفتح، وتلحق بقيتها بعد ان شاء الله ــ وهنا تتاح لليهود فرصة الظهور، مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين للناس بالتقية « أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الأمر... »[2].

وتتكالب على المدينة جموع الموتورين، ويقدر الله أمرا كان مفعولا، فيستشهد الخليفة الثالث، ويظهر للناس ــ فيما بعد ــ أن لليهود ضلعا في تحريك الفتنة وقتل الخليفة، فحينما تذكر الفتنة يذكر معها : (عبد الله بن سبأ اليهودى) وهو ما سنعالجه في الصفحات الآتية بمشيئة الله.

استشهاد عمر وأثره على المسلمين :

بعد بضع سنين حافلة بالعدل والرخاء عاشها عمر خليفة، وأحسن بها المسلمون جندا ورعية، يعود عمر من بيت الله حاجا سنة ٢٣ هـ، فينزل بالأبطح، وتدور في مخيلته خواطر كثيرة... ترى هل يطول بعمر العهد على تلك الحال ؟ وهل تستمر أوضاع المسلمين على ذلك المنوال ؟ أم يتمنى عمر أن يلقى الله قرير العين مرتاح البال ؟

لقد دونت الدواوين، ومصرت الأمصار، ونال كل ذى حق حقه، ووسع العدل أهل الرباط في ثغورهم، وبقية المسلمين أيّاً كانت أماكنهم حتى العجائز والأرامل « لأن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن الى أحد بعدى أبدا »[3].

لكن عمر يتضرع الله بقلب خاشع... « لقد كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣/٤١١، ٤١٢.

(٢) كما هي وصية عبد الله بن سبأ لأتباعه (تاريخ الطبري ج ٤/٤٣١)

(٣) البخاري : صحيح البخاري ج ٥ / ص ١٩.

رعيتي وأخشى التقصير على نفسي، اللهم فاقبضني اليك شهيدا وفي بلد نبيك ﷺ »[1]، ويستجيب الله دعاءه ويدفن بجوار رسول الله ﷺ وصاحبه.

فكيف استشهد عمر ؟ وما هي آثار استشهاده على المسلمين ؟ هذا هو ما سنحاول في تلك الصفحات بيانه، ومن الله نستمد العون وعليه التكلان...

استشهاد عمر رضي الله عنه :

سنقف في هذه الحادثة على أصدق اسناد على وجه الأرض (صحيح البخارى) ونستمد رسم هيكلها من شاهد عيان للحادث (عمرو بن ميمون) ثم نضيف تفاصيلها الأخرى من مصادرها الأخرى مما لم يذكره الامام البخارى.

يقول (عمرو بن ميمون) : « اني لقائم ما بيني وبين عمر الا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان اذا مر بين الصفين قال استووا، حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فما هو الا أن كبر فسمعته يقول : قتلني أو أكلني الكلب، حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم تسعة، فلما رأى ذلك رجل[2] من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر، فقد رأى الذى رأى، وأما نواحي المسجد فانهم لا يدرون غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع ؟ قال نعم قال : قاتله الله لقد أمرت به معروفاً الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدّعي الاسلام... »[3].

ويحسّ عمر رضي الله عنه أنها الطعنات الأخيرة، فيوصى ابنه عبد الله أن يقضي ما عليه من الديون، وأن يستأذن أم المؤمنين عائشة فى أن يدفن مع صاحبيه « انطلق الى عائشة فقل

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ / ١٥٢.

(٢) عند الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٦١ « فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا » وعند ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٣٤ « فطرح عليه عبد الله بن عوف الزهري قميصه كانت عليه ».

(٣) البخاري / صحيح البخاري ج ٥ ص ١٩، ٢٠

يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه »[1].

ويستبشر عمر حينما يطمئنه عبد الله بن عمر بسماح أم المؤمنين وإذنها في دفنه بجوار صاحبيه وكأن ذلك هو الأمر الوحيد الذي عاد يهمه ويوليه فكره « الحمد لله ما كان من شيء أهم الي من ذلك »[2].

وهكذا يطعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة، فيعيش بعد ذلك ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام)[3].

قاتل عمر وأسباب قتله :

عند ابن كثير أن قاتل عمر هو فيروز (المجوسي الأصل، الرومي الدار)[4].

ويقول ابن سعد : « كان أبو لؤلؤة ــ واسمه فيروز ــ من سبي نهاوند »[5] وهذا يدعونا الى أن نتوقف قليلا لنعرف سر تخوف عمر ــ في حياته ــ من السبي، ووضعه خطة تكفل منع البالغين منهم دخول المدينة كما يقول الزهرى : « كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة، حتى كتب المغيرة بن شعبة ــ وهو على الكوفة ــ يذكر له غلاما عنده صنعة ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويقول : ان عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد، نقاش، نجار فأذن له أن يرسل به »[6].

وعن أسباب قتله تذكر لنا الروايات التاريخية محاورة جرت بين عمر وبين أبي لؤلؤة المجوسي ــ قبيل قتله ــ ومضمونها شكوى أبي لؤلؤة وتظلمه من الخراج الذي فرضه عليه سيده (المغيرة بن شعبة) ومقداره درهمان في اليوم[7] أو أربعة دراهم[8] أو ــ وسطا بين

---

(١) البخاري / الصحيح / ج ٥ ص ٢٠

(٢) المصدر نفسه / ج ٥ ص ٢١

(٣) خليفة بن خياط / تاريخ خليفة بن خياط / ج ١ ص ١٥٢ تحقيق أكرم ضياء العمري

(٤) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٧ ص ١٥١

(٥) ابن سعد / الطبقات الكبرى / ج ٣ ص ٣٤٧ ط بيروت ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م

(٦) ابنّ سعد / الطبقات ج ٣ ص ٣٤٥، الذهبي / تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٦١.

(٧) الطبري ج ٤ ص ١٩١

(٨) الهيثمي / مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ٧٦.

ذلك ــ مائة درهم في الشهر[1] على اختلاف في الروايات، وأن عمر سأله عمّا يملكه من صناعة فأجاب بأنه نقاش، نجار، حداد فقال له عمر : « فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع »[2] فغضب العبد وقال : « وسع الناس كلهم عدله غيرى » فأضمر قتله[3].

وان بدا للناظر ــ من خلال تلك المحاورة ــ مصادمة عمر لفرد يشتكي اليه، وسيرته تشهد له بالعدل والانصاف، بل كما أشار الغلام نفسه الى ذلك « وسع الناس كلهم عدله غيرى » فانه في المقابل يلحظ أن عمر كان يقصد الاصلاح بين السيد وغلامه، فهو وان كان لم يستجب لمطلب الغلام ظاهرا ــ اقناعا له وترويضا ــ الا أنه كان ينوى أن يلقى المغيرة فيكلمه بالتخفيف عنه[4] لكنه لم يمهل لذلك والله غالب على أمره.

أثر مقتله على المسلمين :

كان هول الفاجعة على المسلمين عظيما، فلم تكن الحادثة بعد مرض ألمّ بعمر، كما كان يزيد من هولها كونها في المسجد وعمر يؤم الناس لصلاة الصبح، ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادثة في نفوسهم.

يقول (عمرو بن ميمون) في بقية خبره : « ...وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ »[5]، ولما أراد عمر أن يعلم رأى الصحابة في الحدث، وهل كان عن ملأ الناس كان ما كان ؟ فلربما يكون نتيجة خطأ وقع فيه أو عقوبة ذنب ارتكبه وهو لا يعلم، فيبعث ابن عباس رضي الله عنهما ليستطلع له الخبر، فعاد ليقول لعمر انه ما مر بملأ إلا وهم يبكون وكأنما فقدوا اليوم أبكار أولادهم[6].

لقد كان عمر رضي الله عنه معلما من معالم الهدى، وفارقا بين الحق والباطل، وما سلك فجا الا وسلك الشيطان فجا آخرا، ولقد جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه... أفلا

---

(١) الذهبي / تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٦١.

(٢) الطبري / ج ٤ / ص ١٩١

(٣) الهيثمي / مجمع الزوائد / ج ٩ / ص ٧٦، مكتبة القدس ــ القاهرة ١٣٥٣ هـ

(٤) الهيثمي / مجمع الزوائد / ج ٩ ص ٧٦ ــ يقول الهيثمي عن اسناد هذا الخبر : رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح ٩/٧٧.

(٥) البخاري / صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٠

(٦) الهيثمي / مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٤

تتأثر الناس بفقده ؟ ولقد أوجعتهم الحادثة، ورأوا أنهم فقدوا خير ناصر للدين، ومحكم للشرع، وقد بدا على المسلمين تأثرهم فما رؤي ملأ من الناس الا وهم يبكون وكأنما فقدوا اليوم أنصارهم كما يقول ابن قتيبة[1].

ولعل من هول الفاجعة لم ير جل الصحابة القصاص في (عبيد الله بن عمر) الذي قتل (الهرمزان) و (جفينة) و (ابنة أبي لؤلؤة) فبعد ان استخلف عثمان استدعى المهاجرين والأنصار ليأخذ رأيهم فكان رأي الأغلبية الا يقتص من عبيد الله وقال قائلهم : « لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه، وتفجعوا المسلمين بابن عمر بعد أن فجعوا بعمر » ويسير هذا الرأي حتى ولو كان خلاف رأي المهاجرين[2]...

على أن آثار مقتل عمر تجاوزت أثرها في نفوس المسلمين الى بناء المجتمع والدولة... والذي لا شك فيه أن بناء المجتمع وتكوين دولة الخلافة كان قائما على أساس تعاليم الاسلام سواء في عهد عمر أو من جاء بعده من الخلفاء الصالحين، ولكن شخصية عمر كان لها تأثير خاص في حمل الناس على ذلك وانسياقهم اليه، ولم يكن هذا السلطان الذي وهبه الله لعمر يتوفر فيمن جاء بعده، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرفون ذلك لعمر، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكر له عمر رضي الله عنه فيبكي حتى تبتل الحصى من دموعه ثم يقول : « ان عمر كان حصنا للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه، فلما مات عمر انثلم الحصن فالناس يخرجون من الاسلام »[3].

وهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، يبكي بعد قتل عمر، ثم يسأل : ما يبكيك ؟ فيجيب : « لا يبعد الحق وأهله، اليوم يهي أمر الاسلام »[4].

ويقول أيضا : « إن موت عمر ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيامة »[5].

---

(١) ابن قتيبة / المنسوب إليه / الامامة والسياسة / ج ١ ص ٢٧ تحقيق د . طه الزيني : ط سجل العرب / القاهرة.

(٢) ابن سعد / الطبقات ج ٣ / ص ٣٥٦ ــ وأخيرا ودى الرجلان والجارية وخاصة بعد أن ذكر عمرو بن العاص رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه بأن ذلك كان قبل أن يكون له على المسلمين سلطان.. (المصدر نفسه)

(٣) ابن سعد ــ الطبقات ج ٣ / ٣٧١.

(٤) المصدر نفسه ج ٣٧٢/٣.

(٥) المصدر نفسه ج ٣٧٢/٣.

أما أبو عبيدة بن الجراح فقد كان يقول قبل أن يقتل عمر : « ان مات عمر رق الاسلام، ما أحب ان لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب وأنى أبقى بعد عمر، فقيل له : ولم ؟ قال : سترون ما أقول ان بقيتم، أما هو فان ولي وال بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يطع له الناس بذلك ولم يحملوه، وان ضعف عنهم قتلوه »(1).

ويكفي أن نتصور مقالة أبي طلحة رضي الله عنه لنعرف الى أي مدى كان تأثير مقتل عمر على مجتمع المسلمين يقول طلحة : « ما من أهل بيت من العرب حاضر ولا باد الا قد دخل عليهم بقتل عمر نقص »(2).

الشورى والنتائج التي تمخضت عنها :

عقد البخاري رحمه الله في صحيحه بابا أسماه (باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه) نقتطف منه بعض الدلالات في قصة الشورى ونتائجها.

يقول عمرو بن ميمون : « فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمّى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن(3) وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس

---

(1) المصدر نفسه ج ٣٧٢/٣.

(2) المصدر السابق ج ٣٧٣/٣، ٣٧٤.

(3) أما ما ورد في صحيح مسلم (مما يفهم منه أن عمر قد ترك الأمر للمسلمين ولم يستخلف أحدا) وأن الصحابة قالوا : استخلف فقال : أتحملكم حيا وميتا؟ لوددت أن حظي منها الكفاف لا عليّ ولا لي فإن استخلف فقد استخلف من هو خير منّي « يعني أبا بكر » وان أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ، قال عبد الله ـــ ابنه ـــ فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف، (صحيح مسلم : بشرح النووي ١٢ /٢٠٥ « كتاب الامارة ») وفي موضع آخر «ان ابنه عبد الله جاء اليه فقال له : اني سمعت مقالة من الناس !! زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع فرعاية الناس أشد، قال فوافقه قولي فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إليّ فقال : ان الله عزّ وجلّ يحفظ دينه وإني لئن لا استخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف قال : فوالله ما هو إلا ان ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله ﷺ أحدا وإنه غير مستخلف » مسلم شرح النووي ج ١٢ ص ٢٠٦.

وفي الامامة والسياسة : أن المهاجرين دخلوا على عمر رضي الله عنه.. فقالوا استخلف علينا : قال والله لا أحملكم حيا وميتا ثم قال : ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني.. وأن أدع فقد ودع من هو خير منّي.. فقالوا : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فقال ما شاء الله راغبا وددت ان أنجوا منها لا لي ولا علي (ج ٢٨/١).

فإن المقصود من هذه الأخبار هو تحرج عمر ان يجعلها الى واحد من الصحابة بعينه لا وضعها في مجموعة يختارون واحدا منهم، وهذا هو الذي فهمه ابن كثير من قوله « لا أتحمل أمركم حيا وميتا » (البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٨).

له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فان أصابت الا مرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة...[1].

واذا كان عمر رضي الله عنه قد عين أهل الخلافة في أولئك النفر الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فانه قبل ذلك عمل من الاحتياطات ما يشير الى ورعه وتقواه... فهذا ابنه عبد الله يشاركهم من باب التعزية وليس له من الأمر شيء، حتى ولو كان أهلا للخلافة، ومحل رضى الصحابة وهم يشيرون الى أبيه بأن يوليه وأن فيه للخلافة موضعا[2].

ولكن حسب آل الخطاب أن يكون منهم واحد يتحمل أعباء خلافة المسلمين كما يقول عمر رضي الله عنه!

وهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وربما يكون هو الوحيد الباقي من العشرة الذي لم يشرك مع أهل الشورى، ومع ذلك لا يعده عمر مع الستة، بل وكما في رواية المدائني ينص عمر عليه ويستثنيه من بينهم ويقول: لست مدخله فيهم[3] كل ذلك خشية أن تراعى قرابته من عمر فيوليه المسلمون مع أحقيّة غيره.

كذلك من احتياطات عمر — حتى تتهيء كل فرص اختيار خليفة المسلمين — اشراك عمر مجموعة من الصحابة لحماية الشورى وتعجيل نتائجها... فعمار والمقداد رضي الله عنهما في ثلاثين من المهاجرين، وأبو طلحة الأنصارى يكن في خمسين من قومه[4].

وصهيب رضي الله عنه يصلى بالناس ثلاثة أيام، واليوم الثالث هو نهاية أيام الشورى[5]. فلا بد أن يصلى خليفة المسلمين المختار بالمسلمين اليوم الرابع.

أما منهج أهل الشورى في اختيار خليفة منهم فهو كما في بقية خبر البخارى:

---

(١) البخاري / الصحيح / ج ٥ / ص ٢١
(٢) الامامة والسياسة / ج ١ ص ٢٨
(٣) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٧ ص ١٥٨
(٤) عبد الجبار الهمذاني / تثبيت دلائل النبوه / ص ٢٧٩ : تحقيق عبد الكريم عثمان — نشر الدار العربية / بيروت.
(٥) الهيثمي / مجمع الزوائد / ج ٩ ص ٧٧ (رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح)

(فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمرى الى علي فقال طلحة : قد جعلت أمرى الى عثمان، وقال سعد : قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن : أيكم تبرأ من هذا الأمر فنجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه فاسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه الي والله على ألّا آلوا عن أفضلكم قالا نعم »[1].

فما هي جهود ابن عوف في اختيار خليفة المسلمين ؟

لقد مرت ثلاثة أيام بلياليها وعبد الرحمن بن عوف لا يغتمض بكثير نوم إلا بصلاة ودعاء واستخارة وسؤالٍ لذوي الرأى في رأيهم، كما قال ذلك لابن اخته المسور ابن مخرمة[2].

وكان حريصا على أن يستجلى آراء المسلمين بقدر الامكان، فكان يعمد الى كل وسيلة في هذا الميدان فيخرج في انقاب المدينة متلثما، ويأتي عامة الناس من المهاجرين والأنصار سائلا من يرون الخليفة بعد عمر ؟ أما أهل الرأي فيأتيهم مستشيرا[3].

ولقد كان ابن عوف رضي الله عنه أهلا للمسؤولية وعند حسن ظن المسلمين به، ومن ذا الذي يخلص الى الناس جميعا وأشتاتا، مثنى وفرادى سرا وجهرا، حتى يخلصن الى النساء المخدرات في حجابهن وحتى يسأل الولدان في مكاتبهم، ومن يرد من الركبان والأعراب الى المدينة[4]. أما الليلة التي سيسفر صباحها عن اليوم الرابع وهو اليوم المحدد لاختيار الخليفة فكانت قمة العناء لعبد الرحمن بن عوف كما تحدثنا كتب التاريخ، ومحادثة عبد الرحمن لابن اخته المسور بن مخرمة تكشف لنا طرفا من هذا العناء : « أنائم يا مسور ؟ والله لم اغتمض بكثير نوم منذ ثلاث... »[5] ثم يأمر أن يدعو له عليا وعثمان وينفرد بكل واحد منهما ويأخذ الميثاق عليهما فمن ولاه ليعدلن، ومن ولى غيره ليسمعن ويطيعن[6].

---

(١) البخاري / الصحيح / ج ٥ / ص ٢٢
(٢) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٧ / ص ١٦٠
(٣) ابن قتيبة / الامامة والسياسة / ج ١ / ص ٣٠
(٤) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٧ / ص ١٥٩ــ١٦٠
(٥) المصدر نفسه / ج ٧ / ص ١٦٠
(٦) البخاري / الصحيح / ج ٥ / ص ٢٢.

نتيجة الشورى :

كانت تلك هي الاحتياطات التي عملت، وهذه هي الجهود التي بذلت فهل نتوقع بعد ذلك الا نتيجة حاسمة للشورى تقنع المسلمين ويرضى بها المتشاورون ؟

وحسبنا أن نقف — في نتيجة الشورى — على ما أورده البخاري في صحيحه، وهو وان كان في كلمات معدودات الا أنه يحكى أصدق وثيقة...

« ... فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه »[1].

ولنا بعد هذا أن نقف عند الخبر الذى أورده الطبرى في تاريخه (مسندا)، وذكره ابن الأثير كذلك (بلا سند) ونصه عند الطبرى : بعد أن بايع المسلمون لعثمان قال علي :

« ... فقال علي : حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان الا ليرد الأمر اليك... »[2].

وفي موضع آخر (... فجعل الناس يبايعون عثمان وتلكأ علي فقال عبد الرحمن : ﴿ **فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** ﴾[3] فرجع علي يشق الناس حتى بايع وهو يقول : « خدعه وأيّما خدعة ! »)[4].

ومثل هذه الأخبار لا تستقيم، فهي أخبار واهية لمصادفتها نص البخاري، أصدق الكتب بعد كتاب الله — هذا من جهة، وهي من جهة أخرى — من وضع الرافضة

---

(١) المصدر نفسه / ج ٥ / ص ٢٢

(٢) الطبري / ج ٤ / ص ٢٣٣، ابن الاثير ج ٣ ص ٧١

(٣) سورة الفتح، الآية ١٠

(٤) الطبري / ج ٤ / ص ٢٣٨، ٢٣٩.

والقصاص، وفي رجالها من لا يعرف كما ذكر ذلك ابن كثير عليه رحمة الله[١].

هذه هي ملامح المجتمع الاسلامي — في تلك الفترة — امتداد رقعة الاسلام، والقضاء على ممالك الفرس والروم، وكثرة الغنائم والسبايا، ودخول عناصر في الاسلام لم يتمكن الايمان من قلوبها، وتربص عناصر أخرى رأت أن كيده على الحيلة أنجع، واليهود بعد ذلك يتربصون كل فتنة. وينتظرون أدنى مناسبة.

وبالجملة فان هناك حادثتين كبيرتين حاولت كل منهما صياغة المجتمع الاسلامي، واضفاء الكثير من ملامحهما وآثارهما عليه، وهما الردة والفتوح[٢].

واذا كان قد سبق الحديث عن الفتوح وآثارها فإنه يهمنا — في حركة الردة — أن نرصد ظل الحركة بعد أفولها[٣].

وقبل ذلك يحسن بنا أن نقول ان هناك قاسما مشتركا بين أهل الردة الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم، وآثروا عصبيتهم القبلية حتى قال بعضهم :

أطعنا رسول الله ما كان وسطنا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر[٤]

ويقول أحد المرتدين من اتباع طليحة بن خويلد الأسدى : « والله لنبي من بنى أسد أحب الي من نبي من بني هاشم، وقد مات محمد وهذا طليحة فاتبعوه... »[٥].

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ / ص ١٦١ — زيادة على أن في سند هذا الخبر، رجال لا يعرفون كما قال ابن كثير، فإنه يكفي لتهافت هذا الخبر وأمثاله أن في سند الطبري : أبو مخنف (لوط بن يحيى) وهو كما قال الذهبي اخباري تالف لا يوثق به، وهو مع هذا شيعي محترق وصاحب أخبارهم كما قال ابن عدي (ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤١٩).

(٢) شكري فيصل / المجتمعات الاسلامية / ص ٣٩

(٣) ستكون الاشارة عن الردة هنا مجمله يكفي منها بيان أثر الحركة في صياغة المجتمع، أما التفصيل فسيكون عند الحديث عن عوامل الفتنة الفصل الثالث — بمشيئة الله.

(٤) البداية والنهاية ج ٣٥٣/٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٣٥٨/٦

أقول إن هناك قاسما مشتركا بين هؤلاء وبين بعض أهل البلاد المفتوحة وخاصة من غير العرب، الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم، وحادثة مقتل عمر على يد أحد هؤلاء الموالي أكبر دليل على ذلك. بل إن هناك من رام كيد الاسلام بالمحاربة، فلما لم يفلحوا رأوا أن كيده على الحيلة أنجح فأخرجوا بذلك من أخرجوا عن دائرة الاسلام(١).

واذا كان أبو بكر رضي الله عنه هو الذي أخمدها فهو أعرف الناس برجالها وملابسة أحداثها، وقد اتخذ سياسة كلها حذر وحيطة من أصحاب الردة فكان لا يستعين في حربه بأحد منهم حتى مات(٢).

ويأتي بعده عمر رضي الله عنه فلا يلتزم سياسة التضييق الكاملة التي انتهجها أبو بكر، فيستعمل المرتدين ولكن لا يطمعهم في الرياسة(٣).

وتزيد زاوية الانفراج في خلافة عثمان رضي الله عنه اذ يرى أن عامل الزمن قد عفى على تلك الحركة وأن صلاح بعض المرتدين كاف لأن يندمجوا في المجتمع فيستعمل المرتدين استصلاحا لهم(٤).

نعم اننا ونحن نسجل شهادة التاريخ لصلاح نفسيات بعض المرتدين وحسن اسلامهم فان ذلك لا يعنى أن جميع المرتدين كانوا على هذا المستوى، ومن هنا فلا بد أن نضع اندماج المرتدين في المجتمع ضمن أحد المؤشرات لتشكل هذا المجتمع وطبيعة بنيته...

ومن نتائج هذا أن أحداث الفتنة الكبرى ومقتل الشهيد عثمان شهدت عناصر من قبائل كانت قد ارتدت عن الاسلام أيام الردة.

فقبيلة (السكون) مثلا كانت في البداية مع (زياد بن لبيد البياضي) على بنى عمرو ابن معاوية (من مرتدة حضرموت) ثم يتسرع قوم منهم وينضمون الى بني عمرو ضد زياد(٥).

---

(١) ابن حزم — الفصل ج ٢/١١٥
(٢) الطبري / ج ٤ / ص ٢٥
(٣) المصدر نفسه / ج ٤ / ص ٢٥
(٤) المصدر نفسه /ج ٤ / ص ١٥٨
(٥) الطبري / ج ٣ / ص ٣٣٤

وفي أحداث الفتنة نجد (سودان بن حمران السكوني، وقتير بن فلان السكوني) من بين القوم الذين خرجوا من مصر وشاركوا في قتل عثمان[1].

ومن القبائل المرتدة قبيلة (مذحج) وكان عليها ومن يليها (الأسود العنسي الكاهن)[2]، وفي أحداث الفتنة نجد (مالك بن الحارث الاشتر النخعي)[3] أحد الرؤساء البارزين فيها[4].

هذه لمسات موجزة عن حالة المجتمع الاسلامي قبل احداث الفتنة علها أن تضيء لنا الطريق حتى اذا أتينا على أحداث الفتنة كان لنا ما نتكئ عليه من رصيد الواقع، غير مغرقين في الواقع ومتجاهلين لدور (عبد الله بن سبأ اليهودي) في تحريك الفتنة واستغلال أجوائها. وغير متكلفين أيضا في التعليل فننسب اليه ما هو أكبر منه.

ولعلنا هنا ــ ومن خلال تلك النظرة ــ أن نقف موقفا وسطا بين الذين بالغوا وأفرطوا في حق ابن سبأ فحملوه تبعة ما جرى بين المسلمين من فتن، وبين الذين فرطوا في أمره، فأنكروا وجوده، واعتبروه أسطورة في أحداث الزمن !

---

(١) الطبري / ج ٤ / ص ٣٤٨

(٢) ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٦ / ص ٣٥٢

(٣) قبيلة النخع قبيلة يمنية من قبائل مذحج

(٤) أبو بكر بن العربي / العواصم من القواصم / ص ١١٦، تحقيق محب الدين الخطيب / ط : الأولى.

الفصل الثانــي

عبد الله بن سبأ، وظهوره بين المسلمين

* أصل ابن سبأ ونشأته.
* ظهوره بين المسلمين.
* محاولات التشكيك في وجوده التاريخي.

أصل ابن سبأ ومنشأه :

ورد ذكر (سبأ) في القرآن الكريم ﴿ ... **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية...** ﴾[2].

وورد في التوراة (في سفر التكوين × ٧) سبأ جزيرة يقطان تعطي المر، والجوهر والذهب وأن بلقيس التي تزوجت سليمان كانت ملكة سبأ...[3].

وفي قلائد الجمان : أن يعرب بن قحطان ولد يشجب، وولد ليشجب (سبأ) واسم سبأ هذا (عبد شمس) وقد ملك اليمن بعد أبيه، وأكثر الغزو والسبي فسمي (سبأ) وغلب ذلك عليه حتى لم يسمّ به غيره ثم أطلق الاسم على بنيه... وهم الوارد ذكرهم في القرآن[4].

وعلى أية حال فالمصادر التاريخية لا تذكر شيئا واضحا عن أصل السبأيين، ومن المحتمل أنهم كانوا في الأصل قبائل بدوية تتجول في الشمال ثم انحدرت نحو الجنوب الى اليمن حوالي ٨٠٠ ق.م. كعادة العرب في التجوال، أو نتيجة ضغط الآشوريين عليهم من الشمال، واستقروا أخيرا في اليمن وأخذوا في التوسع... كما قرر ذلك الدكتور صالح العلي[5].

هذا عن سبأ التي كثيرا ما ينسب اليها عبد الله بن سبأ. فيقال السبئى، أو السباى كما سيأتي.

على أن هناك من ينسب (ابن سبأ) الى (حمير) حتى قال بن حزم : « والقسم الثاني من فرق الغالية يقولون بالالهية لغير الله عزّ وجلّ، فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى... »[6].

---

(١) النمل، آية ٢٢

(٢) سبأ، آية ١٥

(٣) انظر صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب (ط السادسة، مكتبة المثنى، بغداد) ج ٢١/١.

(٤) القلقشندي / قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان / ص ٣٩، ط الأولى ١٣٨٣ هـ، دار الكتب الحديثة — القاهرة.

(٥) محاضرات في تاريخ العرب ج ٢١/١.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (ط الأولى ١٣٢٠ هـ) ج ١٨٦/٤

وحمير كانت من القبائل المعروفة في العربية الجنوبية عند الميلاد، ويذكر أن عاصمتهم كانت (ظفار)[١] ولم تكن علاقات (حمير) (بسبأ) علاقات طيبة في الغالب، بل يظهر أنها كانت نزاعا وخصوما في أكثر الأوقات[٢] حتى استطاعت (حمير) في الأخير أن تبسط نفوذها في اليمن ثم تنتزع الحكم من السبأيين، وتصبح هي الأسرة الحاكمة في اليمن، وأصبح لقبهم من سنة ٢٧٥ م. (ملك سبأ وريدان وحضرموت وأعرابهم من الجبال وتهامة)[٣].

أما البلاذري، وأبو خلف الأشعري، فهما ينسبان (ابن سبأ) إلى (همدان) فهو (عبد الله بن وهب الهمداني) عند البلاذري[٤]، و (عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني) عند الأشعرى[٥]، وهمدان كانت من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن يذكر في عهد (ملوك سبأ)، وقد علا نجمهم بعد أن اغتصبوا عرش سبأ من السبئيين[٦].

وعلى أية حال وسواء نسب (ابن سبأ) الى (السبئيين) أو الى (الحميريين) أو الى (الهمدانيين) فهي تؤكد الأصل (اليمني) لعبد الله بن سبأ، جاء في تاريخ الطبرى : « كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء »[٧].

ويقول ابن عساكر : « عبد الله بن سبأ الذي تنسب اليه السبئية أصله من أهل اليمن...[٨]، على أن هناك آراء أخرى في أصل عبد الله بن سبأ، فالبغدادى يرى أن ابن سبأ من أهل الحيرة[٩] : « وكان ابن السوداء في الأصل يهوديا من أهل الحيرة »[١٠].

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط الأولى / بيروت ١٩٦٩) ج ٢/٥١٠.

(٢) المرجع نفسه ج ٢/٥٢٠.

(٣) صالح العلي : محاضرات في تاريخ العرب (ط السادسة / بغداد) ج ١/٢٧.

(٤) أنساب الأشراف (نشر مؤسسة الأعلمي / بيروت) وتحقيق محمد باقر المحمودي) ص ٣٧٢.

(٥) سعد الأشعري. المقالات والفرق (ط طهران ١٩٦٣) ص ٢٠

(٦) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢/٣٥٣، ٣٥٤.

(٧) تاريخ الطبري ج ٤/٣٤٠

(٨) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ص ٢٣

(٩) الحيرة : بالكسر ثم السكون، وراء : مدينة كانت على ثلاث أميال من الكوفة، على موضع يقال له النجف، وقد نزل العرب العراق، واتخذوا من الحيرة والأنبار منزلا، فصار فيها من جميع القبائل : مذحج، وحمير وطبيء،... الخ (معجم البلدان ج ٢/٣٢٨)

(١٠) الفرق بين الفرق ص ٢٢٥

ويتابعه في ذلك (أبو زهرة)[1] وقريب من هذا الرأي ــ أيضا ــ يرى (عبد الباسط أفندى) اذ يعتبر ابن سبأ من يهود العراق[2].

أما ابن كثير فيرى أن (ابن سبأ) رومي الأصل اذ يقول : « ... وكان أصله روميا فأظهر الاسلام وأحدث بدعا قولية وفعلية قبحه الله[3].

ويبدو أنه استنادا الى هذا الرأي عند ابن كثير في أصل عبد الله بن سبأ قال بعض الباحثين أن ابن سبأ وجماعته كانوا يعملون لتقويض الدولة الاسلامية لحساب الدولة الرومية (البيزنطية)[4].

وبالجملة فنحن نجد في كتب الأنساب : السبآى، والسبئى (بالمد وعدمه) نسبة الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وإلى عبد الله بن سبأ رأس السبئية[5].

أما عن نسب (ابن سبأ) لأبيه : فهو عبد الله بن وهب عند البلاذرى[6] وسعد الأشعرى[7] والذهبي[8] والمقريزى[9] وان كان بينهم اختلاف في نسبه ما بين همداني، وحميري ــ وقد تقدم ــ وسبأي كما في قول الذهبي : « عبد الله بن وهب السبأي »[10].

---

(١) المذاهب الاسلامية (مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز) ص ٦٤

(٢) تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام : ص ٤٧

(٣) البداية والنهاية ج ١٩٠/٧.

(٤) سعيد الأفغاني في كتابه : عائشة والسياسة (نشر دار الفكر ص ٦٠)
أنور الجندي في كتابه : الاسلام والدعوات الهدامة (دار الكتاب اللبناني / بيروت) ص ٢٤.

(٥) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب (مكتبة القدس / القاهرة ١٣٥٧) ج ٥٢٧/١، السيوطي : لب الألباب في تحرير الأنساب ج ١٣٢/١ (مكتبة المثنى) ج ١٣٢/١.

(٦) أنساب الأشراف ص ٣٨٢

(٧) المقالات والفرق ص ٢٠

(٨) المشتبه في الرجال (ط الأولى ١٩٦٢) ج ٣٤٦/١

(٩) المواعظ والاعتبار ج ٣٥٦/٢

(١٠) المشتبه في الرجال ج ٣٤٦/١

أما من قال انه (عبد الله بن وهب الراسبي)[١] فعلل ذلك وقع نيتجة الخلط بين عبد الله بن سبأ هذاء وبين (عبد الله بن وهب الراسبي) صاحب الخوارج، وهناك من الفروق بين الشخصيتين مالا يخفى على مطلع[٢]، ومما يؤكد الفرق بين الاسمين ما نصّ عليه السمعاني بقوله: « ... عبد الله بن وهب السبئي رئيس الخوارج، وظنى أن ابن وهب هذا منسوب الى عبد الله بن سبأ... »[٣].

أما أن يكون الراسبي ــ هذا ــ من أصحاب عبد الله بن سبأ فهو احتمال وارد، نستشفه من اشارة السمعاني السابقة.

ولعله أيضا نتيجة الخلط في الأسماء أخطأ المستشرق (دوايت) في نقله عن الطبقات حينما قال: « ان ابن سعد لم يشر الى ابن سبأ الا الى كونه أحد القراء الذين صحبوا عليا »[٤].

وهناك من ينسب ابن سبأ ــ من جهة أبيه ــ الى حرب، كما فعل (الجاحظ) وهو ينقل الخبر باسناده الى: زحر بن قيس[٥] قال: « قدمت المدائن بعد ما ضرب علي ابن أبي طالب رحمه الله، فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب... »[٦].

أما الطبري فغالبا ما ينسب ابن سبأ ــ من جهة أبيه ــ الى سبأ، فيقول: « عبد الله ابن سبأ ».

---

(١) سعد الأشعري: المقالات والفرق ص ٢٠

(٢) فعلى حين يكتنف شخصية « ابن سبأ » الغموض في المنشأ والممات ــ كما سيأتي ــ نجد شخصية الراسبي واضحة المعالم، فهو رأس الخوارج الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه (النووي / شرح صحيح مسلم ج ١٧٢/٧) وهو المقتول في وقعة النهروان سنة ٣٨ أو ٣٩ للهجرة (الذهبي: العبر في خبر من غبر ج ٤٤/١) وقبل ذلك فقد عرفت حياته أكثر من ابن سبأ، فقد شارك في الفتوح (فتوح العراق) وكان مع علي ثم خرج عليه خروجا صريحا (انظر عمار الطالبي: آراء الخوارج ص ٩٤).

(٣) الأنساب (ط الأولى / بيروت ١٣٩٦ هـ) ج ٢٤/٧

(٤) داويت م. رونلدسن: عقيدة الشيعة (نشر مكتبة الخانجي ١٩٣٣م) ص ٥٩

(٥) في الإصابة هو زجر بن قيس بن مالك الجعفي، كان أحد أصحاب علي رضي الله عنه، أنزله المدائن في جماعة جعلهم هناك رابطة، قال ابن حجر له ادراك الاصابة ج ٥٧٦/١)

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين (ط الأولى ٣٦٨ هـ / القاهرة) ج ٣ / ٨١.

وجملة القول فمعلوماتنا عن والد عبد الله بن سبأ، ضئيلة، وهي مع ذلك غير مستقرة ــ كما رأينا ــ وفوق هذا الجهل في تحديد اسم والده فليست لدينا معلومات عن أبيه لا في المنشأ ولا في النهاية وليس بمستبعد أن يكون (سبأ) الذي انتسب اليه عبد الله بن سبأ تغطية، أراد بها التمويه على المسلمين، ويقوى هذا الاحتمال التسميات المختلفة لأبيه ــ كما مر معنا ــ وحينما سأله عبد الله بن عامر ــ والي البصرة من قبل عثمان ــ : ما أنت ؟ أخبره « أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام ورغب في جوارك »[١] دون أن يصرح له باسمه !

أما نسب ابن سبأ (لأمه) فهو من أم حبشية[٢] ولذلك فكثيرا ما يطلق عليه (ابن السوداء) ففي (البيان والتبيين) : « ... فلقيني ابن السوداء »[٣] وفي الطبرى : « ... ونزل ابن السوداء على حكيم بن جبلة في البصرة »[٤] وفي تاريخ الاسلام : « ... ولما خرج ابن السوداء الى مصر »[٥] وهم بهذا يتحدثون عن عبد الله بن سبأ. ولذلك قال المقريزى : « عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء »[٦] ومثل هذا كثير...

ومع هذا كله وكما وقع الخلط والاشكال في نسبة ابن سبأ لأبيه، وقع الخلط، وتصور من غفلوا عن هذه النسبة لأمه أن هناك شخصيتين : ابن سبأ وابن السوداء، ففي العقد الفريد : « ... منهم عبد الله بن سبأ نفاه الى ساباط، وعبد الله بن السوداء نفاه الى الحازر »[٧].

ويقول أبو المظفر الاسفرايني : « ووافق ابن السوداء عبد الله بن سبأ بعد وفاة علي في مقالته هذه »[٨].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٣٢٦/٤، ٣٢٧

(٢) محمد بن حبيب المحبّر (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد ١٣٦١ هـ) ص ٣٠٨

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٨١/٣

(٤) تاريخ الطبري ج ٣٢٦/٤.

(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ج ١٢٢/٢

(٦) المواعظ والاعتبار ج ٣٥٦/٢

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد (ط الثانية / مصر ١٣٥٩) ج ٢٤١/٢

(٨) التبصر في الدين (مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٤ هـ) ص ١٠٨.

ومثل هذا يقع عند البغدادى : « فلما خشي علي من قتل ابن السوداء وابن سبأ الفتنة نفاهما الى المدائن[١]».

والذي يرجح من مناقشة الروايات : أن ابن سبأ غير ابن وهب الراسبي وأنه هو نفسه ابن السوداء، والله أعلم.

ويبقى بعد ذلك الأصل اليهودى لابن سبأ هل هو محل اتفاق أم تتنازعه الآراء، كما تنازعت غيره ؟

يفترض المستشرق Hodgeson أن ابن سبأ ليس يهوديا في أغلب الاحتمالات[٢] مشايعا في ذلك للمستشرق الايطالي Levi Della Vida الذي يرى أن انتساب ابن سبأ الى قبيلة عربية هي (همدان) كما في نص (البلاذرى) الذي وقف عنده « ليفي ديلا فيدا » يمنع من أن يكون يهوديا [٣].

وهو ـــ كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى ـــ استنتاج لا مبرر له، فليس هناك من تناقض بين أن يكون المرء يهوديا وأن يكون من قبيلة عربية[٤].

وابن قتيبة أشار الى يهودية بعض القبائل العربية حينما قال : « كانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة »[٥].

وفوق ذلك فان الاتجاه الغالب في يهود اليمن أن أكثرهم من أصل عربي[٦].

ومع ذلك فليس مقطوعا بانتساب ابن سبأ الى همدان ـــ كما مر معنا ـــ وحتى لو قطع بذلك فهناك من يتردد بين نسبته لهمدان على الحقيقة نسبا، أم بالولاء[٧].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٥

(٢) M.G.S. Hodgson, Abd Alla B. Saba, The Encyclopaedia of Islam New Edition, Vol. I. 1960, p. 51

(٣) G. Levi Della Vida : «Il Califfato Di'ali Secondo Kitab 'ansab Al-Ashraf di Al-Baladuri», in RSO, anno, VI, Volume vl, p. 495, Roma, 1913

(٤) مذاهب الاسلاميين ج ٣٠/٢

(٥) المعارف : ص ٢٦٦.

(٦) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام (المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥ ـــ ١٩٥٦) ج ٢٦/٦

(٧) عبد الرحمن بدوي ـــ مذاهب الاسلاميين ج ٣٠/٢

أما المستشرق (اسرائيل فريد لندر) فانه يتشكك ــ في البداية ــ في يهودية ابن سبأ ويقول : « على الرغم من ذكر الطبرى، والكشي، وابن حزم والبغدادى ليهودية ابن سبأ فنحن نشك في هذا لأن لفظة يهودى تعنى الشتيمة في العربية »[1].

ولكنه يعود بعد ذلك ليضع الأمر محل الاحتمال، ويأتي بأدلة تقوى هذا الاحتمال، فهو من حمير وهي قبيلة يهودية، ثم هو من اليمن، ولليهود دور كبير في اليمن[2] في تلك الفترة، وأخيرا ــ كما في رأي فريد لندر ــ فكونه من صنعاء يقوى هذا الاحتمال، لأن صنعاء كان بها جالية يهودية كبيرة[3].

ولئن كان هذا الشك في يهودية ابن سبأ عند بعض المستشرقين، انما جاء نتيجة اعتراض يقضي بأن ابن سبأ في تصوراته عن المهدى كان متأثرا بالانجيل أكثر من تأثره بالتوراة وهو اعتراض قد يقلل من يهودية ابن سبأ، الا أن هذا الاعتراض يضعف حينما نتبين رأي بعض الباحثين في طبيعة اليهودية في بلاد اليمن ــ في تلك الفترة ــ وأنها امتزجت فيها المسيحية بالموسوية، وكانت يهودية سطحية[4].

وأن يهودية ابن سبأ ربما كانت أقرب الى يهودية (الفلاشا) وهم يهود الحبشة، وهذه اليهودية شديدة التأثر بالمسيحية الحبشية[5].

---

(١) فريد لندر ــ المجلة الاشورية ــ سنة ١٩١٠ م ص ٢٤، ٢٥

(٢) كانت اليمن من المواضع التي عششت فيه اليهودية وباضت، والدكتور «جواد علي» وهو يشير الى أنه ليس لدينا علم واضح دقيق عن وقت مجيء اليهودية لليمن، وكيفية ذلك فهو يرى أن دخول اليهود اليمن مرده الى اتصال اليمن من عهد قديم بطرق القوافل التجارية البحرية والبرية ــ ببلاد الشام، والى هجرة جماعات من اليهود إلى هذا القطر عن طريق « الحجاز » لأسباب منها التجارة، واضطهاد الرومان لهم.. انظر (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥٣٧/٦، ٥٣٨.

(٣) المجلة الآشورية ١٩١٠ ص ٢٤.

(٤) غزارتس : تاريخ اليهود ج ٧٧/٣ (عن عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ج ٢٨/٢)

(٥) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ج ٢٨/٢

وعلى أية حال فالأصل في المسيحية أنها امتداد لليهودية، وانتظار (المسيا) Messiah عقيـدة يهوديـة، كما تقـرر ذلك الموسوعـات ودوائـر المعـارف الأجنبيـة[1] مع أنها مسيحية.

وهذا الأصل اليهودي لابن سبأ لم يكن محل خلاف في الروايات التاريخية، أو لدى كتب الفرق، وفي آراء المتقدمين، أمثال : الطبرى، وابن عساكر، وابن الأثير، والبغدادى، وابن حزم ــ كما تقدم ــ أو أمثال شيخ الاسلام ابن تيمية[2] عليهم رحمة الله.

نشأة ابن سبأ :

على ضوء المعلومات السابقة، واذا ما نحن تمعنا في الأجواء التي نشأ فيها ابن سبأ أمكننا الوقوف على النقاط الآتية :

١ ــ بتغليب الروايات السابقة نجد أن ابن سبأ نشأ في اليمن، سواء كان في قبيلة حمير أو همدان ولا نستطيع الجزم بأيهما.

٢ ــ كان لليهود وجود في اليمن، لم يستطع بعض الباحثين أن يحدد وقته على وجه الدقة[3]. وقال عنه البعض الآخر انه يرجع في بعض الآراء الى سنة ٧٠ م.، وذلك حينما نزح اليهود من فلسطين بعد أن دمرها الامبراطور الروماني (تيتوس) وحطم هيكل (أورشليم) وعلى أثرها تفرق اليهود في الأمصار، ووجد بعضهم في اليمن بلدا آمنا فالتجأوا اليه، وانتشرت اليهودية[4].

---

(١) انظر : Pierson Parker, Encyclopaedia International, 1976, Vol, II, p. 557.
وانظر كذلك : R.J.Z.W., Encyclopaedia Britannica, 1975, Vol. II, pp. 1017-1022
جاء في الموسوعة البريطانية أن كلمة (Messiahism) مشتقة من الكلمة العبرية Moshiah وتدل على مفهوم ديني عن شخص يحمل رسالة خاصة من الله.

(٢) الفتاوي، ج ٢٨/٤٨٣.

(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قب الاسلام ج ٦ / ٥٣٧، ٥٣

(٤) أحمد حسين : اليمن عبر التاريخ (ط الثالثة ١٤٠٠ هـ الرياض) ص ١٥٨

٣ ــ بعد أن استولى الأحباش على اليمن سنة ٥٢٥ م. بدأت النصرانية تدخل اليمن[١].

٤ ــ على اثر هذا امتزجت تعاليم (التوراة) مع تعاليم (الانجيل) وكانت اليهودية في اليمن يهودية سطحية[٢].

٥ ــ ولكن اليهودية وان ضعفت في اليمن بدخول الأحباش فيها، فانها بقيت مع ذلك محافظة على كيانها، فلم تنهزم ولم تجتث من أصولها[٣].

ولعلنا من خلال تلك الإشارات أن نستجمع المحيط الذي نشأ فيه عبد الله بن سبأ والبيئة التي صاغت أفكاره.

فنشأته كانت في بيئة يهودية، واليهودية التي عاشها كانت تمتزج بها تعاليم المسيحية ونستطيع بعد هذا أن نفهم الازدواجية في التأثير في الآراء التي نادى بها ابن سبأ وخاصة في عقيدة (الرجعة) و (الوصية) حينما قال : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذّب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد[٤] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى... ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد... »[٥].

على كل حال فهي معلومات ضئيلة لا تروى غليلا، ولا تهدى سبيلا ولعل مرد ذلك الى المصادر التي بين أيدينا، فهي لا تكاد تبين عن نشأة ابن سبأ... كما أن المعلومات عن (فتوة) ابن سبأ، قبل ظهوره غير موجودة ونحن هنا مضطرون للصمت عما سكت عنه الأولون حتى تخرج آثار أخرى تزيل الغبشْ وتكشف المكنون...

ظهور ابن سبأ بين المسلمين :

يرد في تاريخ الطبرى ويتابعه ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥ هـ. أن ابن سبأ كان يهوديا من أهل صنعاء، وأنه أسلم زمن عثمان، وأخذ ينتقل في بلدان المسلمين من قطر لآخر، محاولا ضلالتهم، فابتدأ بالحجاز، ثم البصرة، فالكوفة، ثم الشام فلم يقدر على شيء

---

(١) المرجع نفسه صن ١٥٨، ١٥٩

(٢) غرارتس، تاريخ اليهود ج ٧٧/٣ (نقلا عن عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ج ٢٨/٢)

(٣) جواد علي : تارئخ العرب قبل الاسلام ج ٣٤/٦.

(٤) الآية ٨٥، القصص.

(٥) نارئخ الطبري ج ٣٤٠/٤.

فيها فأتى مصر واستقر بها وطابت له أجواؤها[1].

فمتى كان ظهوره بين المسلمين ؟

أول ذكر لابن سبأ عند ابن كثير يرد في سنة ٣٤ هـ. وفيه الحديث عن ابن سبأ، وأنه كان سبب تألب الأحزاب على عثمان[2].

ثم أورده في أحداث سنة ٣٥ هـ. مع الأحزاب الذين قدموا من مصر يدعون الناس الى قتال عثمان ونصر الدين، وأنه أكبر الجهاد اليوم[3].

وعند ابن عساكر أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين، وأسلم زمن عثمان وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ومن بين تلك الأقطار (دمشق) ولكن دون أن يحدد سنة بعينها[4].

أما الطبري ويتابعة ابن الأثير فنجد عندهما ذكرا لابن سبأ بين المسلمين قبل سنة ٣٤ هـ في الكوفة (فيزيد بن قيس)[5] ذلك الرجل الذي دخل المسجد في الكوفة يريد خلع عثمان أو عامل عثمان (سعيد بن العاص) انما شاركه وثاب اليه الذين كان (ابن السوداء) يكاتبهم[6].

وهذا يعنى ظهور ابن سبأ قبل هذا التاريخ، وتكوين أعوان له في الكوفة هم الذين اجتمعوا الى (يزيد) وتأكيد هذا عند الطبرى، ففي سنة ٣٣ هـ. وبعد مضي ثلاث سنين من امارة (عبد الله بن عامر) على البصرة يعلم بنزول ابن سبأ على (حكيم بن جبلة) وتكون المقابلة بين ابن عامر وابن سبأ[7].

ونستمر في الاستقراء فنجد ظهورا لابن سبأ بين المسلمين قبل هذا، ففي سنة ٣٠ هـ. يرد ابن السوداء الشام، ويلتقي بأبي ذر ويهيجه على معاوية...[8].

---

(١) الطبري ج ٣٤٠/٤، ابن الأثير ج ١٥٤/٣

(٢) البداية والنهاية ج ١٨٣/٧

(٣) البداية والنهاية ج ١٩٠/٧

(٤) تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٣

(٥) هو ابن تمام الأرحبي، من بني صعب بن دومان، من همدان، وال، من الرؤساء الكبار في اليمانيين ادرك النبي ﷺ، وسكن الكوفة، كان مع علي في حروبه، قتل في صفين سنة ٣٧ (الزركلي الاعلام ٢٤١/٩).

(٦) الطبري ج ٣٣١/٤، ابن الأثير ج ١٤٧/٣

(٧) الطبري ج ٣٢٦/٤، ابن الأثير ج ١٤٤/٣.

(٨) الطبري ج ٢٨٣/٤، ابن الأثير ١١٤/٣ — وسنأتي على تحقيق القول في قضية تأثير ابن سبأ على أبي ذر فيما بعد.

ابن سبأ في الحجاز :

لما كان ظهوره في الحجاز قبل ظهوره في البصرة والشام ــ كما سبق بيان ذلك من خلال رواية الطبرى ــ فلا بد أن يكون قد ظهر في الحجاز، قبل سنة ٣٠ هـ.، لأن ظهوره في الشام كان في هذا التاريخ وفي الحجاز لا تكاد تطالعنا الروايات التاريخية على مزيد من التفصيل ولعل في هذا دلالة على عدم استقرار أو مكث لابن سبأ في الحجاز، عدا ذلك المرور في طريقه التخريبي، ولكنه كما يبدو لم يستطع شيئا من ذلك فتجاوز الحجاز الى البصرة.

ظهوره في البصرة :

وفي البصرة كان نزول ابن سبأ على رجل موتور من (بني عبد القيس) (حكيم ابن جبلة العبدى) وخبره كما ورد في الطبرى : « لما مضى من امارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم رجلا لصا اذا قفلت الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم ويفسد في الأرض، ويصيب ما يشاء،.ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة الى عثمان، فكتب الى عبد الله ابن عامر : « أن أحبسه ومن كان مثله فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا » فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج منها، فلما قدم ابن السوداء نزل عليه [1].

وبقية خبر الطبرى يفيدنا أنه لقي آذانا صاغية في البصرة، وان كان لم يصرح لهم بكل شيء فقد قبلوا منه واستعظموه [2].

وشاء الله أن تحجم هذه الفتنة، ويتفادى المسلمون بقية شرها وذلك حينما بلغ والي البصرة (عبد الله بن عامر) خبر ابن سبأ فأرسل اليه، ودار بينهما هذا الحوار : « ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام والجوار فقال ابن عامر : ما يبلغني ذلك ! اخرج عني » فأخرجه حتى أتى الكوفة [3].

---

(١) الطبري ج ٣٢٦/٤

(٢) المصدر نفسه ج ٣٢٦/٤، ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه ج ٣٢٦/٤، ٣٢٧.

ظهوره في الكوفة :

الذي يبدو أن ابن سبأ بعد اخراجه من البصرة، واتيانه الكوفة لم يمكث بها طويلا حتى أخرجه أهلها منها كما في بقية خبر الطبري[1].

لكنه وان كان قد دخل الكوفة ثم أخرج منها سنة ٣٣ هـ. الا أن صلته بالكوفة لم تنته باخراجه فلقد بقيت ذيول الفتنة في الرجال الذين بقى يكاتبهم ويكاتبونه وتختلف الرجال بينهم[2].

وسنشرح بعد ان شاء الله وأثناء حديثنا بالتفصيل عن آثار بن سبأ في الفتنة زمن عثمان ما أجملناه هنا، ونكتفي في هذا المقام بما أشرنا إليه.

ظهور ابن سبأ في الشام :

وفي ظهور ابن سبأ في الشام يقابلنا في الطبرى نصان يعطى كل واحد منهما مفهوما معينا.

فيفيد النص الأول ان ابن سبأ لقي أبا ذر بالشام سنة ٣٠ هـ. وأنه هو الذي هيجه على معاوية حينما قال له : ألا تعجب الى معاوية ! يقول المال مال الله، كأنه يريد أن يحتجزه لنفسه دون المسلمين ؟ وأن أبا ذرّ ذهب الى معاوية وأنكر عليه ذلك[3].

بينما يفهم من النص الآخر : أن ابن سبأ لم يكن له دور يذكر في الشام، وانما أخرجه أهلها حتى أتى مصر[4]، وبناء على النص الأول فهناك رأي يقول أن ابن سبأ كان له دور واضح في الشام، وأنه هو الذي زرع الفتنة، وحرك على معاوية صحابيا جليلا أذعن عامة الشاميين لأقواله، وضاق به ذرعا معاوية الحليم، وأخيرا ألّب الفقراء على الأغنياء... كل ذلك كان بتأثير ابن سبأ ذلك الرجل الذكي وصاحب الفراسة الصادقة ![5]

---

(١) المصدر نفسه ج ٣٢٧/٤، ابن الأثير ج ١٤٤/٣

(٢) المصدر نفسه ج ٣٢٧/٤، ابن الأثير ج ١٤٤/٣.

(٣) الطبري ج ٢٨٣/٤.

(٤) المصدر نفسه ج ٣٤٠/٤.

(٥) سعيد الأفغاني : عائشة والسياسة ص ٦١، ٦٢، وهو يرد على الطبري قوله « انه لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام » بتأثير ابن سبأ على أبي ذر في الشام.

وعلى فرض صحة هذا الرأى فان أقرب توجيه للنصوص هو أن يكون ابن سبأ دخل الشام مرتين، كانت الأولى سنة ٣٠ هـ، وهي التي التقى فيها بأبي ذرّ.

وكانت الثانية بعد اخراجه من الكوفة سنة ٣٣ هـ. وهي التي لم يستطع التأثير فيها مطلقا، ولعلها هي المعنية بالنص الثاني عند الطبرى.

وعلى أية حال فما المانع أن يكون ابن سبأ قد التقى بأبي ذرّ سنة ٣٠ هـ. ولكن لم يكن هو الذي أثّر عليه وهيجه على معاوية. ومن هنا نفهم نصوص الطبرى ونجمع بينها، ولا يكون ثمة تعارض بين لقيا ابن سبأ لأبي ذرّ ثم محاورته لمعاوية في شأن المال، وبين قول الطبرى : « انه لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام »(١) ويرجح هذا ما يلي :

١ ـــ لم تكن مواجهة أبي ذرّ رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه وحده بهذه الآراء، وانما كان ينكر على كل من يقتني مالا من الأغنياء، ويمنع أن يدخر فوق القوت متأولا قوله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة...** ﴾(٢).

٢ ـــ وحينما أرسل معاوية الى عثمان رضي الله عنه يشكو اليه أمر أبي ذرّ لم تكن منه اشارة الى تأثير ابن سبأ عليه، واكتفى ان قال : « ان أبا ذرّ قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت... »(٣).

٣ ـــ ذكر ابن كثير الخلاف الواقع بين أبي ذرّ ومعاوية بالشام في أكثر من موضع في كتابه، ولم يرد ذكر ابن سبأ في واحد منها التي ذكر تأول أبي ذر لآية (براءة) السابقة(٤).

٤ ـــ وفي صحيح البخارى ورد الحديث الذي يشير الى أصل الخلاف بين أبي ذرّ ومعاوية، وليس فيه الاشارة من قريب أو بعيد الى ابن سبأ، فعن (زيد بن وهب) قال : « مررت بالربذة(٥)، فاذا أنا بأبي ذرّ رضي الله عنه، فقلت له : ما أنزلك

---

(١) الطبري ج ٣٤٠/٤.
(٢) سورة التوبة، الآية ٣٤، ابن كثير ج ١٧٠/٧.
(٣) الطبري ج ٢٨٣/٤.
(٤) ابن كثير ج ١٧٠/٧، ١٨٠.
(٥) (الرّبذة : بفتح أوله وثانيه وذال معجمة مفتوحة أيضا من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة، وبها قبر أبي ذر الغفاري) معجم البلدان ج ٢٤/٣.

منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾ قال معاوية : نزلت في أهل الكتاب، فقلت : نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك »، وكتب الى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال لي : « ان شئت تنحيت فكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت ! »[1].

٥ ــ وفي أشهر الكتب التي ترجمت للصحابة ترد محاورة معاوية لأبي ذرّ، ثم نزوله الربذة، ولكن شيئا من تأثير ابن سبأ على أبي ذرّ لا يذكر[2].

٦ ــ بل ورد الخبر في الطبرى هكذا... فأما العاذرون معاوية في ذلك ــ يعنى إشخاص معاوية أبا ذرّ إلى المدينة ــ فذكروا في ذلك قصة ورود ابن السوداء الشام ولقياه أبا ذر الخ...[3] والحقيقة أن ليس هناك مجال للاعتذار عن معاوية فيما صنع، فهو لم يفعل شيئا يوجب الدفاع عنه، وحتى حواره مع أبي ذر ثم شكواه الى الخليفة انما يمثل الأدب والتواضع من الطرفين فأبو ذرّ رضي الله عنه يستفهم من معاوية « ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ »[4] ومعاوية رضي الله عنه يجيب برفق : « يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه والأمر أمره »[5].

٧ ــ وأخيرا فانه يبقى في النفس شيء من تلك الحادثة، اذ كيف يستطيع يهودى خبيث حتى ولو تستر بالاسلام أن يؤثر على صحابي جليل كان له من فضل الصحابة ما هو مشهود، بل كان له من الاستقلال بآرائه ما يجعله يرفع محجنه فيشج بها رأس

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/١١١ (ط استانبول).
(٢) الاستيعاب ج ١/٢١٤، أسد الغابة ج ١/٣٥٧، الاصابة ج ٤/٦٢
(٣) الطبري ج ٤/٢٨٣
(٤) الطبري ج ٤/٢٨٣
(٥) الطبري ج ٤/٢٨٣

(كعب الأحبار) حينما اعترض على أبي ذرّ قائلا : « من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه »[1] وهل يوازى كعب الأحبار ابن سبأ سمعة بين المسلمين ؟ وكيف بامكاننا أن نقبل تأثر أبي ذرّ بابن سبأ اليهودي، ثم نذكر كلمة أبي ذرّ لكعب « يا ابن اليهودية ما أنت وما هاهنا ؟ والله لتسمعن منى أو لأدخل عليك »[2].

ظهور ابن سبأ في مصر :

على ضوء استقراء النصوص ــ على الوجه السالف ــ يكون ظهور ابن سبأ في مصر بعد خروجه من الكوفة، واذا كان ظهوره في البصرة سنة ٣٣ هـ. ــ كما مر ــ ثم أخرج منها الى الكوفة، ومن الكوفة استقر بمصر، فان أقرب توقيت لظهور ابن سبأ في مصر يكون في سنة ٣٤ هـ. اذ أن دخوله البصرة وطرحه لأفكاره فيها، وتعريجه على الكوفة ثم طرده منها، واتجاهه بعد ذلك الى مصر... كل هذا يحتاج الى سنة على الأقل، ويؤكد هذا ابن كثير في تاريخه فيضع ظهور بن سبأ في مصر ضمن أحداث سنة ٣٤ هـ.[3] . وتابع (السيوطي) ذلك الرأي فأشار الى دخول ابن سبأ مصر في هذا التاريخ[4].

وفي مصر اختار ابن سبأ النهج الذي يساعده على الظهور، وقبل هذا اختار العصبة التي ينزل عليها حتى يأمن العثور، فلقد اعتمد على بعض ابناء وجهاء القبائل اليمنية النازلة بمصر، أمثال (الغافقي بن حرب العكي)، و (سودان بن حمران السكوني)[5].

وفي النهج فان ابن سبأ لما قدم مصر عجم أهلها واستخلاهم فاستحلوه، وعرض لهم بالكفر فأبعدوه، وعرض لهم بالشقاق فأطعموه[6]، بل لقد فطن للرجل الذى سيقف في طريقه ويبطل مخططه فبدأ اثارة الناس على عمرو بن العاص رضي الله عنه ــ داهية العرب

---

(١) الطبري ج ٤/٢٨٤

(٢) المصدر نفسه ج ٤/٢٨٤

(٣) ابن كثير ج ٧/١٨٣.

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (نشر مصطفى أفندي فهمي، وأخويه / القاهرة ١٣٢١) ج ٢/١٦٤.

(٥) ابن العربي : العواصم من القواصم (حاشية محب الدين الخطيب) ص ١١٢، ١١٣، وانظر عمار الطالبي : آراء الخوارج ص ٧٠.

(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤/أ.

وبطل الاسلام ـ ووالي مصر في تلك الفترة ـ، واتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكأة يعتمد عليها « وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس... »[1] وخاصة اذا كان الأمر بالمعروف يشبع رغبة في النفوس فهو وسيلة ينتفع بها غوغاء الناس ، ولقد بدأ ابن سبأ فطعن في عمرو بن العاص قائلا : « ما باله أكثركم عطاء ورزقا ؟ ألا ننصب رجلا من قريش يسوى بيننا ؟ » فاستحلوا ذلك منه[2].

لن نمضي أكثر من ذلك فنتيجة ذلك، وآثار ابن سبأ في مصر سنرجئها الى الفصل الثالث حينما نتحدث بالتفصيل عن آثار ابن سبأ في اذكاء الفتنة زمن عثمان بمشيئة الله تعالى.

محاولات التشكيك في وجود عبد الله بن سبأ وما ينسب اليه من أعمال

أولا : عبد الله بن سبأ في كتب المتقدمين :

أ ـ عند أهل السنة :

يعتبر الجاحظ (٢٥٥ هـ.) من أوائل من أشار الى عبد الله بن سبأ[3]، ولكن ليست روايته أقدم رواية وردت عن ابن السوداء كما يرى الدكتور جواد علي[4].

فابن حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ.) جاء على ذكر ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[5]، وقيل هذا رواية عن الشعبي (١٠٣ هـ.) تفيد أن (أول من كذب عبد الله ابن سبأ)[6]. بل اننا نجد آراء عبد الله بن سبأ وطائفته السبئية قبل هذا التاريخ، جاء ذلك في

---

(١) الطبري ج ٣٤١/٤، ابن الأثير ١٥٤/٣

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤/أ

(٣) البيان والتبيين ج ٨١/٣

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس، ص ٦٧

(٥) المحبّر : ص ٣٠٨

(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤

كتاب (الحسن بن محمد بن الحنفية) (٩٥ هـ. أو ١٠٠ هـ.)[١]، والذي أمر بقراءته على الناس وفيه : « ... ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، اذ يقولوا هدينا لوحى ضل عنه الناس... »[٢].

وفي الطبقات جاء ابن سعد (٢٣٠ هـ.) على ذكر السبئية، وان كان لم يشر الى ابن سبأ بعينه[٣] ويروى لنا الجوزجاني (٢٥٦ أو ٢٥٩ هـ.) أن من مزاعم عبد الله بن سبأ إدعاؤه أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند علي وأن عليا نفاه بعد ما كان همّ به[٤].

أما البلاذري (٢٧٩ هـ) فيذكره في جملة من أتوا إلى علي يسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر ؟ وحينما كتب علي الكتاب الذي أمر بقراءته على شيعته كان عند ابن سبأ نسخة منها وقد حرفها ![٥].

أما الطبرى (٣١٠ هـ.) فقد أفاض في ذكر أخبار ابن سبأ وآثاره، معتمدا في الغالب على روايات (سيف بن عمر التميمي) ولذلك فابن سبأ عنده رأس الفتنة، وأساس البلاء[٦]، ووافق الطبرى ابن الأثير (٦٣٠ هـ.) فأورد روايات الطبرى بعد حذف أسانيدها[٧].

أما ابن عساكر (٥٧١ هـ.) فيوافق الطبرى في روايات سيف عن ابن سبأ، فيذكر بعضها، ويزيد على ذلك بروايات أخرى، لا ينتهى سندها الى سيف. وهذا مما يزيد الأمر تأكيدا، خاصة اذا علمنا أن من هذه الروايات ما يرقى درجة اسنادها الى الصحة، وبعضها الآخر الى درجة الحسن كما سيأتي بيانه[٨].

---

(١) ذكر الذهبي أن وفاته كانت سنة ٩٥ هـ (الكاشف ج ٢٧/١)، وذكر ابن حجر وفاته سنة ١٠٠ ه أو قبلها بعام (التقريب ج ١٧١/١)

(٢) الايمان (مخطوط)، رسالة الارجاء للحسن بن محمد بن الحنفية ص ٢٤٩/ب

(٣) الطبقات الكبرى ج ٣٩/٣، ج ١٩٢/٦

(٤) الضعفاء (مخطوط) ص ٣ ب

(٥) أنساب الأشراف، تحقيق عن باقر المحمودي ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٦) الطبري ج ٣٤٠/٤.

(٧) الكامل ج ١١٤/٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٤ الخ.

(٨) في صفحات متأخرة من هذا الفصل سآتي على بعض هذه الروايات.

وقبل هذه الروايات عرّف ابن عساكر ابن سبأ ببضع كلمات قال فيها : « عبد الله ابن سبأ الذي تنسب إليه السبئية ــ وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهوديا وأظهر الاسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان »[1].

ويروى لنا ابن كثير (٧٧٤ هـ.) أن من أسباب تألّب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ، وصيرورته الى مصر، واذاعته على الملأ كلاما اخترعه من عند نفسه فيقول : « أليس قد ثبت أن عيسى سيعود الى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم، فيقول له : فرسول الله أفضل منه، فما تنكر أن يعود الى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى ثم يقول : وقد كان أوصى الى علي فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول : فهو أحق بالأمر من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر... »[2].

ونعود الى كتب الرجال، والى علماء الجرح والتعديل فنجد عندهم ذكرا لعبد الله ابن سبأ على النحو التالي :

يقول ابن حبان (٣٥٤ هـ.) : « ... وكان الكلبي[3] سبئيا، من أصحاب عبد الله ابن سبأ، من أولئك الذين يقولون أن عليا لم يمت، وأنه راجع الى الدنيا قبل قيام الساعة، فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وان رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها... »[4].

ويقول في ترجمة (جابر بن يزيد الجعفي) : « ... وكان سبئيا من أصحاب عبد الله ابن سبأ، وكان يقول ان عليا عليه السلام يرجع الى الدنيا... »[5]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٣/ب.
(٢) البداية والنهاية ج ١٨٣/٧.
(٣) هو، محمد بن السائب الكلبي ــ وسيأتي التعريف به، في فصل لاحق بإذن الله.
(٤) المجروحين (دار الوعي بحلب، ط الأولى ١٣٩٦) ج ٢٥٣/٢.
(٥) المصدر نفسه (دار الوعي بحلب، ط الأولى ١٣٩٦) ج ٢٠٨/١.

ويقول عنه الذهبي (٧٤٨ هـ.) : « عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة، ضال مضل »[١] وفي الميزان : « من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن عليا حرقه بالنار »[٢] وهو عنده : المهيج للفتنة بمصر، وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على الامام فيها[٣].

أما ابن حجر (٨٥٢ هـ.) فقد سرد روايات ساقها ابن عساكر في تاريخه، وقبل منها روايات لا تتصل بسيف بن عمر البتة، ثم قال في النهاية : « وأخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ، وليست له رواية والحمد لله »[٤].

ومن كتب التراث (العقد الفريد) وقد أكد ابن عبد ربه (٣٢٨ هـ.) أن ابن سبأ، وطائفته السبئية، قد سلكوا مسلك الغلو في علي، حينما قالوا هو الله خالقنا ! — تعالى الله — كما غلت النصارى في المسيح بن مريم عليه السلام ولذلك قال فيهم السيد الحميرى :

قوم غلــوا في علـــي لا أبا لهم ... وأجشموا أنفسا في حبــه تعبــا
قالـــوا هو الله جل الله خالقنـــا ... من أن يكون ابن شيء أو يكون أبا[٥]

وعند مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ.) أن عبد الله بن سبأ قال للذي جاء ينعى اليه موت علي بن أبي طالب : « لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه... »[٦].

ويقول المالقي (٧٤١ هـ.) : « وفي سنة ثلاث وثلاثين تحرك جماعة في شأن عثمان رضي الله عنه... وكانوا جماعة منهم مالك الأشتر، والأسود بن يزيد... وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء... »[٧].

---

(١) المغني في الضعفاء ج ٣٣٩
(٢) ميزان الاعتدال ج ٢/٤٢٦.
(٣) تاريخ الاسلام ج ٢/١٢٢، ١٢٣.
(٤) لسان الميزان ج ٣/٢٩٠.
(٥) العقد الفريد ج ٢/٤٠٥.
(٦) البدء والتاريخ ج ٥/١٢٩.
(٧) محمد بن يحيى المالقي: التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (دار الثقافة : بيروت، ط الأولى) ص ٥٤.

أما الصفدى (٧٦٤ هـ.) فقد قال في ترجمته لابن سبأ : « انه قال لعلي رضي الله عنه أنت الاله ! فنفاه الى المدائن، فلما قتل علي زعم ابن سبأ أنه لم يمت لان فيه جزءا الهياً، وان ابن ملجم انما قتل شيطانا تصوّر بصورة علي، وأن عليا في السحاب، والرعد صوته، والبرق صوته، وأنه سينزل الى الأرض فيملأها عدلا... »[1].

وعند الجرجاني (٨١٦ هـ.) أن أصحاب عبد الله بن سبأ حينما يسمعون الرعد : يقولون : « عليك السلام يا أمير المؤمنين »[2].

ويقول نشوان الحميرى (٥٧٣ هـ.) : « ... فقالت السبئية ــ عبد الله بن سبأ ومن قال بقوله ــ ان عليا حي لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ويرد الناس على دين واحد قبل يوم القيامة، وقال عبد الله بن سبأ للذي جاء الى المدائن ينعى عليا عليه السلام، لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، فقال ابن عباس ــ وقد ذكر له قول ابن سبأ ــ لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه، ولا أقسمنا ميراثه »[3].

ويغلب على ظن السمعاني (٥٦٢ هـ.) أن عبد الله بن وهب ــ زعيم الخوارج ــ منسوب الى عبد الله بن سبأ ــ زعيم السبئية[4].

أما الزبيدى (١٢٢٥ هـ.) فيرى أن سبأ الوارد في حديث (فروة بن مسيك المرادى) هو والد عبد الله بن سبأ صاحب السبائية من الغلاة[5].

ويعقد ابن تيمية (٧٢٨ هـ.) شبها بين عبد الله بن سبأ، وبين (بولص النصراني) فعلى حين أظهر ابن سبأ الاسلام، وأبطن اليهودية للنيل من المسلمين، كان بولص يهوديا في

---

(١) الوافي بالوفيات (مخطوط) ج ١٧/ ٢٠
(٢) التعريفات ــ ص ٧٩
(٣) الحور العين (مكتبة الخانجي بمصر ١٩٤٨ ص ١٥٤
(٤) الأنساب ج ٧/ ٢٤
(٥) تاج العروس ج ١/ ٧٥، ٧٦، وانظر الحديث في الصفحات المشار إليه من الكتاب.

إفساده دين النصارى[1]، لكن لم يتأت له ما تأتي لبولص لضعف دين النصارى وعقلهم، فان المسيح صلى الله عليه وسلم رفع ولم يتبعه خلق كثير، يعلمون دينه ويقومون به علما وعملا، فلما ابتدع بولص ما ابتدعه من الغلو في المسيح اتبعه على ذلك طوائف وأحبوا الغلو في المسيح، ودخلت معهم ملوك...[2].

وفي خطط المقريزى (٨٤٥ هـ.) أن عبد الله بن سبأ قام في زمن علي رضي الله عنه محدثا القول بالوصية والرجعة والتناسخ...، وهو قبل هذا المثير للفتنة الكبرى المنتهية بقتل عثمان رضي الله عنه[3].

ويشير الشاطبي (٧٩٠ هـ.) الى أن بدعة السبائية (أصحاب عبد الله بن سبأ) من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله ــ تعالى الله ــ وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات[4].

ويتفق المشاهير من أصحاب المقالات والفرق على ذكر عبد الله بن سبأ، وأنه شخصية خبيثة، ظهر في مجتمع المسلمين بعقائد وأفكار، ليلفت المسلمين عن دينهم، ثم اجتمع اليه من غوغاء الناس ما تكونت بهم طائفة السبائية المشهورة، وان كان هناك اختلاف بينهم في عرض أخباره ومن أمثال هؤلاء...

أبو الحسن الأشعرى (٣٣٠ هـ.)[5]، والملطي (٣٧٧ هـ.)[6]، والبغدادي (٤٢١ هـ.)[7]، وابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ.)[8]، والاسفرائيني (٤٧١ هـ.)[9]، والشهرستاني (٥٤٨ هـ.)[10]، وفخر الدين الرازى (٦٠٦ هـ.)[11]، والكرماني (٧٨٦ هـ.)[12].

---

(١) الفتاوي ج ٢٨/٤٨٣.
(٢) مناهج السنة (مطبعة بولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٢) ج ٣/٢٦١
(٣) المواعظ والاعتبار ج ٢/٣٥٦، ٣٥٧.
(٤) الاعتصام (نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر) ج ٢/١٩٧.
(٥) مقالات الاسلاميين ج ١/٨٦
(٦) التنبيه والرد ص ١٨
(٧) الفرق بني الفرق ص ٢٢٥
(٨) الفصل.. ج ٤/١٨٣
(٩) التبصر في الدين ص ١٠٨
(١٠) الملل والنحل ج ١/١٥٥
(١١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧
(١٢) الفرق الاسلامية (ذيل شرح المواقف) ص ٣٤

هذا ما تيسر جمعه من أقوال العلماء، من سلف الأمة، وكلها تأكيدات واضحة، واجماع لا يقبل النقض والابرام بشأن ثبوت شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى.

والآن وبعد عرض آراء أهل السنة في عبد الله بن سبأ ننتقل الى الحديث عن عبد الله ابن سبأ عند الشيعة.

ب ــ عند الشيعة :

أورد الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ.) عن ابن سبأ، والسبئية ما نصه : « وفرقة زعموا أن عليا عليه السلام حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وكان عبد الله بن سبأ رجلا من أهل صنعاء، يهوديا، أسلم على يد علي، وسكن المدائن... »[١].

وذكر القمي (٣٠١ هـ.) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليا أمره بذلك، وان التقية لا تجوز، فأخبر علي فسأله عن ذلك فأقرّ به، وأمر بقتله فصاح الناس اليه من كل ناحية : « يا أمير المؤمنين : أتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت، والى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره الى المدائن »[٢].

ويساير النوبختي (٣١٠ هـ.) القمي في تأكيد أخبار عبد الله بن سبأ فيذكر مثلا أنه لما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : « كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت، ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض »[٣].

وأورد الكشي (من رجال القرن الرابع) عدة روايات تؤكد حقيقة ابن سبأ، وتبين شيئا من أخباره، وهذه بعضها :

« حدثني محمد بن قلويه القمي، قال حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف القمي، قال حدثني محمد بن عثمان العبدى عن يونس به عبد الرحمن بن عبد الله بن سنان قال : حدثني أبو جعفر عليه السلام : أن عبد الله بن سبأ كان يدَّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه

---

(١) مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات / تحقيق يوسف فان اس (بيروت سنة ١٩٧١) ص ٢٢، ٢٣.
(٢) المقالات والفرق ص ٢٠
(٣) فرق الشيعة ص ٢٣.

السلام، وسأله فأقرّ بذلك، وقال : نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله وأني نبي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب، فأبى فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار، وقال : ان الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك »[1].

وعن أبان بن عثمان قال : « سمعت أبا عبد الله يقول، لعن الله بن سبأ، انه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أمير المؤمنين عبدا لله طائعا، الويل لمن كذب علينا، وان قوما يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا نبرأ الى الله منهم، نبرأ الى الله منهم »[2].

وعن أبي حمزة الثمالي قال : « قال علي بن الحسين : لعن الله من كذب علينا، اني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمرا عظيما ما له لعنه الله... »[3].

ويذكر أبو حاتم الرازى (٣٢٢ هـ.) أن عبد الله بن سبأ، ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن عليا هو الاله، وأنه يحيي الموتى، وادعوا غيبته بعد موته، ووقفوا عليه...[4].

أما رئيس المحدثين أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي (٣٨١ هـ.) فقد ذكر في الحديث الثامن من باب التعقيب ما نصه : « وقال أمير المؤمنين عليه السلام : اذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه الى السماء، ولينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ : يا أمير المؤمنين. أليس الله عز وجل بكل مكان ؟ قال : بلى، قال : فلم يرفع يديه الى السماء ؟ قال أو ما تقرأ : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ فمن أين يطلب الرزق الا من موضعه، وموضع الرزق وما وعد الله عز وجل السماء »[5].

وفي كتابه (الخصال) أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولا بالسند الآتي :

« حدثني أبي رضي الله عنه، قال : حدثني سعد بن عبد الله قال : حدثني محمد ابن علسى بن عبيد اليقطيني عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : حدثني أبي، عن جدى عن آبائه عليهم السلام، أن أمير المؤمنين عليه السلام علم أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب

(١) الكشي : رجال الكشي ص ٩٨، ٩٩، معرفة أخبار الرجال (المطبعة المصطفوية ١٣١٧) ص ٧٠

(٢) رجال الكشي ص ١٠٠، معرفة أخبار الرجال ص ٧٠

(٣) رجال الكشي ص ١٠٠، معرفة أخبار الرجال ص ٧٠

(٤) الزينة في الكلمات الاسلامية (دار الحرية للطباعة، بغداد) ص ٣٠٥.

(٥) من لا يحضره الفقيه (نشر دار الكتب الاسلامية، ط الخامسة) ج ١ ص ٢١٣.

مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه... »[1] وذكر الخبر السابق وقال المعلق على كتاب الخصال (على اكبر الغفارى) على توثيق هذا الخبر المسند ما نصه :

« قال العلامة المجلسي رحمه الله اعلم أن أصل هذا الخبر في غاية الوثاقة، والاعتبار، على طريقة القدماء، وان لم يكن صحيحا بزعم المتأخرين، واعتمد عليه الكلينى رحمه الله وذكر أكثر أجزائه متفرقة في أبواب الكافي، وكذا غيره من أكابر المحدثين... »[2].

وقال شيخ الطائفة : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ.) عن ابن سبأ، أنه رجع الى الكفر وأظهر الغلو[3]، ثم نقل في كتابه (تهذيب الأحكام) موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رفع اليدين الى السماء...[4].

وذكر الحسن بن علي الحلي (٧٢٦ هـ.) عبد الله بن سبأ ضمن أصناف الضعفاء[5]، أما ابن المرتضى (أحمد بن يحيى ت ٨٤٠ هـ.) وهو معتزلي ينتسب لآل البيت، ومن أئمة الشيعة الزيدية[6] فهو لا يؤكد وجود ابن سبأ فحسب، وانما يؤكد أن أصل التشيع منسوب الى عبد الله بن سبأ، فهو أول من أحدث القول بالنص، وبإمامة اثنى عشر إماما[7].

وعبد الله بن سبأ عند الأردبيلي (١١٠١ هـ.) غال ملعون... وان كان يزعم ألوهية علي ونبوته[8]. ونقل التسترى جملة من روايات الكشي، وظهور ابن سبأ عند الطبرى، ونقولات أخرى من كتب الشيعة والسنة، ثم أشار الى ان ابن سبأ وطائفته السبائية من الغلاة[9].

أما صاحب (روضات الجنات) فقد جاء ذكر ابن سبأ عنده على لسان الصادق

---

(١) القمى : الخصال (نشر مكتبة الصدوق. طهران) تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ص ٦٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١١.

(٣) رجال الطوسي (من منشورات المكتبة الحيدرية / النجف ١٣٨١) ص ٥١

(٤) الطوسي : تهذيب الأحكام (نشر دار الكتب الاسلامية / طهران، ط الثانية) تعليق حسن الموسوي ج ٢/٣٢٢

(٥) الرجال.. (المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٩٢ هـ) ج ٢/٧١

(٦) انظر : عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية (نشر مطبعة الارشاد، بغداد) ص ٥

(٧) طبقات المعتزلة (نشر فرانز شتاينر / المطبعة الكاثوليكية / بيروت ص ٥، ٦.

(٨) جامع الرواة (مكتبة المحمدي، سنة الطبع ١٣٣١) ج ١/٤٨٥

(٩) قاموس الرجال : ج ٥/٤٦١ــ٤٦٥.

المصدوق، الذي لعن ابن سبأ، لاتهامه بالكذب والتزوير، واذاعة الأسرار والتأويل[1].

وجاء في (الوافي) بسنده الى البرقي عن القاسم... ان أمير المؤمنين قال : « اذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه الى السماء » وذكر اعتراض ابن سبأ عليه[2].

وفي (تنقيح المقال) جاء ذكر عبد الله بن سبأ ضمن نقولات عدة ساقها المؤلف من مصادر شيعية متقدمة عليه[3].

- وجاء في (طوق الحمامه) عن سويد بن غفلة أنه قال : مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فأخذت عليا كرم الله وجهه وقلت : « لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك، منهم عبد الله بن سبأ ... »[4].

هذه بعض من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، وقد ذكرتها مجردة عن التعليق لأنها — في نظرى — كافية بذاتها لاعطاء المعنى المقصود، فهي أشبه ما تكون بوثائق مسجلة تدين من حاول من متأخرى الشيعة انكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة، أو ضعف المصادر التي حكت أخباره !.

ثانيا : عبد الله بن سبأ في كتابات المستشرقين :

اهتم المستشرقون بمسألة عبد الله بن سبأ فاتجهوا إلى كتب الفرق يدرسون ويحللون وألفوا ما كتبه المؤرخون مادة تفتقر إلى التحليل والبيان، بل تتناقض أحيانا مع ما كتبه أصحاب المقالات والفرق (حسب زعمهم)، وتعمق بعضهم في المسألة بحثا وتحليلا، بينما بقي آخرون على سطح المشكلة واكتفوا بنقل وترديد كتابات غيرهم... ومن هؤلاء المستشرقين :

---

(١) محمد باقر الخوانساري : روضات الجنات (مكتبة اسماعيليان / طهران) ج ١٤١/٣.

(٢) الفيض الكاشاني : الوافي (المكتبة الاسلامية / طهران) ج ٥ من المجلد الثاني، ص ١١٨.

(٣) المامقاني : تنقيح المقال (المطبعة المرتضوية / النجف ١٣٤٨ هـ) ج ١٨٣/٢.

(٤) يحيى بن حمزة الزيدي : طوق الحمامة في مباحث الامام (نقلا عن احسان الهي ظهير. السنة والشيعة ص ٢٨).

١ ـ المستشرق : فان فلوتن[١] (١٨٦٦ - ١٩٠٣) :

يرى فان فلوتن أن السبئية نسبة الى عبد الله بن سبأ فهم أنصاره[٢] ويرى كذلك أن الأفكار التي جاء بها ابن سبأ قد ظهرت أيام عثمان بن عفان[٣].

٢ ـ يوليوس فلهاوزن[٤] (١٨٤٤ - ١٩١٨) :

وهو من قدماء المستشرقين، ومن المهتمين بالمذاهب الاسلامية، وكتابته عن عبد الله ابن سبأ جاءت في أكثر من كتاب، وهو من الذين شككو في رواية الطبرى لأحداث عبد الله ابن سبأ نتيجة تجريح كتب الرجال لسيف بن عمر راوية الطبرى في تلك الأحداث[٥].

ولكنه ينقل الرأى القائل : بأن السبئية انما سموا بذلك من اسم يهودي هو عبد الله ابن سبأ [٦] بل يؤكد ذلك قائلا : « الواقع أنه من العاصمة صنعاء »[٧].

وعندما يتحدث عن يهودية ابن سبأ يقول : ان هذا يقود الى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية، ويلوّح الى ان مذهب الشيعة المنسوب الى ابن سبأ انما يرجع الى اليهودية أقرب من رجوعه الى الايرانيين، ثم يسرد الأدلة المعززة لذلك[٨].

---

(١) أحد الذين درسوا تاريخ الفتوح الاسلامية، وكتب في الدولة الأموية والعباسية، من أهم آثاره : الفتح العربي، وبعض العقائد في عصر الأمويين، وله دراسات عن تاريخ الطبري، والعباسيين وخراسان ونشر مفاتيح العلوم للخوارزمي. (نجيب العفيفي : المستشرقون ج ٢/٦٦٢، ٦٦٣).

(٢) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ص ٨٠ (ترجمة د . حسن ابراهيم حسن، وزميله)

(٣) المرجع نفسه ص ٨٠.

(٤) مستشرق ألماني، ودرس اللغات الشرقية، من أهم آثاره : تاريخ اليهود والتمهيد للتاريخ الاسلامي، ومنذ عام ١٨٨٧ اشتغل بتحقيق الطبري، فعرّف بشخصيات الرواة فيه جرحا وتعديلا، وله أيضا الخوارج والشيعة، وتاريخ الدولة العربية (مترجمان) (نجيب العفيفي : المستشرقون ج ٢/٧٢٤، ٧٢٥).

(٥) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ج ٢/٢٠.

(٦) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ص ١٧٠ (طبعة الكويت ١٩٧٦)

(٧) فلهاوزن : المرجع نفسه ص ١٧٠

(٨) فلهاوزن : المرجع نفسه ص ١٧١

ويتحدث عن السبئية وأنهم لم يكن لهم شأن يذكر الا على يد المختار الثقفي (٦٧ هـ.) وهؤلاء المختارية كانوا يؤمنون بما ذهب اليه ابن سبأ في عقيدة الرجعة[١].

كذلك حينما يتحدث عن الهاشمية[٢] يذكر أن آراءها لا تختلف عن آراء ابن سبأ في شيء[٣].

وينقل فلهاوزن رأى سيف بن عمر في دور السبئية في الفتنة، اذ هم أصل الشر والبلاء، وهم قتلة عثمان، وفاتحوا باب الفتنة والحرب الأهلية، ومؤسسو حزب الخوارج الثائرين، وهم السبب في قتال المسلمين بعضهم لبعض[٤] ثم يتبع ذلك بقوله : « والحقيقة أن السبئية لم يصبح لهم شأنهم التاريخي الا على يد المختار الثقفي، وان كانوا قد كانوا موجودين قبل ذلك »[٥] والحق عنده أن مصطلح (السبئية) انما ينطبق على غلاة الشيعة فحسب وهذا استعماله الدقيق كما يقول[٦]

وعند حديثه عن (عقيدة تناسخ الأرواح) التي جاء بها ابن سبأ، وأصبحت بعد ذلك ضمن عقيدة السبئية، ذكر أن هؤلاء السبئية وجهوها توجيها خاصا فقالوا : ان روح الله التي تسرى في الأنبياء تنتقل بعد موت كل نبي الى النبي الذي بعده وان روح محمد خاصة انتقلت الى علي وهي باقية في سلالته[٧].

وجملة القول فان فلهاوزن هو الآخر لا ينكر وجود ابن سبأ بل هو يذكر أنه من صنعاء وأن اغلب المذاهب التي جاءت بعده انما قبست من أفكاره، ولم يزد بعضها على ما جاء به شيئا، ومن هنا نتبين خطا (لويس) في فهمه ونقله لآراء فلهاوزن كما سيأتي.

٣ ــ اسرائيل فريد لندر (المستشرق الألماني) :

---

(١) فلهاوزن : تاريخ الدول العربية ص ٤٧٥

(٢) أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، قالوا بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه، وانتقال الامامة منه إلى ابنه أبي هاشم، حيث أفضى إليه اسرار العلوم.. وقالوا ان لكل ظاهر باطنا ــ اختلف بعد أبي هاشم شيعته إلى خمس فرق..(انظر الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢١٠/١ ــ حاشية الفصل)

(٣) تاريخ الدولة العربية ص ٤٧٧

(٤) المرجع نفسه : ص ٤٧٥.

(٥) المرجع نفسه : ص ٤٧٥

(٦) الخوارج والشيعة : ص ٣٨

(٧) تاريخ الدولة العربية : ص ٦٣، ٦٤.

كان من بين المستشرقين الذين اهتموا بمسألة عبد الله بن سبأ وله دراسة في (المجلة الآشورية)[1]، تربو على الثمانين صفحة، قدم فيها دراسة للمصادر الاسلامية ونذكر أهم ما خلص اليه من نتائج.

ابتدأ بحثه بذكر ما أورده الطبرى برواية سيف بن عمر التميمي عند عبد الله بن سبأ، وما أورده الشهرستاني في (الملل والنحل) وأشار الى الاختلاف في المعلومات في هذه المصادر كما أشار الى أن بعض من كتبوا عن ابن سبأ كانوا مغرضين في كتاباتهم، وخلص الى القول :

« بأن ابن سبأ ليس الا شيء في نفس سيف أراد أن يبعد به شبح الفتنة عن الصحابة، وانها انما أتت من يهودى تستر بالاسلام، متابعا في ذلك لرأي فلهاوزن »[2].

وهو إنّما يحمل على سيف في تفاصيله لقصة ابن سبأ أما شخصية ابن سبأ فهي ثابتة لديه ولكنه يحاول أن يثبتها من خلال نص قبسه من الجاحظ[3] رأى أنه أقرب الى الصواب وأن المعلومات التي أوردها تحمل كل علائم الصحة[4].

بل هو يأخذ على الذين يحاولون أن ينكروا شخصية ابن سبأ من خلال نقدهم لسيف ذلك لأنه ــ حسب رأى فريد لندر ــ اذا كان بالامكان اعتبار سيف مختلقا في عقيدة ابن سبأ نتيجة تحيزه فانه ليس بامكاننا أن ننكر الأشياء الأخرى الايجابية التي جاء بها سيف مثل : أصله، وحياته، وظهوره بين المسلمين، ونقول ان هذا جاء به من الهوى !(٥).

ويحاول فريد لندر أن يربط بين ابن سبأ وعزير اليهودى وتأتي ناحية الربط ــ عنده ــ من تشابه العقيدة والأفكار، فعزير كان يقول : « انه رأى في المنام أن عاصفة خرجت من قلب البحر، ودفعت أمواجا عالية، ورأى في قلب هذه العاصفة انسانا مقبلا وهذا الانسان

---

(١) مجلة تصدر في ألمانيا، باللغة الألمانية، وكتابة فريد لندر عن ابن سبأ في العددين سنة ١٩٠٩ م، ١٩١٠ م.

(٢) فريد لندر : المجلة الآشورية ــ سنة ١٩٠٩ ص ٣١٥

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٨١/٣

(٤) فريد لندر : المجلة الآشورية : سنة ١٩٠٩ ص ٣٢٢

(٥) المرجع نفسه : سنة ١٩١، ص ١٠

بعد قليل حلق في الفضاء واستقر في عنان السماء، وبدا لهذا الانسان ـــ الذي في السماء ـــ أنه اينما ينظر يخرج كالبرق، واينما يتكلم يسمع كالرعد، وهذه كلها تمتزج مع بعضها دون أن يرفع هو يدًا أو سيفا أو أي سلاح آخر... » ومثل هذه الآراء جاء بها عبد الله ابن سبأ حينما قال : الرعد صوت علي والبرق سوطه[١].

وعلى الرغم من اشارة فريد لندر الى تأثر ابن سبأ بعزير اليهودى الا أنه يحاول أن يشير بين الفينة والأخرى أن تأثر ابن سبأ بالنصرانية والانجيل أقرب من تأثره باليهود والتوراة، مشيرا الى عقيدة الرجعة التي جاء بها ابن سبأ انما هي من تأثير النصرانية وعن طريق ما جاء في الأنجيل[٢].

وعن أصل ابن سبأ ونسبه يرى فريد لندر أن سبأ ليس أبا لعبد الله وانما اسم قبيلة، وهي تطلق على كل من يأتي من اليمن[٣].

وعبد الله بن سبأ، وابن السوداء شخصية واحدة كما يظهر له[٤]

أما عن يهودية ابن سبأ، فأشار الى أنه على الرغم من اشارة الطبري، والكشي وابن حزم، والبغدادي الى يهودية ابن سبأ نتيجة عداوتهم فهو يشك في هذا لأن اليهودي تعني السب والانتقاص في العربية[٥] لكنه عاد فقرر ـــ وبعد عرض الأدلة ـــ احتمال يهودية، ابن سبأ مستندا الى قبيلة كعب الأحبار (حمير) يهودية وهي قبيلة ابن سبأ، والى دور اليهود الكبير في اليمن، وأخيرا ومما يقوي هذا الاحتمال : كون ابن سبأ من صنعاء، وصنعاء كان بها جالية يهودية كبيرة.[٦]

ونخلص من هذا القول : بأن فريد لندر لا يتشكك مطلقا في شخصية ابن سبأ، وهو ان كانت له آراء في روايات الطبرى فانما تعنى عدم تسليمه بالتفصيلات الواردة في قصة ابن سبأ لا في أصل وجوده بل حتى في يهوديته فهو يرجح ذلك مشيرا الى أدلته التي كانت خلاصة بحثه الذي كتبه، واختار له عنوان (عبد الله بن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودي).

---

(١) المرجع نفسه سنة ١٩١٠ ص ٦
(٢) المرجع السابق سنة ١٩١٠ ص ٨
(٣) نفس المصدر ص ٢٠
(٤) نفس المرجع : ص ٢٣
(٥) المرجع نفسه ص ٢٤
(٦) المرجع نفسه : ص ٢٥

٤ ــ المستشرق : ليفى ديلافيدا[١] (المولود عام ١٨٨٦) :

وقد مرّ بعبد الله بن سبأ وهو يتحدث عن خلافة علي من خلال كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى، واستشكل نصا أورده البلاذرى، فيه الاشارة الى نسب ابن سبأ العربي، فعلّق في الحاشية أن هذا هو الموضع الوحيد ــ فيما يعلم ــ الذي يذكر فيه ابن سبأ منسوبا الى قبيلة عربية[٢]، وحينما يرجح هذا الخبر يرى أن ثمة تعارض بين أن يكون ابن سبأ عربي النسب يهودى الأصل ويرى أن صفة اليهودية الواردة في النقول ما هي الا استنتاج لأولئك الذين يعجزون عن أن يقروا بأن مؤسس البدعة الشيعية كان من أصل عربي[٣].

والملاحظ على هذا التعليق أنه استنتاج لا مبرر له، ذلك لأن ما ورد في البلاذرى من كون ابن سبأ عربي همداني لا يمنع أن يكون من أصل يهودى وذلك لأن اليهودية في اليمن لم تكن قصرا على حمير وانما تعدتها الى غيرها كما مر معنا[٤]، ويقول الدكتور بدوي : « وانه لمن العجب حقا أن يتصور دلافيدا أن ثم تناقضا بين أن يكون المرء يهوديا، وأن يكون من قبيلة عربية »[٥].

---

(١) استاذ اللغة العربية واللغات السامية المقارنة في جامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الاسلامي، خلف آثارا كثيرة، منها : خلافة علي في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، ودراسة حديثة عن الرسول ﷺ واصل الاسلام وله فهرس المخطوطات العربية الاسلامية في المكتبة الفاتيكانية، كما كتب عن عمر، وعثمان والخوارج... الخ (نجيب العقيقي، المستشرقون ج ١/٣٩٠، ٣٩١)

(٢) G. Levi Della Vida : «Il Califfato di'Ali Secondo Kitab 'ansab Al-Ashraf di Al-Baladuri», in RSO, anno, vl, volume VI, p. 595, Roma, 1913.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩٥

(٤) ابن قتيبة، المعارض ص ٢٦٦

(٥) عبد الرحمن بدوي ــ المذاهب الاسلامية ج ٢/٣٠

٥ ـ جولد تسيهر[١] (١٩٢١) :

وهو من المستشرقين الذين لا يشكون في عبد الله بن سبأ، ولا ينكرون المبادىء التي جاء بها، وهو يذكر أن الاغراق في تأليه علي انما صاغه في مبدأ الأمر عبد الله بن سبأ وأنه حدث في بيئة سامية لم تكن تعرف من هذه الآراء شيئا قبل ذلك[٢].

٦ ـ كايتاني[٣] (١٨٦٩ - ١٩٢٦):

وهو من المستشرقين الذين هاجموا رواية سيف وقال : « ان زيفها يتبين من عدة أمور : ».

فالمصادر الأقدم منها، والموثوق بها عن خلافة عثمان تجهل عبد الله بن سبأ، كما تجهل هذا الاضطراب القائم على أساس ديني[٤]، ومدرسة المدينة والروايات ذات الأصل الشامي والمصرى تعطي لأحداث الفتنة في عهد عثمان طابعا سياسيا واداريا واقتصاديا دون أن تتحدث عن الأساس الديني[٥].

وأمر ثالث وهو ـ كما يرى كايتاني ـ أن مثل هذا الاضطراب الديني المنسوب الى ابن سبأ كان أمرا مستحيلا حدوثه في تلك الفترة التاريخية بين العرب الفاتحين، اذ أن مثل هذه الآراء المتأثرة بالنزعات المسيحية الهجينة وما فيها من اشارات الى النزعة المهدية

---

(١) مستشرق مجرى، انتقل الى سوريا، ومنها الى مصر حيث الأزهر والتقى بمحمد عبده، من آثاره العلمية : الأساطير عند اليهود، وآدات الجدل عند الشيعة، أما كتابه العقيدة والشريعة في الاسلام (ترجمه الى العربية كل من د . محمد يوسف موسى، د . علي حسن عبد القادر، الاستاذ عبد العزيز عبد الحق)، فقد كتبه بالألمانية بعنوان « الاسلام » (انظر نجيب العقيقي : المستشرقون ج ٩٦٦/٣).

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٢٩ (ترجمة د . محمد يوسف موسى.. وآخرين).

(٣) مستشرق ايطالي، ولد في روما وتخرج من جامعتها وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، ويعتبر كايتاني بمؤلفاته أكبر مستشرق في التاريخ العربي من آثاره : نمو الشخصية الاسلامية، انتشار الاسلام وتطور الحضارة، تاريخ الاسلام من العام الأول الهجري الى عام ٩٢٢ حوليات الاسلام (نجيب العقيقي : المستشرقون ج ٣٧٢/١، ٣٧٣).

(٤) كايتاني : حوليات الاسلام. الجزء الثامن من سنة (٣٣ـ٣٥) ميلانو سنة ١٩١٨ ص ٤٢ (نقلا عن مذاهب الاسلاميين ج ٣٠/٢)

(٥) كايتاني : حوليات الاسلام الجزء الثامن من سنة (٣٣ـ٣٥) نقلا عن عبد الرحمان بدوي ـ مذاهب الاسلاميين ج ٣٠/٢، ٣١

اليهودية، مضافا اليها تسلل عقيدة التناسخ الايرانية الأصل، كل هذا لا يمكن أن يحدث تأثيرا في خلافة عثمان، ولن يكون له تأثير في أوساط العرب الساميين أصحاب الميول المادية الوثنية، والذين لم يسلموا الا بالاسم فقط...»[1] حسبما يزعم كايتاني.

كذلك فمن غير المعقول ظهور مثل هذه الآراء في ذلك العصر، وذلك من نوع ما ينسب الى ابن سبأ من القول بالجزء الالهي في علي... وكل ما في الأمر أن الجماعة التي شايعت عليًا في زمن عثمان جماعة سياسية خالصة[2].

ويتابع كايتاني استنكاره لرواية سيف قائلا : « والى جانب هذه الصعوبات من ناحية العقائد، توجد عقبات ذات طابع سياسي، وذلك أن العرب الذين ألفوا المعسكرات الحربية في الولايات كانوا لا يزالون يخضعون فقط لنظام القبيلة ورابطة الدم، وكان النظام الاجتماعي لا يزال ديمقراطيا في جوهره، وكان كل شيء يناقش في وضح النهار، وفي اجتماعات علنية لم يكن يسمح بحضورها لمن ليسوا من أصل القبيلة، واطار المؤامرة السرية المنسوبة الى ابن سبأ تعكس ظروفا اجتماعية وسياسية مختلفة عن هذا تماما، أعنى أحوال مجتمع متقدم حوّلته أجيال من الحياة في المدينة وزال منه نهائيا الطابع الأبوى لنظام القبيلة »[3].

ويستند في صدد انكاره لأفكار ابن سبأ في زمن عثمان الى تجاهل البغدادى، والشهرستاني لكل علاقة بين ابن سبأ وآرائه، وبين مأساة المدينة ومقتل عثمان، ولو كان لأسباب دينية لكان لهذين المصدرين أن يذكرا ذلك (حسبما يرى كايتاني)[4].

وينتهي كايتاني الى القول : « ان مؤامرة كهذه انما يصح تفسيرها على أنها حادثة في العصر العباسي فهي تعكس أحوال ذلك العصر، ومن المحتمل أن مهيجا سياسيا من أنصار علي في الفترة ما بين ٣٦ الى ٤٠ هـ. ربما كان اسمه عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء وقد تحول تلقائيا في الخيال الشعبي الى مهيج ديني، وآراء السبئية كما تكونت طوال قرن من

---

(١) كايتاني : حوليات الاسلام الجزء الثامن من سنة (٣٣ــ٣٥) (نقلا عن عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ص ٣١
(٢) كايتاني : حوليات الاسلام الجزء الثامن من سنة (٣٣ــ٣٥) نقلا عن عبد الرحمن بدوي مذاهب الاسلاميين ص ٣١.
(٣) حوليات الاسلام ج ٤٦/٨ (عن عبد الرحمن بدوي. مذاهب الاسلاميين ج ٣١/٢)
(٤) حوليات الاسلام ج ٤٦/٨ (عن عبد الرحمن بدوي. مذاهب الاسميين ج ٣٣/٢).

التطور قد أرجعت الى السنوات ٣٥، ٤٠ بنوع من السبق التاريخي الصارخ »[١].

اذن فالشيء الذي ينكره كايتاني من رواية سيف هو أن تكون المؤامرة التي أطاحت بعثمان ذات أسباب دينية، وأن تكون آراء بن سبأ المؤلهة لعلي قد حدثت في أيامه، ومن باب أولى استبعاد أن تكون قد حدثت قبل خلافته، وينتهي الى القول بأن هذه الآراء وليدة تصورات الشيعة في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة.[٢]

وبعد هذا العرض يتساءل الدكتور عبد الرحمن بدوى : ماذا كان يفعل ابن سبأ اذن في خلافة عثمان ؟ واذا كان قد أخذ دورا بارزا في عهد خلافة علي القصيرة (٣٦ – ٤٠ هـ.) أفلا يدل هذا على أنه كان له قبل ذلك شأن بين شيعة علي وأنصاره ؟ أم أن الأقرب الى الواقع والمعقول أن يقال أنه لا بد أن يكون له دور ــ ولو خفي ــ أثناء الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان ؟[٣].

ومرة أخرى يفنّد الدكتور بدوى ذلك الافتراض الذي استبعده كايتاني وهو حدوث مؤامرة بهذا التنظيم والاحكام في العالم الاسلامي أيام خلافة عثمان بأن الحديث عن النظام القبلي في هذه الفترة لا مبرر له، فالخلافة الاسلامية قد استقر وضعها كسلطة سياسية فوق النزعات القبلية وأن هذه المؤامرة انما كانت تدبيرا سياسيا فوق مستوى الخلافات القبلية، ولم تكن من السعة والبراعة والاحكام بحيث لا يتصور وقوعها قبل العصر العباسي[٤].

ولنا بعد هذا أن نقول : ان أخبار هذه الفتنة ودور ابن سبأ فيها لم تكن قصرا على الطبرى أو روايات سيف بن عمر التميمي ــ كما سنتبينه بعد ــ وانما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الاسلامي في تلك الفترة، وميزة الطبرى على غيره أنه أغزرها مادة، وأكثرها تفصيلا لا أكثر، ولهذا فان التشكيك في هذه الأحداث ــ بلا سند ــ انما يعني الهدم لكل هذه الأخبار والتسفيه لأولئك المخبرين، وبالتالي الى تخويل كل باحث أن ينفي أو يشك في كل حادثة لا يقبلها هواه !

---

(١) كايتاني، نقلا عن عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ج ٢/٣٤.

(٢) المرجع نفسه : ج ٢/٣٤.

(٣) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ج ٢/٣٤

(٤) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ج ٢/٣٥.

٧ ـــ المستشرق : رينولد نكلسن [١] (١٩٤٥) :

ويعتبر نكلسن عبد الله بن سبأ هو المؤسس لطائفة السبئية، وانه يمني من أهل صنعاء [٢] ثم يأخذ في الحديث عن مبادىء ابن سبأ التي جاء بها وخاصة عقيدة الرجعة، والوصية وأنه بشر بعقيدة الرجعة في مصر بعد أن استقر فيها [٣].

ويحكي رأيه في دور ابن سبأ في تلك المؤامرة الواسعة النطاق، والتي أشاعها ابن سبأ من أجل علي فدخل في مراسلات سرية مع المتذمرين في مختلف أقاليم الخلافة [٤].

ثم يشير الى علاقة الشيعة (وخاصة الغلاة منهم) بعبد الله بن سبأ وأن الأفكار التي جاؤوا بها انما قبسوها من ابن سبأ [٥].

٨ ـــ دوايت م. رونلدسن :

يتحدث عن ابن سبأ مؤقتاً ظهوره بين المسلمين زمن خلافة عثمان، وأنه قطع البلاد الاسلامية طولا وعرضا يريد افساد المسلمين [٦] وهو يؤكد يهودية ابن سبأ، كما يؤكد تأليهه لعلي، واعلانه أن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا غاصبين للخلافة [٧].

ويشير الى دوره الرئيسي في المؤامرة التي حيكت في مصر وانتهت الى المدينة بقتل عثمان، وأن ابن سبأ كان مع الركب الذين قدموا المدينة من مصر [٨].

---

(١) أحد البارزين في الأدب القديم، تعلم اللغة العربية والفارسية، وبرز في لغات الهند، من آثاره : التصوف الاسلامي، وصنف الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والاسلام، ووضع فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة ادوارد بروان الموقوفة على جامعة كمبريدج (نجيب العقيقي : المستشرقون ٢/٥٢٥، ٥٢٦).

(٢) نكلس : تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام (ترجمة وتحقيق د . صفاء خلوصي) ص ٣٢٥

(٣) المرجع نفسه : ص ٣٢٥

(٤) المرجع نفسه : ص ٣٢٦

(٥) المرجع نفسه : ص ٣٢٦

(٦) دوايت : عقيدة الشيعة : ص ٥٨

(٧) المرجع نفسه : ص ٥٨

(٨) نفس المرجع ص ٥٩

ويتحدث عن ابن سعد وأنه لم يشر الى ابن سبأ الا الى كونه أحد القراء الذين صحبوا عليا[1].

وينقل عن ميرخوند[2] أن الكاهن اليهودى جاء المدينة وأسلم وهو يأمل أن يكرمه عثمان ويحترمه، فلما لم يحصل له ما أراد أخذ يتصل بالناقمين عليه، وينكر على عثمان ادارته علنا وبلغ عثمان خبره أخيرا فقال : « ومن هذا اليهودى الذي أتحمل منه هذا ؟ » وأمر بنفيه من المدينة، ثم ذهب الى مصر وصار من المشاغبين العاملين ضد عثمان[3].

ويعزو دوايت الى ابن سبأ دور تغيير مفهوم الخلافة الى حق الوراثة الالهية فيقول : « ... وجاءت تعاليم ابن سبأ ودعوته في ان عليا بكونه وصي النبي ﷺ انتقل اليه النور الالهي أو الروح الالهي التي يتمكن من توريثه من شاء »[4].

٩ ـ المستشرق الانجليزي (برنارد لويس) :

فند لويس ما ورد في المصادر الاسلامية أن عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع، مدعيا أن مسألة عبد الله بن سبأ من أصلها لا تعدو أن تكون صورة مثّل بها الماضي، وتخيلها محدّثو القرن الثاني الهجري من فيض أفكارهم[5] والذي يبدو أن هذا ليس استنتاجا أو رأيا سبق اليه هذا المستشرق نتيجة البحث والتمحيص وانما هو يقرر ما سبقه اليه غيره، ولذلك نجده يعزو هذا الرأي الى من سبقه من المستشرقين مشيرا الى أن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث، ثم يعوّل على فلهاوزن وفريد لندر مبينا أنهما بعد دراستهما للمصادر دراسة نقدية ظهر لهما أن المؤامرة المنسوبة لابن سبأ انما هي من اختلاق المتأخرين[6].

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج ١٦٣/٤ (كما نقل داويت) ولعل دوايت خلط بينه وبين ابن وهب الراسي، أما أنا فلم أعثر على ترجمة أو حديث لابن سعد عن ابن سبأ، ولو ثبت هذا لكان فيه مزيد رد على الذين يقولون ان ابن سعد لم يذكر ابن سبأ في طبقاته أمثال « طه حسين »

(٢) مؤرخ شيعي، وكتابه : روض الصفاء ج ١٦٠/٢

(٣) دوايت : عقيدة الشيعة ص ٥٩

(٤) دوايت : عقيدة الشيعة ص ٨٣

(٥) برنارد لويس : أصول الاسماعيلية ص ٨٦

(٦) المرجع نفسه ص ٨٦

ثم أشار إلى رفض المستشرق كايتاني لفكرة هذه المؤامرة بحجة أن مؤامرة بهذا التنظيم لا يمكن تصور حدوثها في المجتمع العربي في هذه الفترة، فهو مجتمع قائم على النظام القبلي، وهذه انما تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء[١].

ولا بد لنا من التنبيه الى أن برنارد لويس نقل في كتابه (أصول الاسماعيلية) آراء فريد لندر نقلا خاطئا، وكذلك فعل في نقله وتلخيصه لرأى فلهاوزن، وأورد رأي كايتاني دون تمحيص[٢].

هذه أهم الكتابات الاستشراقية في موضوع عبد الله بن سبأ، وهناك غير هؤلاء من المستشرقين كتبوا عن عبد الله بن سبأ أمثال : هوجن[٣] M.G.S. Hodgeon و هربلو D. Herbelot و دى ساسي Dosacy و فويل Weil و فون كريمر Von Kramer و دوزى Dosey و موير Muir و أوغست ميلر August Muller و كروتس Krotes و هرشفلد Hirschfeld.[٤]

ثالثا : ابن سبأ في كتابات المحدثين :

أ ــ السنّة :

١ ــ يرى الدكتور طه حسين أن ابن سبأ استغل الفتنة ولم يثرها[٥] ويستغرب ما يروى أن ابن سبأ هو الذي لقّن أبا ذرّ نقد معاوية في قضية المال[٦] ومن ملاحظاته العلمية، أنه لا يجد ذكرا لابن سبأ في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان، مشيرا الى ابن سعد في طبقاته، والبلاذرى في أنسابه[٧]، وهو يثبت مرة وينفي أخرى، ويتشكك ثالثة بما لا يدع

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٦

(٢) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ج ٣٦/٢

(٣) انظر : The Encyclopaedia of Eslam

(٤) جواد علي : الرسالة، السنة ١٩٤٨/١٦، العدد ٧٧٤، ص ٤٩٧، وانظر مذاهب الاسلاميين ج ٢١/٢.

(٥) طه حسين : الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٣٤

(٦) المرجع نفسه ص ١٣٢

(٧) طه حسين : الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٣٢

للقارىء فرصة للقرار على رأى معين فنجده مرة يقول : « وأكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذا ان كان كل ما يروى عنه صحيحا، انما قال ما قال ودعا ما دعا اليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف... »[1].

ثم نجده مرة أخرى يجعل من اغفال المؤرخين له ولاتباعه السبئية في أحداث صفين دليلا على أن امر ابن سبأ والسبئية انما كان متكلفا منحولا وأنه الى الاختراع أقرب منه الى الحقيقية[2]، بل يرى أن أحداثه لا تستند الى أساس من الحق والتاريخ الصحيح[3].

ثم يعود فيقول : ان ابن السوداء لم يكن الا وهما، وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون[4] وينتهي الى القول : « فلندع اذاً ابن السوداء هذا وأصحابه سواء كان أمرهم وهما خالصا أم أمرا غير ذي خطر بولغ فيه كيدا للشيعة »[5].

هذه خلاصة آراء الدكتور، ولنا وقفة عند ملاحظته اغفال ابن سعد والبلاذري ذكر ابن سبأ، ففي نظري أن عدم ذكر ابن سعد والبلاذري (على فرض عدم ذكرهما) لابن سبأ لا يقوم دليلا على الانكار أو التشكيك وهل استوعب هذان المصدران ـــ على ما استوعباه ـــ كل أحداث التاريخ الاسلامي في تلك الفترة حتى نقف وقفة المشدوه أو المتشكك اذا لم يذكرا عن ابن سبأ شيئا ؟ ولماذا هذا التجهيل في بقية مصادر التاريخ، والمرور على أهمها وهو الطبري وكأنه عديم القيمة ساقط الاعتبار ؟ وأخيرا فهل من شروط صحة الرواية التاريخية تضافر كتب التاريخ على ذكرها ؟ وهل يجهل الدكتور أن جزءاً كبيرا من أنساب الأشراف لا يزال مخطوطا ؟.

ونعود الى المصدرين الذين اعتمد عليهما الدكتور فلم يستوعبهما أو أخطأ النقل عنهما....

فإن ابن سعد وان كان لم يشر مباشرة الى ابن سبأ فانه قد أورد أكثر من رواية عند تأملها يتبين للقارىء أنه يشير الى طائفة السبئية والى أفكار ابن سبأ التي جاء بها... وهذه

---

(١) المرجع نفسه : ص ١٣٤
(٢) علي وبنوه ص ٩٠
(٣) نفس المرجع ص ٩٠
(٤) نفس المرجع ص ٩١.
(٥) نفس المرجع ص ٩٣.

واحدة منها « أخبرنا أبو معاوية الضرير عن حجّاج عن أبي اسحاق عن عمرو بن الأصم قال : قيل للحسن بن علي ان ناسا من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال : كذبوا ليس أولئك شيعته أولئك أعداؤه لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه، ولا أنكحنا نساءه... »[1].

أما البلاذرى فاليك ما نصَّ عليه...

« ... وأما حجر بن عدى الكندى، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحبة بن جوين البجلي ثم العرني، وعبد الله بن وهب الهمداني ــ وهو ابن سبأ ــ فانهم أتوا عليا عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : « أو تفرغتم لهذا ؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي بها قد قتلت، وكتب كتابا يقرأ على شيعته في كل يوم، فلم ينتفع علي بذلك الكتاب، وكان عند ابن سبأ منه نسخة حرفها... »[2]

أما ما يجعله طه حسين من إغفال المؤرخين لابن سبأ واتباعه السبئية في أحداث صفين دليلا على أن امر ابن سبأ مخترع متحول فيقول عنه الدكتور محمود قاسم :

« ... لكني أكاد أدهش أن أرى الدكتور طه حسين يضع وجود ابن سبأ موضع التساؤل، ويذهب في تشكيكه الى حد أن يقول : ما بال المؤرخين لم يذكروا ابن سبأ في موقعة صفين ؟ فهل هذا يكفي في أن يكون نسيانهم السبئية نسيانا تاما فيما بين موقعة

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣٩/٣ وما ورد في هذا النص من أفكار نجدها لا تخرج عما جاء به عبد الله بن سبأ، واعتقدته السبئية بعده، وتأكيد ذلك بما يلي :

١ ــ يقول أبو الحسن الأشعري (٣٣٠ هـ) : « السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، يزعمون أن عليا لم يمت، وأنه يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة..» مقالات الاسلاميين ج ٨٦/١.

٢ ــ عند ابن عساكر (٥٧١ هـ) « ... لما بويع علي خطب الناس، فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له : أنت دابة الأرض، قال فقال له : اتق الله، فقال له : أنت الملك، فقال له : اتق الله..» تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ص ١٢٥/أ.

٣ ــ ويقول نشوان الحميري (٥٧٣ هـ) « .. وقال عبد الله بن سبأ للذي جاء ينعي علي عليه السلام الى المدائن : لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه فقال ابن عباس وقد ذكر له قول ابن سبأ ــ لو علمنا ذلك ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ميراثه » الحور العين ص ١٥٤.

(٢) أنساب الأشراف (تحقيق محمد باقر المحمودي) ص ٣٨٢.

الجمل وموقعة صفين سببا في عدم وجود هذه الطائفة ورئيسها ؟ وهل يقوم هذا النسيان دليلا على أن هذه الطائفة لم توجد في زمن الامام علي، مع أنها كشفت عن نفسها مرة أخرى بعد مقتل الامام ؟ »[1].

ثم يقول : « أما صمت ابن سبأ بعد العام الأول من خلافة علي فأمر يمكن تعليله بشفاعة من شفع له بأنه قد تاب، وأما عودته بعد مقتل الامام فأمر يمكن تعليله، وأما اختفاؤه في موقعة صفين فأمر يمكن بعلة أو بأكثر، فلربما كان في المدائن، أو لربما وجد من الأفضل الا يظهر في كل فتنة... »[2].

٢ ــ أما الاستاذ محمود محمد شاكر : فجاءت كتابته عن ابن سبأ على أثر صدور كتاب (الفتنة الكبرى) لطه حسين فعلق عليه ورد على بعض الآراء الواردة فيه وخاصة فيما يتعلق بموضوع عبد الله بن سبأ .

فهو مثلا يأخذ على طه حسين قوله : « ان أحداث عبد الله بن سبأ عبارة عن قصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها، وأسرفوا فيها » (مشيرا بذلك الى الطبرى، بينما المصادر المهمة كابن سعد والبلاذرى لم تذكر شيئا من ذلك)[3] بأن ذلك ايهام شديد، ومتعمد حسب ما يظهر للأستاذ، فالطبرى (٣١٠ هـ.) ليس من الرواة المتأخرين، ومن باب أولى القول في سيف بن عمر شيخ شيوخ الطبرى...[4].

---

(١) محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الاسلامية ص ١١٧

(٢) المرجع نفسه : ص ١١٨

(٣) الفتنة الكبرى : ص ١٣١.

(٤) الرسالة، السنة ١٦ــ١٩٤٨، العدد ٧٦١ ص ١٣٤، أما « طبقات بن سعد » فيقول فيها الاستاذ شاكر : ان الدكتور نفسه يعلم ان هذا الكتاب الذي بين أيدينا ناقص وملفق من نسخ مختلفة، بعضها تام وبعضها ناقص، وبعضها مختصر. ويدل على ذلك تفاوت حجم التراجم لكل من أبي بكر (٣٣ صفحة) وعمر (٨٤ صفحة) أما عثمان والأحداث في خلافته ما يعلمه الدكتور، وعلي والأمر في زمنه أفدح فلم يتحدث عنهما ابن سعد إلا في (٣٨ صفحة) زيادة على طريقة ابن سعد وانها أقرب الى التراجم منها إلى سرد الأحداث.. الرسالة ص ١٣٦.

ويرى الاستاذ ـــ شاكر ـــ أن هدف طه حسين من انكاره لعبد الله بن سبأ هو أن ينفي عن اليهود الشركة في دم عثمان...[1].

وعلى العموم فالاستاذ يشير الى تهافت الكتاب علميا، والى وضوح الأهواء والرغبات في نفس مؤلفه، وهو يستغرب كل هذا من الدكتور الذي اشتهر بالبحث والتدقيق ! وينتهي الى اثبات شخصية ابن سبأ وأحداثه وأن طه حسين حينما ينفي خبره انما يشتط ويركب مركبا لا يليق بمثله[2].

٣ ـــ أما الدكتور يوسف العش فيعلق على رواية سيف بن عمر لأخبار ابن سبأ بأنها رواية تسير في اتجاه واحد مع الروايات الصحيحة الأخرى، وأن المنهج التاريخي يقبلها، فهي لا تخالف الأخبار الصحيحة، بل تفسر الكثير من النقاط الغامضة التي تشير اليها تلك الروايات[3].

ويؤكد العش أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ ووجد فيه آذانا صاغية هو مصر[4] ويشير الى وقعة الجمل مؤكدا دور ابن سبأ والجماعة المحيطة به في اشعال فتيلها[5].

والدكتور وهو يشير الى هذا كله يرسم الدور الحقيقي للسبئية في الفتنة فيقول :

« وبعد فينبغي لنا ألا ننسب الفتنة الى السبئية كاملة، فالسبئية استفادت من واقع واضح وهو وجود طبقة من الناس لا تميز بين الحق والباطل »[6] وبالجملة فكتابة الدكتور يوسف العش تتميز بجمع الروايات التاريخية، واستقرائها، ثم التوفيق بينها، والاستنتاج منها.

---

(١) الرسالة، السنة ١٦ ج ١٩٤٨ العدد ٧٦٣ ص ١٩٣
(٢) الرسالة، السنة ١٦ : ١٩٤٨ العدد ٧٦١ ص ١٣٧
(٣) يوسف العش : الدولة الأموية.. (من منشورات جامعة دمشق عام ١٣٨٥ هـ) ص ٥٩.
(٤) المرجع نفسه : ص ٦١.
(٥) المرجع نفسه ص ٨٣
(٦) المرجع نفسه ص ٩١

٤ ــ ويشير الدكتور جواد علي في بداية بحثه عن ابن سبأ الى الغموض الذي يكتنف شخصيته، حتى ان الباحث فيه ليخرج منه وهو لا يعرف عن نسبه وأهله شيئا، سوى أنه يهودي، وأن امه كانت سوداء، ولذلك عرف بابن السوداء[١].

وهو يؤكد أن رواية الجاحظ (٢٥٥ هـ.) هي أقدم رواية وردت عن ابن السوداء ![٢]، ويعتبر الدكتور جواد علي قصة عبد الله بن سبأ مع أبي ذرّ (في شأن المال) قصة موضوعة[٣]، ومن ملاحظاته أن كتب الشيعة قد غالت في ذم ابن سبأ، والتنصل منه، والتبرؤ من آرائه وزادت في نسبة الغلو اليه وهذا ما يستحق الدرس ![٤].

ويعلل جواد على اهتمام المستشرقين بالكتابة عن ابن سبأ، بأن هناك طائفة منهم كانت على علمها وتدقيقها تتعصب على الاسلام، وتتمسك حتى بالتافه من الروايات والأحاديث الموضوعة التي نص علماء الحديث على كذبها وتتخذها حجة لاثبات أثر اليهودية أو النصرانية في الاسلام وفي أصول الدين !؟[٥].

وهو يأخذ على الطبري ورواته تضخيم دور ابن سبأ في مصر، واثارته للفتنة فيها، ويقول : ان الرواة الآخرين قد أوضحوا أن هذه الآثار وتلك الأفكار كالرجعة، والوصية والامامة، والطعن على الامراء انما وضعها في العراق وبالكوفة بالذات، وأن أحدا من الرواة غير (يزيد الفقعسي) لم يذكر هذه الآثار لابن سبأ في مصر ![٦].

---

(١) جواد علي : مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السادس ١٣٧٨ــ١٩٥٩) ص ٦٦

(٢) المرجع نفسه : ص ٦٧، وقد تبين خطأ الدكتور في هذا الرأي اثناء الحديث عن « عبد الله بن سبأ في كتب المتقدمين ».

(٣) الرسالة : السنة ١٦ــ١٩٤٨ العدد ٧٧٧ ص ٥٨٤، وانظر مجلة المجمع العلمي، المجلد السادس ص ٧٤.

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد السادس ص ١٠٠.

(٥) الرسالة : العدد ٤٧٤ ص ٤٩٧.

(٦) الرسالة : العدد ٧٧٧ ص ٥٨٢، ٥٨٤، ولعل الدكتور قد غاب عنه رواية في تاريخ ابن عساكر لم يكن راويها هو « يزيد الفقعسي» وهي أيضا لم ترد في تاريخ الطبري : ونصها : « عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا : لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم، واستخلاهم واستخلوه وعرض لهم بالكفر فأبعدوه، وعرض لهم بالشقاق فأطمعوه، فبدأ فطعن على عمرو بن العاص وقال : ما باله أكثركم عطاء ورزقا ؟..» الخ، تاريخ مدينة دمشق : ص ١٢٤/أ.

وأخيرا، وعلى الرغم من الجهد الذي بذله الدكتور جواد علي في الكتابة عن ابن سبأ، وعن تحليل أخباره، وهو جهد لا ينكر... فان الدكتور يكاد يجعل من ابن سبأ، اسطورة أقرب منها الى الواقع ! فهو يتحدث عن السبئية القادمة من مصر الى المدينة، ويتساءل : لماذا دعاهم الطبري بالسبئية ؟ ألأنهم اتباع عبد الله بن سبأ ؟ ثم يقول : ولكن أين كان هذا الرجل في هذا الوقت ؟ ولم لم يشترك مع المصريين أو غيرهم عندما ذهبوا إلى المدينة ؟ وقد نسبت أكثر المصادر سبب الفتنة الى أشخاص آخرين أم لأن جمهرتهم كانت من أهل اليمن ؟ وقد كانت العادة أن يقال لهم (سبأيين) أو (حميريين)[1].

وينتهي جواد علي الى القول : بأن هذه السبئية اليمنية هي التي دعت الاخباريين ــ لسبب ستراه ــ الى خلق اسطورة عبد الله بن سبأ ! هذا الذي جعل الرواة تكتب عنه هذه المقالات[2].

أما السبب الذي أشار اليه الدكتور جواد علي فملخصه : أن هذه المؤامرة سواء كان أفرادها سبئية أم غيرها فهي لا تعدو أن تكون مجموعة عناصر يدفعها ويحرضها أناس يسعون الى الفتنة منذ عهد الرسول ﷺ وأن مقتل عمر بن الخطاب لم يكن ببعيد عن هذه المؤامرة، كما أن كعب الأحبار كان من أفراد هذه المؤامرة وعلى علم بقتل الخليفة، وأن عمر قد أحس بدور كعب في المؤامرة ؟![3].

---

(١) الرسالة : العدد ٧٧٨ ص ٩٠.

(٢) المرجع نفسه ص ٩١٠

(٣) الرسالة، العدد ٧٧٨ ص ٦١٠، ٦١١، وازاء هذا الرأي نرى لزاما علينا التعريف بكعب الأحبار : فهو كعب بن مانع، يكنى أبا اسحق، وهو من حميع من آل ذي رعين، كان على دين يهود فأسلم، وقدم المدينة، ثم خرج الى الشام فسكن حمص حتى توفى بها سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان، وهو من الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام. الطبقات ج ٤٤٥/٧، ذكر أبو الدرداء رضي الله عنه كعب الأحبار فقال : ان عند ابن الحميرية لعلما كثيرا، الطبقات ج ٤٤٦/٧، وذكره « الذهبي » في من له رواية في الكتب الستة. الكاشف ج ٩/٣؛ وترجم له في تذكرة الحفاظ ج ٥٢٠١ وقال فيه « ابن حجر » ثقة من الثانية وليس له في البخاري رواية، وفي مسلم رواية لأبي هريرة عنه. التقريب ج ١٣٥/٢، وقد روى عن النبي ﷺ مرسلا، وعن عمر، وصهيب، وعائشة وعنه معاوية وأبو هريرة، وابن عباس وعطاء وغيرهم. التهذيب ج ٤٣٨/٨.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه ان يخوفهم بالله. حلية الأولياء ج ٣٦٨/٥.

وعده ابن حبان في الثقات، وقال انه توفى سنة ٣٤ هـ. الاصابة ج ٣١٧/٣.

٥ ــ وكتب سعيد الافغاني كتابه (عائشة والسياسة) فعظّم دور ابن سبأ في الفتنة، ونسب اليه كل المؤامرات والفتن والملاحم الواقعة بين الصحابة، ويرى أن هذه المؤامرة المحكمة سهر عليها أبالسة خبيرون، وسددوا خطاها وتعهدوها حتى آتت ثمارها في جميع الأقطار، ولهذا كتب هذا العنوان (ابن سبأ البطل الخفي المخيف)[1].

ويبدو التهويل من شأن ابن سبأ عند الأفغاني حينما يصفه بأنه رجل على غاية من الذكاء، وصدق الفراسة، والنظر البعيد، والحيلة الواسعة، والنفاذ الى نفسية الجماهير ![2].

ويقطع أنه أحد أبطال جمعية تلمودية سرية غايتها تقويض الدولة الاسلامية[3] ويكاد يقرر أنه كان يعمل لصالح دولة الروم، التي انتزع المسلمون منها ــ لفترة قريبة ــ قطرين هامين هما مصر، والشام، عدا ما سواهما من بلاد أخرى على البحر المتوسط[4]، ويستغرب امتداد نشاط ابن سبأ الى شتى المجالات : الدينية، والسياسية، والحربية[5] وهو يرى أن ابن سبأ كان موفقا كل التوفيق في لقائه مع أبي ذرّ، وفي تفصيل هذه المقالة التي ركبها على مزاج أبي ذرّ !، وأن الذي ساعده على ذلك فهمه الجيد لأمزجة الناس واستخباراته الصادقة المنظمة ![6].

والذي يبدو أنه لا يقبل النقاش في هذه النقطة (أعني تأثير ابن سبأ على أبي ذرّ) بل هو يرد على الطبرى في احدى رواياته التي ذكر فيها ان ابن سبأ لم يستطع على ما يريد عند أحد من أهل الشام[7].

---

(١) سعيد الأفغاني : عائشة والسياسة ص ٦٠
(٢) المرجع نفسه : عائشة والسياسة ص ٦٠
(٣) المرجع نفسه : عائشة والسياسة ص ٦٠
(٤) المرجع السابق : عائشة والسياسة ص ٦٠
(٥) المرجع السابق : عائشة والسياسة ص ٦٠
(٦) المرجع السابق : عائشة والسياسة ص ٦٢
(٧) فيقول : « لكن الصحيح أنه قدر، وزرع، وحرك على معاوية صحابيا جليلا، اذعن عامة الشاميين لأقواله، وضاق به ذرعا معاوية الداهية الحليم، واضطر أن يطلب من الخليفة عثمان اخراجه من الشام» عائشة والسياسة ص ٦١، ٦٢ (ونحن أبنّا عن وجهة نظرنا في هذه المسألة فيما تقدم)

ويذكر من آثار ابن سبأ على الدولة الاسلامية ما جنته دولة الروم من مكاسب حينما شغل ابن سبأ ــ بفتنته ــ القوى الاسلامية بعضها ببعض فانكسرت شوكتها، وتوقفت حركة الفتح الاسلامي، ويضيف : أن هذا لو تيسر (لانكلترا) اليوم لاستغنت به في ابادة عدوها عن جيوش، وأساطيل، ومنظمات تعج بالفنيين والخبراء ![1].

ويرى ــ كذلك ــ من آثار هذه الفتنة أنها قضت على حكومة المدينة وحكومة الراشدين ليس الى أمد، بل الى يوم الدين ![2].

وأخيرا فهو يعتقد أن هذه المؤامرة التي نسج خيوطها عبد الله بن سبأ وأعوانه، لم تلق من المؤرخين عامة ما تستحق من التحرى والاهتمام[3].

٦ ــ أما الدكتور عمار الطالبى : فقد تناول كثيرا من القضايا التي أثيرت في مسألة عبد الله ابن سبأ فناقشها، وأبان وجهة نظره فيها، فهو مثلا يرد على من زعم أن ابن سبأ هو عمار ابن ياسر مشيرا الى أن الوقائع التاريخية لا تسمح لنا بذلك، اذ أن عثمان لما هاجت الفتنة وعظم شأن السبئية في مصر أرسل ضمن من أرسل عمار الى مصر ليستطلع الخبر... واذن فهما شخصان أحدهما في مصر والآخر في المدينة[4]، ويتابع بأن الظروف التاريخية اذا كانت لا تسمح لنا باصدار هذا القول، فكذلك الظروف النفسية لا تسمح لنا هي الأخرى بذلك، اذ يلزم من ذلك أن يكون عمار بن ياسر هو الذي أشاع فكرة الوصية والرجعة والمهدية والزندقة مما لا يستطيع أي مؤرخ أن ينسبه الى عمار الصحابي الجليل ![5]، ليس ذلك فحسب، بل يلزم من التوحيد بين الشخصيتين نسبة اليهودية الى عمار رضي الله عنه، والتي اثبتها قدماء أهل السنة والشيعة لعبد الله بن سبأ[6].

---

(١) عائشة والسياسة ص ٦٢
(٢) عائشة والسياسة ص ٦٥
(٣) عائشة والسياسة ص ٥٨
(٤) عمار الطالبي : آراء الخوارج ص ٧٢
(٥) المرجع نفسه : ص ٧٤
(٦) المرجع نفسه ص ٧٤

أما اتفاق الشخصيتين في الكنية (ابن السوداء) فهذا ــ كما يقول الطالبي ــ لا يقوم دليلا على انهما شخص واحد، لاننا نجد اعلاما كثيرين متشابهين في الكنى، مما جعل بعض المؤرخين يؤلفون في المتشابه من الأسماء والكنى لبيان الفرق بينهما[1].

أما القول بأن ابن سبأ شخصية وهمية أوجدته الخصومة بين السنة والشيعة[2] فيتولى الطالبي الردّ عليه بأنه لو كان وضعه من قبل التشنيع على الشيعة فلماذا يترك الشيعة الرد، وهم الذين يترصدون خصومهم ؟... لكن لم يكن شيء من هذا، وخاصة في كتب الشيعة التي ناضل أصحابها وجادلوا عن مذهبهم[3]، هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فلم يكن ابن سبأ وحده، وانما كان له جماعة في البصرة والكوفة ومصر، وعليه فليس شخصية منفردة يسهل وضعها أو انكارها، وانما شخص تحوطه جماعة تجعل من العسير اختراعها من قبل الخصوم[4].

ثم يناقش الطالبي مزاعم القائلين بأن ابن سبأ لم يكن الا من اختراع المُحدِّثين في القرن الثاني الهجرى[5] بأن التدوين في التاريخ والحديث انما نشط في القرنين الثاني والثالث الهجرى فكيف يصح القول بأن ما يقوله هؤلاء المدونون في هذا العصر مخترع منحول ؟[6].

٧ ــ وفي فصل كامل تحدث الدكتور علي النشار عن السبئية وصاحبها عبد الله بن سبأ وابتدأ بجمع النقول في المصادر الاسلامية عن ابن سبأ ودوره في الفتنة، وثنّى بالنقل عن مؤرخي الشيعة الأقدمين، وانتهى الى القول : « أود أن انتهي من كل هذا، وقبل أن نحدد تحديدا منهجيا (!!) آراء ابن سبأ، أن ابن سبأ يظهر في كتب أهل السنة والجماعة، كما يظهر في كتب

(١) آراء الخوارج ص ٧٣
(٢) كما يقول طه حسين في الفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٤٣، علي وبنوه ص ٩٣.
(٣) آراء الخوارج : ص ٧٥
(٤) المرجع نفسه : ص ٧٥
(٥) وهي قضية أثارها المستشرقون (كما سبق) ثم تعلّق بها الشيعة المتأخرون (كما سيتضح)
(٦) آراء الخوارج : ص ٧٧

الشيعة كشخصية تاريخية حقيقية »[1]، ثم التفت الدكتور الى الآراء المشككة أو المؤولة لشخصية ابن سبأ فاستراح إليها فهو يقول : « ومن المحتمل أن تكون شخصية عبد الله ابن سبأ شخصية موضوعة أو أنها رمزت الى شخصية ابن ياسر[2] ومن المحتمل أن يكون عبد الله ابن سبأ هو مجرد تغليف لاسم عمار بن ياسر...[3].

ويقول أيضا : « ... أو بمعنى أدق اني أقول : إنه من المرجح أن يكون عبد الله ابن سبأ هو عمار بن ياسر، والمرجح أن النواصب حملوا كذبا عمار بن ياسر كل تلك الآراء التي لم يعرفها قط، ولم يقل بها قطعا...[4].

وبعد ان تبينا رأي الدكتور (النشار) في ابن سبأ لنا أن نتسائل : ماذا يعني الدكتور بالتحديد المنهجي لآراء بان سبأ ؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحا عن المصادر السنّية والشيعية التي أثبتت لابن سبأ شخصية تاريخية حقيقية ـــ كما يقول الدكتور ـــ والتعلق بمراجع المحدثين ؟ ومتى كانت المنهجية ضربا من ضروب الاستنتاج العقلي في مقابل النصوص والروايات المتضافرة ؟[5].

٨ ـــ ويؤكد الدكتور محمود قاسم في معرض كتاب له أن ابن سبأ رسم خطة محكمة ماكرة أفسدت من أمور المسلمين كثيرا، وأدت بالتالي الى الفتنة السياسية، والدينية التي مازالت آثارها ماثلة في مذاهب بعض المتصوفين في الاسلام[6].

---

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (دار المعارف ط الرابعة ١٩٦٩) ج ٢/٢٧

(٢) المرجع نفسه ص ٢٨

(٣) المرجع نفسه ص ٢٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٨، والدكتور في آراءه هذه يعتمد على آراء الوردي والتي سنأتي على مناقشتها في حينها (في كتابات الشيعة) بإذن الله.

(٥) الذي يبدو أن الدكتور من المعجبين بشخصية الدكتور علي الوردي، ومصطفى الشيبي، ولذلك استمالته آراؤهما (التي سنذكرها في حينها)، ولعل مما يؤيد ذلك ما يلي :

١ ـ حينما عرج النشار على آراء الوردي قدم له بهذه الكلمات : « ولكن كاتب الشيعة الكبير، المعاصر، الاستاذ الدكتور علي الوردي يقدم لنا في براعة نادرة تحليلا بارعا لقصة عبد الله بن سبأ.. » نشأة الفكر الفلسفي ج ٢/٢٧.

٢ ـ والكتاب (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) مهدا الى علامة العراق الشاب الذي أشرق في سماء العالم العربي بعلمه وخلقه الى الاستاذ الدكتور مصطفى كامل الشيبي« نشأة الفكر » ج ٢/٢٨

(٦) محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الاسلامية ص ١٠٩

ويقطع بذلك اذ يقول : « ونخشى أن يكون هذا الرجل قد حرك من وراء حجاب نفرا ممن أسهموا في الصراع السياسي أيام الحروب بين الامام علي وبين معاوية، ثم يشير إلى (سلمان الفارسي) و (أبي ذرّ الغفارى) و (حذيفة بن اليمان) »، مرجحا ذلك بتشيع هؤلاء في الفترة التي أظهر فيها ابن سبأ دعوته[١]. !!

وعند حديثه عن آثار ابن سبأ، يرى أن الأفكار التي جاء بها كان لها رجع قوى على كثير من المذاهب، ومنها متصوفة القرنين الثالث والرابع الهجريين[٢].

ويرى أكثر من ذلك حينما يظن أن هذا المخطط اليهودي، هو الذي ابتدع مشكلات القضاء والقدر، والتشبيه، والتجسيم، والتأويل الباطني لآيات القرآن الكريم[٣].

٩ ــ أما الدكتور عبد الرحمن بدوى، فمن مميزات كتابته عن ابن سبأ أنه جمع بعضا من كتابات المستشرقين عن ابن سبأ وترجمها، وعلق عليها، فكان اهتمامه في هذا الجانب عونا للباحثين لاستطلاع آرائهم، ثم الرجوع اليها في مصادرها لمن يريد ذلك. ويبدأ حديثه بوضع احتمال كون ابن سبأ (عالما يهوديا)[٤].

أما عن يهودية ابن سبأ فذلك هو ما تكاد تجمع عليه المصادر العربية، كما يقول الدكتور بدوى[٥].

وهو عنده أحد الغلاة الذين نفاهم علي الى ساباط[*] المدائن بعد سنة ٣٧ هـ.[٦]،

---

(١) محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الاسلامية : ص ١٠٩
(٢) المرجع نفسه ص ١١٠
(٣) المرجع السابق ص ١١٠
(٤) عبد الرحمن بدوي : مذاهب الاسلاميين ج ١٦/٢
(٥) المرجع نفسه ج ١٧/٢
(*) ساباط : ضاحية غرب المدائن.
(٦) شخصيات قلقة في الاسلام (وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٨) ص ٢٤

ثم بدأ تعليقاته على كتابه المستشرقين، فرد على المستشرق « ليفي دلافيدا »[1]، وتتبع المستشرق (كايتاني) في آرائه[2]. ومثل هذا فعل مع المستشرقين (فريد لندر) و (فلهاوزن)[3] وبشكل مجمل، وفي حاشية الكتاب علّق على خطأ المستشرق (برنارد لويس) حيث نقل آراء بعض المستشرقين قبله نقلا خاطئا[4].

وعلى هذا فان سبأ ــ عند الدكتور عبد الرحمن بدوى ــ شخصية واقعية لا تقبل النقاش أو الجدل !.

ومن الآراء التي قالها الدكتور بدوي أن عبد الله بن سبأ والسبئية لم يقولوا بألوهية علي ابن أبي طالب، حيث لم يرد شيء من ذلك عند الطبري والقمي وأبي الحسن الأشعري، وأما ورود ذلك عند البغدادي فيرجح الدكتور أن هذا تزيّد من عنده ![5].

١٠ ــ وينقل لنا (الاستاذ احسان الهي ظهير) اجماع المؤرخين قاطبة شيعة كانوا، أم سنّة على أن الذي أضرم الفتنة، وسعى بالفساد في أرض الخلافة وأغرى الناس على عثمان هو عبد الله بن سبأ وشرذمته[6].

ويؤكد أن الكثير من عقائد الشيعة ترجع الى أصول يهودية ممثلة في عبد الله بن سبأ، فهو الذي جاء بعقيدة الوصية، والرجعة، والولاية، والإمامة، والبداء ونحوها[7].

---

(١) مذاهب الاسلاميين ج ٢/٣٠.
(٢) المرجع نفسه ج ٢/٣٥
(٣) المرجع نفسه ج ٢/٣٥، ٣٦
(٤) المرجع نفسه ج ٢/٣٦
(٥) مذاهب الاسلاميين ج ٢/٤٣، ولا أدري كيف استساغ الدكتور هذا الرأي ؟ فلان كان الطبري لم يورد ذلك، فقد أورده ابن عساكر في تاريخه (في ترجمة ابن سبأ ص ١٢٥/أ، وقبله ابن قتيبة، المعارف ص ٢٦٧، تأويل مختلف الحديث ص ٧٣، وإذا صح أن القمي لم يورد ذلك أيضا، فقد ذكره « الكشي » في رجاله ص ٩٨، أما أبو الحسن الأشعري فاليك نص ما قاله : « وذكروا عنه ــ يعني ابن سبأ ــ أنه قال لعلي عليه السلام : أنت أنت « مقالات الاسلاميين ج ١/٨٦، وهي تعني أنت الا له كما أورد ذلك الشهرستاني في الملل والنحل ج ١/١٥٥.
والقضية متضافرة لدى المتقدمين. فهي واردة عند الاسفرايني. التبصر في الدين ص ١٠٨، وابن حزم الاندلسي، الفصل.. ج ٤/١٨٦، والكرماني، ذيل كتاب شرح المواقف ص ٣٤، وفخر الدين الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧، والشاطبي : الاعتصام ج ٢/١٩٧ .. وغيرهم.
(٦) احسان الهي ظهير : الشيعة والسنة (نشر ادارة ترجمان السنة باكستان، ط الثانية) ص ٣١
(٧) المرجع نفسه ص ٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٥.

ويشير الاستاذ احسان الهي الى وسائل عبد الله بن سبأ في مزاحمة هذا الدين والتفريق بين المسلمين، فقد أدرك هو وأصحابه أن خير وسيلة لذلك لبوس النفاق، والتترس بمبدأ التشيع لعلي، وهو بريء منهم[1]، ومما يعطي الأهمية لكتابات احسان الهي ظهير حرصه على اثبات ما يذكره من آراء، من كتابات الشيعة أنفسهم، فقد أخذ على نفسه في مقدمة كتابه الا يذكر شيئا عن الشيعة الا من خلال كتبهم[2].

١١ ــ ويعرض كاتب من المهتمين بدراسة المؤامرات تجاه هذا الدين ومن الذين بحثوا في الاسلام والدعوات الهدامة وهو أنور الجندى للسبئية كواحدة من هذه المعاول، وجاءت اشارته الى عبد الله بن سبأ كأحد الرؤوس المدبرة لهذا الضلال، فعبد الله بن سبأ عنده واضع جذور الباطنية القديمة[3].

ويرى أن المفاهيم الباطنية والشعوبية التي أخذت تتسرب الى الاسلام انما كانت بواسطة تلك الكلمات التي أذاعها عبد الله بن سبأ[4].

وقد تتبع الجندى طه حسين في محاولة انكاره لعبد الله بن سبأ، مؤكدا ادعاء طه حسين للمنهج العلمي، والمنهج منه بعيد، ومدللا على ذلك باعتماده على المصادر الضعيفة، أساسًا للتشكيك في قضايا التاريخ الاسلامي، ومعرضا عن المصادر المهمة الأخرى[5].

---

(١) المرجع نفسه ص ١٩

(٢) المرجع نفسه ص ١٥

(٣) أنور الجندي : الاسلام والدعوات الهدامة ص ١٧

(٤) أنور الجندي : المؤامرة على الاسلام ص ٩٠

(٥) أنور الجندي : طه حسين وفكره في ميزان الاسلام ص ١٧١، ١٧٢.

١٢ ـــ وقد درس الدكتور نايف محمد معروف مسألة عبد الله بن سبأ، وطائفة السبئية من خلال كتابات السنة والشيعة، المتقدمين منهم والمتأخرين، وكذلك أشار الى بعض كتابات المستشرقين وآرائهم، ثم خلص الى النتيجة التالية :

« بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين، يمكننا القول أن عبد الله ابن سبأ لم يكن وهما ولا اسطورة، بل كان شخصية سياسية قوية، وأنه كان يترأس جمعية سياسية منظمة تعمل في الخفاء وفي العلن ، ونسبت هذه الجمعية الى شهرة مؤسسها فعرفت بالسبئية...»[١].

١٣ ـــ أما الدكتور سعدى الهاشمي، فبعد أن نقل اتفاق المحدثين وأهل الجرح والتعديل والمؤرخين وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل، والطبقات والأدب، والكتب الخاصة في بعض فنون العلم على وجود شخصية ابن سبأ أشار الى أصناف المنكرين وهم ما بين مستشرق حاقد، ومتابع لهم، ومتقرب الزلفى لمدارسهم، ومسلم جاهل، أو منكر مكابر من بعض شيعة اليوم، وهؤلاء وأولئك جانبوا الحق الصريح، وتمسكوا بأقوال متناقضة هي أوهى من بيت العنكبوت [٢].

وعند حديثه عن المستشرقين قال : « أما المستشرقون فأنكروه وقالوا انه شخصية وهمية تخيلها محدثو القرن الثاني ! »[٣].

---

(١) نايف محمود معروف : الخوارج في العصر الأموي (دار الطليعة / بيروت ١٣٩٧) ص ٤٨

(٢) سعدي الهاشمي : محاضرات الجامعة الاسلامية عام ١٣٩٩/٩٨ هـ
محاضرة ابن سبأ حقيقة لا خيال ص ٢٠١

(٣) المرجع نفسه : ص ٢٠١، وهذا الرأي الذي قاله الدكتور ليس على اطلاقه، فمن الثابت أن هناك طائفة من المستشرقين أثبتوا وجود ابن سبأ ولم ينكروه أمثال : داويت، نكلسن، جولد تسيهر، فان فلوتن، هوجسن الخ كما سبق)، ثم تبين لنا ـــ أيضا ـــ بعد الدراسة والتحقيق والرجوع إلى أصول كتابات المستشرقين أنفسهم، أن من بين من أشار اليهم الهاشمي لم ينكروا وجود ابن سبأ أصلا، وإنما شكوا في بعض التفصيلات الواردة في أخباره، أمثال فريد لندر، فلهوزن.

أما شيعة العصر الحاضر فيرى الدكتور الهاشمي أن أسباب انكارهم لابن سبأ عقيدته التي بثها، وتسربت الى فرق الشيعة حتى المتأخرة منها[1].

ثم يشير الى طائفة من كتب الشيعة الموثقة عندهم، والتي جاء أصحابها على ذكر عبد الله بن سبأ وعقيدته[2].

ويستفيض الهاشمي في دراسة عقيدة ابن سبأ وضلالاته من كتب الشيعة أيضا[3]، ومن بين الجوانب التي درسها الدكتور الهاشمي موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته من ابن سبأ واتباعه[4]، وموقف أتباع عبد الله بن سبأ لما سمعوا بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[5].

وفي نهاية هذه الدراسة قال الدكتور الهاشمي : « وبهذه النقول والنصوص الواضحة المنقولة من كتب القوم تتضح لنا حقيقة شخصية ابن سبأ اليهودى، ومن طعن من الشيعة في ذلك فقد طعن في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودى (ابن سبأ)، ولا يجوز ولا يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول وكذلك لا يجوز في معتقد القوم تكذيب المعصوم... »[6].

وأخيرا فكتابة الدكتور الهاشمي تعتبر — في نظري — في طليعة الكتابات المركزة حول موضوع عبد الله بن سبأ، ولئن كنا قد أجملنا نقاط البحث عنده — وفيها ما يستحق الوقفة والتأمل — فهو أمر يستلزمه الاختصار في منهج بحثنا ونقولاتنا تلك، ولئن كان هو لم يمر على دور ابن سبأ في أحداث الفتنة، واكتفى باثبات شخصيته في كتب الشيعة، فقد أشار الى أن ذلك يحتاج الى محاضرات أخرى[7].

واستكمالا للفائدة، وايضاحا للصورة نذكر عددا من الكتاب والمفكرين كانت لهم وقفات عند ابن سبأ وهي — وان كانت مختصرة — فهي لا تخلو من الفائدة...

---

(١) المرجع نفسه : ص ٢٠٤
(٢) المرجع نفسه : ص ٢٠٨
(٣) المرجع نفسه : ص ٢٠٩
(٤) المرجع نفسه : ص ٢١٤
(٥) المرجع نفسه : ص ٢٢١
(٦) المرجع نفسه : ص ٢٢٣
(٧) المرجع نفسه : ص ٢٢٣

فمحب الدين الخطيب لا يكتفي باثبات شخصية ابن سبأ كحقيقة تاريخية بل يعنبره صاحب مدرسة، منهج أصحابها محاربة الاسلام من الخلف[١] وان ابن سبأ كان يحمل في يده جرثومة الثورة ضد عثمان[٢] وهو يؤكد (مخالفا للدكتور جواد علي) ان ابن سبأ كان مع ثوار مصر عند مجيئهم من الفسطاط الى المدينة[٣].

أما الدكتور عزّت عطية فيلخص رأيه في ابن سبأ قائلا : « ... وعلى أساس ما قدمناه نستطيع الجزم بوجود مبتدع ــ تظاهر بالتشيع لعلي رضي الله عنه ــ اسمه عبد الله ابن سبأ، وأصله من اليمن، وقد نقلت عنه شناعات لم تعهد عن غيره، وقام بنشرها في كثير من الأقطار بكل ما استطاع من حيل، وليس ببعيد كونه يهوديا اندسّ على الاسلام... »[٤].

ولا ينتهي الدكتور عبد الله السامرائي الى شيء في اثبات ابن سبأ أو انكاره، وهو يرى أنه سواء صح وجود ابن سبأ في أيام علي أو في أيام عثمان أو لم يصح، فالمهم هو صحة وجود الآراء الغالية أو عدم وجودها أما شخصها فقد يكون ابن سبأ وقد يكون غيره ![٥].

ويرى الدكتور محمد عمارة ان ابن سبأ أقرب الى الخرافة، ولذا فهو أقرب الى التشكيك فيه منه الى التأكيد... انظر اليه وهو يقول : « وتنسب أغلب مصادر التاريخ والفكر الاسلامي الى ابن السوداء هذا نشاطا عظيما وجهدا خرافيا »[٦]، ويقول : « فان وجود ابن سبأ على فرض التسليم بوجوده... »[٧]، « فدعوى عبد الله بن سبأ على فرض وجوده ووقوعها... »[٨].

---

(١) محب الدين الخطيب، حاشية العواصم من القواصم، لابن العربي (الدار السعودية للنشر ط الأولى) ص ٦

(٢) المرجع نفسه ص ١١٢

(٣) المرجع نفسه ص ١٣٥

(٤) عطيه : البدعة (دار الكتب الحديثة، القاهرة) ص ٧٣

(٥) عبد الله السامرائي : الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية ص ٨٦

(٦) محمد عمارة : الخلافة ونشأة الأحزاب الاسلامية (نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت ط الأولى) ص ١٥٤، والكاتب يساري معروف يريد أن يخلص الى وجود صراع الطبقات بين المسلمين الأولين.

(٧) نفس المرجع : ص ١٥٥

(٨) نفس المرجع : ص ١٥٥

وبعيد عن أجواء التشكيك يؤكد أبو زهرة يهودية ابن سبأ، وأنه من يهود الحيرة، كما يؤكد مفاسده بين المسلمين، وتدرجه في نشر أفكاره بينهم، متخذا من التشيع لعلي رضي الله عنه ستارا يتوارى خلفه[1].

أما الدكتور حسن ابراهيم فيرى أن ابن سبأ أول من حرض الناس على كره عثمان[2] وان الأجواء تهيأت له في مصر أكثر من غيرها، ولذلك نشر فيها ما لم يستطع نشره في غيرها[3] واليه ينسب مذهب تناسخ الأرواح[4].

وعبد الله بن سبأ عند الدكتور ابراهيم شعوط أحد الأسباب الحقيقية للفتنة[5].

ب ــ الشيعة :

من أبرز هذه الكتابات الشيعية الحديثة كتابة :

١ ــ ٢ الدكتور على الوردى، الدكتور كامل مصطفى الشيبى :

والدكتور الوردى هو الأصل فيما سنورده من آراء، أما الشيبي فهو ناقل عنه مؤيد لآرائه وسنقتطف بعضا من كتابتهما بما يبين عن آرائهما... يقول الوردى :

« يخيّل اليّ أن حكاية ابن سبأ من أولها الى آخرها كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير... »[6]، وحينما يتسائل عن وجود ابن سبأ في صفين، وكيف غاب عن هذه المعركة، وهو الذي كان يصول ويجول في الجمل ؟ وأن المؤرخين لم يستطيعوا الاجابة على

---

(١) محمد أبو زهرة : المذاهب الاسلامية ص ٦٤

(٢) تاريخ الاسلام السياسي : ج ٣٥٩/١

(٣) المرجع نفسه ج ٣٦٠/١

(٤) المرجع نفسه ج ٣٩٥/١

(٥) إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ (ط : الرابعة ١٣٩٦ هـ) ص ١٥٩.

(٦) وعاظ السلاطين (ط بغداد ١٩٥٤) ص ٢٧٣

هذا السؤال المحير ! يجيب هو : بأن ابن سبأ لم يكن له وجود حقيقي حتى يختفي، وأنه لم يكن الا وهما[1]، ويعقد ــ الوردى ــ موازنة بين ابن سبأ، وبين الصحابي عمار بن ياسر، مفترضا أن أحد الرواة ربما سمع قريشا تلهج بذم ابن السوداء وتشتمه فظن أنها تعنى شخصا آخر غير عمار بن ياسر[2].

ومن دعائم التشابه بين الشخصيتين (كما يرى الوردى) ما يلي :

١ ــ كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء، وعمار كان يكنى بابن السوداء أيضا.

٢ ــ كلاهما من أب يماني، وينسبون الى سبأ بن يشجب أصل أهل اليمن.

٣ ــ كلاهما كان شدبد الحب لعلي، ومن محرضي الناس على بيعته.

٤ ــ ذهب عمار الى مصر أيام عثمان، وأخذ يحرض الناس على عثمان، ومثل هذا ينسب الى ابن سبأ.

٥ ــ ينسب الى ابن سبأ القول بأن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، وأن صاحبها الشرعي هو علي، وهذا نفسه كان يقول به عمار.

٦ ــ ويشترك الاثنان في عرقلة مساعي الصلح في معركة الجمل.

٧ ــ قالوا عن ابن سبأ أنه هو المحرك لابي ذرّ في دعوته الاشتراكية ! وصلة عمار بأبي ذرّ وثيقة جدا، ويخيل للدكتور الوردى أن هذا الكلام الذي قيل لأبي ذرّ هو كلام عمار لا كلام ابن سبأ[3].

ويخلص الوردي من هذا كله ان ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر[4]، وأن قريشا حين اخترعته كانت ترمز به الى عمار بن ياسر، فلما قتل عمار في صفين وذهب مقتله هدرًا، لم تر قريش فائدة من تكرار قصة ابن سبأ في هذا الموقف فأهملتها، وصار المؤرخون بعدئذ يهملونها تبعا لذلك[5].

---

(١) المرجع نفسه : ص ٢٧٢

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٧٣

(٣) المرجع نفسه ص ٢٧٤ــ٢٧٦

(٤) المرجع نفسه ص ٢٧٨

(٥) المرجع نفسه ص ٢٧٣

ومن آراء الوردى أن عثمان لم يكن يعرف عن ابن سبأ شيئا، فاذا كان ابن سبأ قد أثار الدنيا على عثمان حقا، فلماذا لم يدر به عثمان أو لم يخبره به أحد ولاته في الأمصار ؟[1]، وكان عثمان يتهم عليا، وعمارا، وعبد الله بن العباس، بتحريض الناس عليه، ولكنه لم يقل شيئا عن المحرض الأكبر الذي يدعى ابن سبأ كما يقول الوردى[2].

وعلى العموم فهذه الآراء التي قال بها الوردى لا تعدو أن تكون مجرد ظنون، وتخيلات كما توحى عباراته بذلك وهذه بعضها... أرجح الظن عندي[3] ويخيل الي[4]، ان هذا ظن أذهب اليه وبعض الظن اثم كما يقول القرآن[5] ولعل، وربما، والأحرى...[6] هذا فوق ما أشار اليه الكاتب (علي البصر) من أن آراء الوردى التي أودعها في كتابه (وعاظ السلاطين) قد سبقه اليها الاستاذ (هدايت ألوحكيم الهلي) استاذ جامعة لندن[7].

ولكن الغريب أن مجرد هذه الظنون، وتلك الافتراضات عند الوردى تعرّض لها الدكتور الشيبى فقال عنها : « أنها أدلة مقنعة ومنطقية... »[8] وراح ابعد من هذا يبحث ويؤكد تدعيمه لهذا الرأي، ومضيفا الى هذه الأدلة دليلا يرى أن الوردى غفل عنه ولم يلتفت اليه فقال : « ... يضاف الى هذه الأدلة كلها دليل لم يلتفت اليه الدكتور الوردى وذلك أن الطبرى في تطرقه الى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي فيها فكان اذا عددهم وذكر اسم عمار في جملتهم أغفل ذكر ابن السوداء، واذا ذكر ابن السوداء تحامى ذكر اسم عمار، مما يرجح أن الرجلين شخص واحد »[9].

ويؤكد الشيبي هذا الرأي في موضع آخر من كتابه حيث يقول : « رأينا فيما سبق أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر نفسه، وبينا السبب في ذلك... »[10].

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٨
(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٨
(٣) المرجع نفسه ص ٢٧٣
(٤) المرجع نفسه ص ٢٧٣
(٥) المرجع نفسه ص ٢٧٨
(٦) المرجع نفسه ص ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤
(٧) مجلة الثقافة الاسلامية / بغداد، العدد ١١ سنة ١٣٧٥ هـ ص ١٤
(٨) الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع (دار المعارف مصر / ط الثانية) ص ٤١.
(٩) نفس المرجع ص ٤٣
(١٠) المرجع السابق ص ٨٨.

وهذا الرأى الذي خلص اليه الوردى، وتابعه فيه الشيبي، ترده كتب الجرح والتعديل وكتب الرجال الموثقة عند الشيعة، فهي تذكر عمار بن ياسر ضمن أصحاب علي والرواة عنه، وهو أحد الأركان الأربعة عندهم، ثم هي تذكر في موضع آخر ترجمة عبد الله بن سبأ في معرض السب واللعنة[1] فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة ؟.

واذا كان الوردى يرى أن من عوامل توافق الشخصيتين ذهاب كل منهما الى مصر زمن عثمان فان استقراء النصوص، ومعرفة تاريخها يعطى مفهوما غير الذي فهمه الوردى، وبالتالي ينتصب هذا العامل دليلا على استقلال كل من الشخصيتين، فعمار انما بعثه عثمان الى مصر سنة ٣٥ هـ، بينما كان ظهور ابن سبأ سنة ٣٠ هـ، كما في الطبري[2]، وهو الذي ساق الخبرين.

وشيء آخر، وهو أن الطبرى (وهو مصدر في هذه الأخبار) أورد أن من الذين استمالوا عمارا في مصر قوم منهم عبد الله بن سبأ[3].

وأمّا قول الوردى بأن عمار كان يقول بأن عثمان قد أخذ الخلافة بغير حق، وأن صاحبها الشرعي هو علي، وبالتالي فهو يشترك مع ابن سبأ في هذا الرأي... فان هذه المقولة زعم يحتاج الى دليل، بل ان واقع عمار وعلاقته بعثمان رضي الله عنهما تنفي هذا الزعم، وتثبت لعمار الصحابي وجهاً آخر غير الذي نسبه اليه الوردى، ولنقرأ في تاريخ الطبرى هذا النص كشاهد على ما نقول : فالفتنة لما هاجت في أقطار الدولة الاسلامية زمن عثمان جاء رجال الى عثمان وقالوا له : « نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد الى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر الى مصر... »[4] فعمار اذن أحد الرجال الذين يثق بهم عثمان، فهل يصح لنا أن نتهم عمارا بأن له وجها آخر كان يخفيه عن عثمان وهو يرى عدم أحقيته بالخلافة، وأن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !.

---

(١) انظر رجال الطوسي ص ٤٦، ٥١، ورجال الحلي ص ٢٥٥، ٤٦٩، أحوال الرجال للكشي، وقاموس الرجال للتستري، وتنقيح المقال للمامقاني (نقلا عن سعد الهاشمي. محاضرات الجامعة الاسلامية ص ٢٦)

(٢) الطبري ج ٤/٢٤١

(٣) الطبري ج ٤/٣٤١.

(٤) الطبري ج ٤/٣٤١

وقد تقدم بنا القول أن التشابه في الكنى لا يجعل من الرجلين شخصية واحدة، كما تقدم بنا أيضا أن الظروف التاريخية وطابع كل من الشخصيتين لا تسمحان لنا بقبول رأي الوردى هذا[1].

والاتجاه الى افتراض أن شخصيتين ورد ذكرهما في المدونات التاريخية هما شخصية واحدة هو خروج على الروايات التاريخية المتواترة، ينبغي أن يستند الى حجج قوية مقنعة، والا لتوالت المزاعم المتخبطة من هذا القبيل.

نكتفى الى هذا الحد بالتعليق على رأى الوردى ومتابعه الشيبي حتى لا نعطى الموضوع أكثر مما يستحق، وحتى تكون هناك فرصة للقارىء ليجد في نفسه من عوامل الرد ما يجعل من المستحيل أن يكون ابن سبأ هو عماراً.

واني لأعجب كيف يستحوذ على قضايا التاريخ ؟ وكيف تلوى عنق النصوص لتوافق هوى في نفوس أصحابها ؟ وبالتالي فاني أؤكد حاجة المؤرخ الى التجرد، وأميل الى رأي ابن خلدون في استخدام العقل والحس التاريخي[2] وأعتقد أن في هذا أمانا من الشطط، والضرب في التيه بلا دليل !.

٣ ــ عبد الله الفياض :

يطرح الفياض السؤال التالي : هل كان ابن سبأ موجودا في الواقع أم أن شخصيته خيالية ؟ ثم يجيب : « يبدو أن ابن سبأ كان شخصية الى الخيال أقرب منها الى الحقيقة، وأن دوره ــ ان كان له دور ــ قد بولغ فيه الى درجة كبيرة لأسباب دينية وسياسية »[3]، ثم يسرد أدلة يرى أنها تضعف قصة ابن السوداء ومنها :

---

(١) انظر ص ٣٩، ٤٠ (من هذا الفصل)

(٢) مقدمة ابن خلدون (دار احياء التراث / بيروت) ص ٩

(٣) عبد الله الفياض : تاريخ الامامية (من منشورات مؤسسة الأعلمي / بيروت / ط. الثانية ١٣٩٥ هـ /١٩٧٥ م) ص ٩٥

١ ــ عدم تعرض المصادر المهمة لها أمثال ابن سعد، والبلاذرى ووردت عند الطبرى بسند فيه سيف وهو مشهور بتزوير التاريخ، واختلاق الحوادث كما أورد ذلك عنه مرتضى العسكرى[١] .

٢ ــ ولو عرضنا القصة للنقد الداخلي لتبين لنا أنها حافلة بالتناقض والمبالغة، فاذا كان الطبرى قد ذكر ظهور ابن سبأ بين سنة ٣٢، ٣٣ هـ. في البصرة، وقد انتقل منها الى الكوفة، ومنها الى الشام وهناك لقي أبا ذرّ، وتباحث معه في قضية المال، ويترتب على هذا أن ابن سبأ كان في الشام في حدود سنة ٣٣ هـ، وعند الرجوع للطبرى نجد أن المناظرة بينه وبين أبي ذرّ كانت سنة ٣٠ هـ. وبعدها جيء بأبي ذرّ الى المدينة ومنها نفى الى الربذة وبها توفي سنة ٣١ أو ٣٢ هـ... الى أن يقول : فكيف يصح أن نقر مقابلة أبي ذرّ لابن سبأ في الشام سنة ٣٠ هـ. مع أن ابن سبأ لم يظهر بعد ؟ وأن ظهوره ان صح كان بعد وفاة أبي ذرّ، ولعل في هذا دليل على ان ابن سبأ لم يكن شخصية تاريخية، وأن أبا ذرّ لم يلقه في أي وقت من الأوقات[٢] .

ونأتي الى أدلة الفياض، فالأول منها ليس فيه من جديد، وانما هو رأي طه حسين جاء به الفياض هنا، وقد ذكرنا عند الحديث عن طه حسين الرد على ذلك، ونقلنا بعد هذا رأى الاستاذ محمود شاكر في الرد على طه حسين، وزيادة على ذلك أضفنا أن البلاذرى ذكر ابن سبأ بشخصه، وابن سعد أشار الى طائفته السبئية.

أما الدليل الآخر فالذي يبدو أن الفياض لم يستكمل قراءته للطبرى وفاتته نصوص كانت كفيلة بحل ذلك الاشكال الذي استشكله، فهو قرر ــ بناء على رواية الطبرى ــ ان ابن سبأ لم يظهر الا بعد وفاة أبي ذرّ فكيف يقابله ؟ وفاته نص آخر عند الطبرى نفسه يشير الى ظهور ابن سبأ سنة ٣٠ هـ.[٣]، أي قبل وفاة أبي ذرّ بعام أو عامين...

---

(١) المرجع نفسه ص ٩٥، ٩٦

(٢) المرجع نفسه ص ٩٦، ٩٧

(٣) الطبري ج ٢٨٣/٤، ٣٩٨.

٤ ـ مرتضى العسكرى :

وهو من أكثر الشيعة المحدثين اهتماما بمسألة عبد الله بن سبأ، وألف في ذلك كتبا يعول عليها كثير من باحثي الشيعة المحدثين، ونظرا لأهمية كتابات العسكرى في موضوعنا ولأنها تحوى أفكار العسكرى، ويعتمد عليها من جاء بعد العسكرى فلنتوقف عندها قليلا... وتربو كتابة العسكرى حول موضوع ابن سبأ على ستمائة صفحة(من الحجم المتوسط) وهي موزعة في كتابين :

١ ـ الجزء الأول : عبد الله بن سبأ بحث حول ما كتبه المؤرخون والمستشرقون ابتداء من القرن الثاني الهجرى.

٢ ـ الجزء الثاني : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى.

وفي الجزء الأول : أشار العسكرى الى منشأ البحث عنده، وهو تجلية التاريخ من الكثير من الروايات المدسوسة الموضوعة، ومن أهمها الأخبار التي رواها سيف بن عمر، وأشار أنه توقف عن نشرها زهاء سبع سنين كان يمنعه من ذلك تهيّب اثارة العواطف في الشرق المسلم لا سيما والبحث يهدم كثيرا من الأسس التي بنى عليها أساتذة التاريخ مبانٍ لا تقبل النقض والابرام، وهو في الأخير يؤكد أن الذين يؤمنون بالتاريخ المدوّن ايمان العجائز لا يمكن أن ينتفعوا بهذا الكتاب ![1].

وفي التمهيد الذي وضعه أشار الى كتابة المؤرخين عن ابن سبأ منذ ألف سنة، وما ينسب اليه والى اتباعه السبئية من أعمال مدهشة خطيرة، ثم يتساءل : فمن هو ابن سبأ ؟ ومن هم السبأيون ؟ وما هي دعاواه ؟ وما هي أهم أعماله ؟، ويلخص في بقية التمهيد قصة ابن سبأ وأتباعه وآثارهم في الفتن الواقعة بين المسلمين، وهو ينقل هذا بصيغة التشكيك والتضغيف[2].

---

(١) العسكري : عبد الله ابن سبأ بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون... (المطبوع في النجف سنة ١٣٧٥ هـ) ج ١ ص أ، ب

(٢) المرجع نفسه ج ١/١ـ٦.

وتحت عنوان : (منشأ القصة) جمع العسكرى بعضا من كتابات المحدثين من مسلمين ومستشرقين، ونقولات المؤرخين، وانتهى الى القول : بأن جميع من نقل قصة ابن سبأ انما أخذ من معين الطبرى، واستقى أخباره من كتابه سواء أشار الى ذلك صراحة بالجزء والصفحة، أو وجدته واضعا في الأخير من جملة مصادره : الطبرى، أو أسماء الكتب التي أخذت عن الطبرى[1]، وهذه جرأة عجيبة من العسكرى على اصدار الأحكام القاطعة دون تمحيص وتثبت.

فهل صحيح مثلا أن مصدر هذه القصة هو سيف وحده ؟[2] كما يقول العسكرى. وهل صحيح أيضا أن ابن عساكر مثلا ـــ وهو ممن نقل عنه العسكرى ـــ كان أيضا ضمن (جميع) المؤرخين الذين رووا اخبار ابن سبأ وينتهي سندهم الى سيف، سواء نقلها ابن عساكر عن سيف مباشرة أو بواسطة الطبرى ؟[3].

والذي يتبين لنا من خلال البحث أن سيفا ليس هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله ابن سبأ، كما أن ابن عساكر لم تقتصر طرق روايته على سيف وانما أورد في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها وكلها تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره... وإليك البيان.

عن عمار الدهني[4] قال : « سمعت أبا الطفيل يقول : رأيت المسيّب بن نجبه أتى به ملببه يعنى ابن السوداء، وعلي على المنبر فقال علي : ما شأنه ؟ فقال يكذب على الله ورسوله »[5].

---

(١) المرجع نفسه ص ٧ـــ١٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٧

(٣) المرجع نفسه ص ١٧

(٤) هو عمار بن معاوية الدهني : وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم، رمي بالتشيع، حتى قال ابن عيينه : قطع بشر بن مروان عرقوبيه في التشيع قال الذهبي : وأراه كان صبيا شابا في أيام بشر، توفي سنة ١٣٣ هـ (ميزان الاعتدال ٣/١٧٠، الكاشف ٢/٣٠٠)

(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ورقه ١٢٤/ب

« ... وعن يزيد بن وهب[1] عن علي قال : مالي وما لهذا الحميت الأسود »[2].

« ومن طريق زيد بن وهب أيضا عن سلمة عن شعبه، قال علي بن أبي طالب : ما لي ولهذا الحميت الأسود، يعنى عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر »[3].

عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى :

وهو الكتاب الثاني للعسكرى، وقد جمع فيه كل آرائه حول ابن سبأ، وأودعه نقولات لم ترد في الكتاب الأول، ولهذا فهو أشمل من سابقه، ومن الأفكار الواردة في الكتاب نسوق الآتي :

في مقدمة الكتاب جعل العسكرى الصحابة قسمين :

١ ــ أبرار الصحابة.

٢ ــ المطعونين في دينهم ؟[4].

ويتحدث عن سيف متهما اياه بالتزوير والكذب يدفعه الى ذلك :

١ ــ التعصب القبلي بتمجيد العدنانيين على حساب القحطانيين.

٢ ــ كما تدفعه الزندقة الى التحريف والتشويه[5].

---

(١) من أجلّ التابعين وثقاتهم، وثقه ابن معين وغيره حتى قال الأعمش : إذا حدثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدثك عنه قيل مات سنة تسعين أو بعدها، وذكر ابن سعد ان وفاته كانت بعد الجماجم في ولاية الحجاج (ميزان الاعتدال ١٠٧/٢، تهذيب التهذيب ٤٢٧/٣).

(٢) المصدر نفسه ورقه ١٢٤/ب.

(٣) المصدر نفسه ورقه ١٢٤/ب وقد أرسلت للشيخ ناصر الدين الألباني (جزاه الله خيرا) أسانيد هذه الروايات لدراستها فضبطها بين صحيح وحسن صحيح لغيره ــ والألباني مشهود له بطول الباع في دراسة الأسانيد.

(٤) العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى (دار الغدير، بيروت / طهران ط. الأولى ١٣٩٢ هـ) ج ٢/٥

(٥) المرجع نفسه : ص ٦، وهذا الاتهام يحتاج الى وقفة، فبالنسبة للتعصب القبلي وتحيز سيف بسببه ترده أحوال بني تميم وموقفهم من الفتنة إذ من المعروف أنهم ممن اعتزل الفتنة مع سيدهم الأحنف بن قيس يوم الجمل، ولم يشترك أحد منهم في مقتل عثمان، ولا عجب أن يأتي سيف باحداث الفتنة مفصلة من قبيلته وأهله، وبالتالي فهو يشكل مصدر حيادي مطلع (يوسف العش. الدولة الأموية ص ٨٩، ٩٠) يضاف الى هذا أن العسكري نفسه جاء على ذكر بعض قبائل وهي من العدنابيين (عبس) ضمن طوائف المرتدين وقد وردوا في رواية سيف. (انظر ص ١٣ من كتابه عبد الله بن سبأ وأساطير اخرى) أما اتهام سيف بالزندقة فالمسألة تحتاج إلى تحقيق وتدليل فما هي الادلة على ذلك ؟ ولكن كيف يستقيم اتهامه بالزندقة، وهو الذي فضح الزنادقة أمثال عبد الله بن سبأ ؟ !

وتحت عنوان (تصحيف وتحريف) ذكر العسكرى عدة أشياء حرفها وحورها ــ حسب زعمه ــ سيف ومنها تصحيفه عبد الله بن وهب السبائي (رأس الخوارج) الى عبد الله بن سبأ[1].

وفي فصل (عبد الله بن سبأ في كتب الحديث) نقل العسكرى الروايات الواردة في كتب الشيعة عن ابن سبأ، وابتدأها بما كتبه (الكشي) مروية بالسند، وأشار الى أن هذه الروايات انتقلت الى كتب الشيعة عن طريق رجال الكشي المسمى بـ (معرفة الناقلين) وممن نقل عنه :

الطوسي (٤٦٠ هـ.) في كتابه (اختبار معرفة الرجال)، وأحمد بن طاوس (٦٧٣ هـ.) في (حل الاشكال) والحلي (٧٢٦ هـ.) في كتابه (الخلاصة)، وابن داود في (رجاله)، والعاملي، والقهبائي...[2].

وذكر العسكري أن كل من جاء بعد الكشي من علماء الرجال، ومن أهل الحديث أخذ ترجمة ابن سبأ عنه ورمز اليها بـ (كش)[3] ومن أمثال هؤلاء : النقرشي في نقد الرجال، الأردبيلي في جامع الرواة، المجلسي في البحار، الحر العاملي في كتابه تفصيل الوسائل، وابن شهر آشوب في المناقب...[4].

ومن العجب أن العسكرى الذي يشير الى ذكر ابن سبأ في هذه الكتب الشيعية بأسانيد ليس فيها سيف، هو الذي أشار قبل قليل الى اسطورة ابن سبأ وأنه من اختلاق سيف لا أكثر !

بل قد أشار بعد هذا الى ذكره في كتب الشيعة المعتمدة عندهم (كما قال العسكرى) أمثال : (من لا يحضره الفقيه) للصدوق (٣٨١ هـ.)، و (التهذيب والاستبصار) للشيخ الطوسي[5].

---

(١) المرجع نفسه ص ١١١

(٢) المرجع نفسه ص ١١٧ــ١٢١

(٣) وسبق لنا ذكر رواية الكشي بسندها عند الحديث عن « ابن سبأ عند متقدمي الشيعة »

(٤) المرجع السابق ــ ص ١٢٢.

(٥) المرجع السابق ص ١٢٢

وفي مقدمة هذا الفصل ــ الذي نحن بصدده ــ أراد العسكرى أن يرد على روايات الكشي بقوله : « لم يكن يومذاك غلاة ولا عباد صنم في الجزيرة العربية، ولم يحرق الامام أحدا، ويجوز وجود زنادقة أو من ارتد الى النصرانية قتلهم الامام، ثم أحرق جثتهم خشية أن يتخذ قبورهم وثنا »[1].

وفي فصل (عبد الله بن سبأ في كتب أهل المقالات) أورد العسكرى نقولات كتاب الفرق من الشيعة والسنة حول ابن سبأ والسبئية.

فقد أورد ما ذكره القمي (٣٠١ هـ.) ثم عقب عليه بقوله : « هكذا سرد الأشعري في كتابه عن السبئية دون أن يذكر سند ما أورده، ولا مصدر ما نقله... »[2].

والذي يتبين للباحث أن اسناد الخبر أو عدمه ليس فيصلا في قبول الخبر أورده عند العسكرى فقد رد أخبار الكشي عن ابن سبأ مع أنها مسندة كما تقدم ــ هذا من جانب ــ ومن جانب آخر فهو يضعف من شأن هذين المصدرين من مصادر الشيعة بنقله التضعيف لمؤلفيهما. فالكشي وان كان ثقة عين، فهو يروى عن الضعفاء كثيرا، وله أغلاط كثيرة، كما يقول العسكرى[3] وكذلك القمي « فقد سمع من حديث العامة شيئا كثيرا »[4].

أما النوبختى (٣١٠ هـ.) فقد قال عند العسكرى : انه « لم يذكر من أين أخذ ما أورده »[5].

ويستطرد العسكرى في النقول عن كتاب الفرق من أهل السنة، أمثال : على ابن اسماعيل الأشعرى (٣٣٠ هـ.) والملطي (٣٧٧ هـ.) والبغدادي (٤٢٩ هـ.) والاسفرائينى (٤٧١ هـ.)، وابن حزم (٤٥٦ هـ.)، والشهرستاني (٥٤٨ هـ.)... وغيرهم، ثم يعلق على هذه النقول بقوله :

---

(١) المرجع السابق ص ١١٧
(٢) المرجع السابق ص ١٥٥
(٣) نفس المرجع ص ١٢٣
(٤) نفس المرجع ص ١٥٥
(٥) نفس المرجع ص ١٥٦

« كانت تلك أقوال أهل الملل والنحل، ونسج على منوالهم في الهذر آخرون مثل صاحب البدء والتاريخ »[1].

ويقول عنهم في موضع آخر : « أما مؤلفو كتب الملل والفرق فانهم تنافسوا في تكثير عدد الفرق في الاسلام كالناووسية، والطياره، والممطورة، والسبئية، والغرابية، والمعلومية، والمجهولية، وأمثالها، ويبدو أنهم كتبوا من عند أنفسهم شروحا عن أولئك الفرق توضح عقائدهم، أراد كل مؤلف أن يبزّ الآخرين في غريب ما يورد ويشرح، وبذلك جنوا على الاسلام جناية لا تغتفر في نسبتهم الى المسلمين ما لم يكن فيهم ! »[2].

ويصل تهكم العسكرى بكتاب الفرق الى حد القول : « ولو قدر لنا أن نكتب في الفرق لأضفنا الى ما ذكروا، (الفرقة المبتكرية في الاسلام) ثم نشرح هذا القول ونقول : انهم أصحاب كتب الفرق والملل والنحل الذين يخترعون الفرق للمسلمين ويبتكرون لهم من عند أنفسهم أخبارا، وكان يكفينا دليلا على ذلك ايراد بعض الفصول من الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادى، والفصل لابن حزم ثم البحث عن اسناد ما أوردوا... »[3].

والعسكري في هذا الفصل لم ينس أن ينقل ما كتبه ابن عساكر، والذهبي وابن حجر، والمقريزى ولم ينس كذلك الاشارة الى ما كتبه ابن أبي الحديد (٦٥٥ هـ.)، وابن كثير (٧٧٤ هـ.)، وابن خلدون (٨٠٨ هـ.) ولكنه أردف قائلا : أن هؤلاء وغير هؤلاء انما نهلوا من معين سيف تارة، وأخرى من معين مؤلفي الفرق والملل والنحل[4].

واذن فأي شيء بقي للعسكرى يعتمده في اخبار ابن سبأ، وقد رفض أخبار الرواة، ولم يقنع بما نقله الحفاظ من الثقات، وشنّع على كتاب الملل والنحل، ولم ينته الى ما كتبه علماء الجرح والتعديل، ولم يكتف برد أخبار علماء أهل السنة، وانما ضعف ما كتبه أئمة الشيعة ؟.

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٥

(٢) نفس المرجع ص ١٧١

(٣) نفس المرجع ص ١٧١، ١٧٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٧١.

لم يبق للعسكرى الا أن يقول بخرافة عبد الله بن سبأ واسطورة السبئية وانها لا تعدو أن تكون كخرافة طائر (النسناس) الذي تناقلته الروايات وكتب التاريخ، وهو ضمن الأساطير القصصية الخرافية، يقول العسكرى : « انما نرى اساطير السبائية شبيهة بأساطير النسناس في تناقل العلماء أخبارها مدى القرون مسندة تارة وأخرى مرسلة، ونرى أن النظر فيما ذكروا مجرد عن أي رد ونقض كاف لادراك اللبيب زيفهما وسخفهما »[1].

وازاء هذا الانكار أكد أكثر من مرة أنه لم يكن لعبد الله بن سبأ وجود في عصري عثمان وعلي البتة وان الموجود انما هو عبد الله بن وهب السبائي رئيس الخوارج، ولكن سيف صحّف واخترع هذه الشخصية الجديدة[2].

ومرة أخرى يصطدم العسكرى ازاء هذا الانكار بمرويات من أسماهم (أهل البيت) فلا يعجزه الخلاص، حتى ولو كان على حساب نقض العصمة لهؤلاء الأئمة، والتي يلزم الشيعة بها أنفسهم تجاه أئمتهم، ويجعلونها في مقدمة عقيدتهم فيقول :

« أما الروايات التي رويت في الكتب عن أئمة أهل البيت، وفيها ذكر ابن سبأ فنقول فيها : ان الروايات لا تصيّر غير الموجود موجودا، وقد مرّ علينا في البحث عن كلمة عبد الله ابن سبأ أنه لا يوجد شخصية باسم عبد الله بن سبأ في عصرى عثمان وعلي بتاتا، اللهم الا عبد الله السبائي بن وهب، فما أمكن صدقها من تلكم الروايات على عبد الله السبائي جاز صدقها وصحة صدورها منهم... وما لم يمكن صدقها على عبد الله السبائى بن وهب فموضوع على الأئمة ومدسوس على علماء الحديث ! »[3].

وفي خاتمة الكتاب يؤكد العسكرى على اختلاق سيف لعبد الله بن سبأ، وهو وان كان لم يجد من حل لصريح النصوص التي تدينه في كتب أئمة الشيعة الا أن يقول بجواز الدس عليهم، وتناقلهم ما ليس بصحيح، فهو هنا يشر الى أن هناك كتبا أخرى من كتب

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٤

(٢) المرجع نفسه ص ٢٧٩، ٢٨١

(٣) المرجع السابق ص ٢٨١، ٢٨٢.

الأئمة الموثوقة قد ضاعت وحل محلها أمثال تاريخ الطبرى الذي يحوى من دس الزنادقة الشيء الكثير ؟[1].

وممن تناول مسألة عبد الله بن سبأ من الشيعة المحدثين (محمد جواد مغنية)، وهو يتحدث عن طائفة السبئية لا على أساس أنها خرافة أشبه ما تكون بطائر النسناس ! وانما هي فرقة تابعة لعبد الله بن سبأ، وتأخذ تسميتها من اسمه، وابن سبأ عنده أول من قال بالغلو والحلول، والجزء الالهي الذي حل في علي ينتقل بالتناسخ من امام الى امام ![2].

أما (محمد الحسين آل كاشف الغطاء) فهو يحاول تبرئة ساحة الشيعة من عبد الله ابن سبأ، مدللا على ذلك بلعن كتب الشيعة له، والبراءة منه[3].

على أنه لا يستبعد أن يكون هو ومجنون بن عامر، وأبو هلال... وأمثالهم أحاديث خرافية، وضعها القصاص لتزجية الفراغ، وشغل أوقات الناس[4].

وبالجملة، وبعد هذا العرض المفصل نخلص الى عدة أمور :

١ ـ أن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية يتفق عليها معظم المتقدمين من السنّة والشيعة.

٢ ـ وهو كذلك أيضا عند غالبية المستشرقين أمثال : فريد لندر، فلهاوزن، دوايت، روندلسن، رينولد نكلسن، جلو تسيهر، فان فلوتن، ليفي دلا فيدا هوجسن...

على حين تبقى محل شك عند المستشرق كايتاني ومحض انكار عند المستشرق برنارد لويس دون دليل.

٣ ـ كما أنه محل اتفاق عند المحدثين أهل السنة، عدا فئة قليلة كان لها تأثر واضح بمنهج الاستشراق، أو ولوع واندهاش بكتابات متأخرى الشيعة في هذا النطاق، أو ثالثة حجبها الغموض المكتنف لشخصية ابن سبأ فألزمها التشكيك، وربما أودر بها الى الانكار

---

(١) نفس المرجع ص ٣١٦

(٢) محمد جواد مغنية، مع الشيعة الامامية (الناشر : مكتبة الأندلس ط . الثانية) ص ٤٠.

(٣) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها، ط . الثالثة ص ٦١

(٤) نفس المرجع ص ٦١.

٤ ــ أما الشيعة المتأخرون، فأغلب الكتابات البارزة حوله تنكر وجوده وتجعله الى الوهم أقرب منه الى الوجود (الوردى، الشيبي)، والى الخيال أقرب منه الى الحقيقة (الفياض)، والى الأسطورة أقرب منه الى الواقع (العسكرى) !.

٥ ــ واذا كان من دعائم هذا الانكار التعويل على تضعيف سيف والتقليل من شأن مروياته، فللقارىء أن يعرف، ولنا أن نتوقف عند **سيف بن عمر بين الجرح والتعديل**

يقول النسائي (٣٠٣ هـ.) : « سيف بن عمر الضبي ضعيف »[١] ويقول ابن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ.) : «... حدثنا عبد الرحمن، قال سئل أبي عن سيف بن عمر الضبي فقال : متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدى... »[٢].

وعند ابن معين ان سيفا ضعيف الحديث[٣] وذكره الذهبي فيمن له رواية في الكتب السنة، واكتفى بالقول : « ضعفه ابن معين وغيره »[٤].

وفي المغنى سيف بن عمر التميمي الأسدى، له تواليف متروك باتفاق »[٥].

وعند ابن حجر سيف ... ضعيف الحديث...[٦].

ويقول ابن حبان : « سيف بن عمر الضبي الأسدى، من أهل البصرة، اتهم بالزندقة... يروى الموضوعات عن الاثبات... »[٧].

---

(١) الضعفاء والمتروكين : أحمد بن شعيب النسائي ص ١٤.
(٢) الجرح والتعديل : القسم الأول من المجلد الثاني ص ٢٧٨
(٣) المصدر نفسه : القسم الأول من المجلد الثاني ص ٢٧٨
(٤) الكاشف ج ٤١٦/١.
(٥) الذهبي : المغني في الضعفاء ص ٢٩٢
(٦) التقريب : ج ٣٤٤/١
(٧) المجروحين : ج ٣٤٥/١

هذا سيف بن عمر محدثا، فماذا عساه يكون اخباريا (مؤرخا)[1] ؟!.

ونعود الى كتب الرجال نفسها فنجد الآتي :

يقول الذهبي : « كان اخباريا عارفا »[2].

ويقول ابن حجر : « ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ »[3].

والى هنا ينتهي الضعف والترك المنسوبان الى سيف، بحملها الى (الحديث) لا الى (التاريخ) وهو مجال بحثنا.

أما اتهام ابن حبان لسيف، فيجيب عنه ابن حجر بقوله : « أفحش ابن حبان القول فيه »[4].

وقد قدمت أنه كيف يصح اتهام سيف بالزندقة دون دليل ؟ بل كيف يصح اتهامه بذلك وروايته في الفتنة، وحديثه عما جرى بين الصحابة أبعد ما تكون عن أسلوب الزنادقة ؟.

ونحن نضيف الى حجيّة سيف في التاريخ ما يلي :

أ ــ جعله الامام الطبرى مصدرا مهما في نقل الأخبار، فقد نقل عنه في أحداث الفتنة أكثر مما نقله عن غيره، حتى كاد يعتمد عليه، فان اعترض على ذلك بأن الطبرى نقل عنه وعن غيره من صحيح وسقيم، وجعل التبعة على من يقرأ تاريخه مدعما بالسند ! قلنا هذا اعتراض لا غبار عليه ولكن الطبرى ــ مع ذلك له اشارات أحيانا ــ حينما يستبشع خبرا، أو ينكر أمرا، كما فعل مع الواقدي (محمد بن عمر ٢٠٧ هـ.) في حديثه عن أسباب مسير المصريين الى عثمان[5].

---

(١) لابد من التفريق بين رواية « الحديث »، ورواية الأخبار الأخرى، فعلى الأولى تبنى الأحكام، وتقام الحدود فهي تتصل مباشرة بأصل من أصول التشريع (السنة النبوية)، ومن هنا تحرز العلماء ــ رحمهم الله ــ في شروط من تأخذ عنه الرواية، ويختلف الأمر في رواية الأخبار، فهي وان كانت مهمة ــ لا سيما حينما يكون مجالها الاخبار عن الصحابة ــ إلا أنها لا تتمخض عن احكام ملزمة إذ أن كل انسان يؤخذ من كلامه ويرد سوى صاحب هذا القبر، كما قال الامام مالك رحمه الله ومن هنا فلابد من مراعاة هذا المقياس وتطبيقه على « سيف » محدثا، واخباريا.

(٢) ميزان الاعتدال ج ٢/٢٥٥

(٣) تقريب التهذيب ج ١/٣٤٤

(٤) نفس المصدر ج ١/٣٤٤.

(٥) الطبري ج ٤/٣٥٦

ولم يكن من هذا شيء ــ فيما أعلم ــ مع سيف بن عمر.

ب ــ كما جعله الذهبي أحد المصادر التي اعتمد عليها في كتابه (تاريخ الإسلام) يقول الذهبي : « ... وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة، ومادته من، دلائل النبوة للبيهقي، وسيرة النبي ﷺ لابن اسحاق، والفتوح لسيف بن عمر... »[1].

ج ــ أما ابن كثير فقد مال الى تصحيح رواية سيف، في صفة قتل عثمان[2] على الرغم من ايراده لأكثر من رواية في الباب، علما أن فيها رواية خليفة بن خياط (أحد شيوخ البخارى) وهي أقوى سندا من رواية سيف فيما يبدو.

ثم ان الصيغة التي رسمها ابن كثير للروايات التي ساقها كأنما تدلُّ على شيء في نفس ابن كثير تجاه سيف وهذه صورها :

« وقال خليفة بن خياط : حدثنا عليه... »[3].

« وقال سيف بن عمر التميمي رحمه الله »[4].

« وروى الحافظ ابن عساكر... »[5].

« وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن محمد... »[6].

ومن آراء المؤرخين المتقدمين، نستوحي آراء المحدثين في سيف فنجد التالي :

د ــ يقول محب الدين الخطيب عن سيف : « ... وهو أعرف المؤرخين بتاريخ العراق »[7].

---

(١) تاريخ الاسلام ج ١/١٤، ١٥

(٢) البداية والنهاية ج ٧/٢٠٣

(٣) البداية والنهاية ج ٧/٢٠٢

(٤) نفس المصدر ج ٧/٢٠٢

(٥) نفس المصدر ج ٧/٢٠٢

(٦) نفس المصدر ج ٧/٢٠٣

(٧) . ـية العواصم من القواصم، ابن العربي ص ١١٥

وعنه وعن شيوخه يقول : « ... وهم أعرف الإخباريين بحوادث العراق »[1] وفي سبيل الموازنة بينه وبين أبي مخنف قال : « لوط بن يحيى الشيعي المحترق، وسيف بن عمر العراقي المعتدل »[2].

هـ ــ ويرى الدكتور العش أن رواية سيف هي التي تتفق مع الروايات الصحيحة فيقول : « وجملة القول أن سيف بن عمر يأتينا بقصة الفتنة من مصدر حيادى مطلع، فتأتي قصته منسجمة مع الروايات الموثوقة، فتدخل في عدادها مفسرة موضحة، مفصلة مقبولة »[3].

وباختصار فهي (رواية تاريخية بما للكلمة من معنى)[4].

و ــ يقول أحمد راتب عرموش : « ويبدو من مراجعة كتب التراجم أن سيفا لم يكن من رواة الحديث المعتمدين، لكن يجمع واضعوها على أنه عمدة في التاريخ، وأنه كان اخباريا عارفا وقد اعتمد عليه الطبرى كثيرا في تاريخ حوادث صدر الاسلام »[5].

ز ــ اما الدكتور عمار الطالبي فيشير الى أن سيفا من أقدم المؤرخين اذ توفي في عهد الرشيد (١٩٣ هـ.) بعد (١٧٠ هـ.)، ومن ناحية أخرى فانه من رجال الترمذى (٢٧٩ هـ.) ولم يناقض في روايته راويا آخر، ولم يرد عليه أحد من المحدثين أو المؤرخين في خبره الخاص بابن سبأ[6].

ونضيف هنا أن الذين ضعفوا سيفا، وتكلموا فيه ذكروا ابن سبأ ولم ينكروه أمثال : ابن حبان[7]، والذهبي[8]، وابن حجر[9].

---

(١) نفس المصدر ص ١٥٤
(٢) نفس المصدر ص ١٧٧
(٣) الدولة الأموية ص ٩٠
(٤) نفس المرجع ص ٨٩
(٥) الفتنة ووقعة الجمل ص ٢٧
(٦) آراء الخوارج ص ٧٧
(٧) المجروحين ج ٢٠٨/١، ج ٢٥٣/٢
(٨) المغني في الضعفاء ج ٣٩٩/١، ميزان الاعتدال ج ٤٢٦/٢
(٩) لسان الميزان ج ٢٩٠/٣

وأخيرا نورد هذا السؤال :

هل التزم الذين جرحوا سيفا، ولم يقبلوا روايته، بالأخذ عن الثقات من الرواة ؟.

وللاجابة عن هذا السؤال نقول : أن من أبرز من أشهر هذه القضية، وبنى آراءه على أساسها : مرتضى العسكرى، فقد ألف كتابين بعنوان (عبد الله بن سبأ ...)، وثالثا بعنوان (خمسون ومائة صحابي مختلق)، وكل هذه الأشياء مما صحف فيها سيف وحرف كما قال[1]، ولكن، وماذا بعد هذا ؟.

ان العسكرى، وهو يرفض رواية سيف ويتهمه يأخذ عن أبي مخنف[2]، ونصر ابن مزاحم[3] فمن يكونان ؟.

أما أبو مخنف (لوط بن يحيى) فهو شيعي محترق، وصاحب أخبارهم، كما قال ابن عدى[4].

وسئل عنه أبو حاتم فنفض يده، وقال : « أحد يسأل عن هذا ؟ »[5] وقال يحيى ابن معين : « ليس بثقة »[6]، وقال مرة « ليس بشيء »[7] وهو ليس عمدة في التاريخ — كما هو شأن سيف — بل هو اخبارى تالف، لا يوثق به » كما قال ذلك الذهبي[8] وتبعه ابن حجر العسقلاني[9].

وقيل في نصر بن مزاحم : « رافضى جلد، تركوه »[10] بل من غلاة الرافضة، كما قال العجلي[11]، وشيعي وفي حديثه اضطراب وخطأ كثير كما قال ذلك العقيلي[12]، وقال

(١) العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ص ٧
(٢) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ص ٢٧
(٣) نفس المرجع ص ١٠٨
(٤) ميزان الاعتدال ج ٤١٩/٣.
(٥) لسان الميزان ج ٤٩٢/٤
(٦) نفس المصدر ج ٤٩٢/٤
(٧) المصدر نفسه ج ٤٩٢/٤
(٨) ميزان الاعتدال ج ٤١٩/٣
(٩) لسان الميزان ج ٤٩٢/٤
(١٠) الذهبي : الميزان ج ٢٥٣/٤
(١١) لسان الميزان ج ١٥٧/٦
(١٢) ميزان الاعتدال ج ٢٥٣/٤

أبو خيثمة : « كان كذابا »[1] وقال أبو حاتم : « واهي الحديث، متروك »[2].

وعلى أية حال، وفوق هذا كله، فلم تكن أخبار عبد الله بن سبأ قصرا على رواية سيف وحده، فابن عساكر مثلا نقل في تاريخه أكثر من رواية عن ابن سبأ لا ينتهي سندها الى سيف. وقد اشرت الى طرف منها[3].

يضاف الى ذلك أن القمي في حديثه عن ابن سبأ قال، وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم...[4].

وهذا يدل على أن الخبر لم ينفرد به سيف بن عمر، فالقمى لم يذكر أنه نقل هذا الخبر عن سيف بل رواه (جماعة من أهل العلم)[5]، كذلك البغدادى : فقد جاء في حديثه عن ابن سبأ والسبئية هذه العبارة وقال المحققون من أهل السنة أن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود...[6] وهكذا تتضافر آراء السنة والشيعة على اتفاق جماعة من أهل العلم أقرب ما يوصفون به التحقيق على ذكر ابن سبأ وعدم انكاره...

وأخيرا نأتي الى الذين شككوا في أمر عبد الله بن سبأ، لأنهم لم يجدوا تسجيلا وافيا لأخباره، حتى قال الدكتور جواد علي :

« والعجب أن رجلا كهذا الرجل لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره »[7] ويقول : « ... ورجل هذا شأنه في الدسائس والفتن والمؤامرات كان من الواجب الاشارة اليه بشيء من التفصيل، والتنبيه عليه، وكان في وسع معاوية القبض عليه والتنكيل به بين الناس... »[8].

---

(١) المرجع نفسه ج ٤/٢٥٣

(٢) نفس المرجع ج ٤/٢٥٣.

(٣) انظر تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤/ب)

(٤) المقالات والفرق ص ٢٠

(٥) بدوي : مذاهب الاسلاميين ج ٢/٣٩.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٥

(٧) الرسالة، العدد ٤٧٥، ص ٥٢٥

(٨) الرسالة، العدد ٧٧٨ ص ٦١٠

فهذا القول ـــ وان كان فيه ما فيه من تزيد ـــ فهو لا يقوم دليلا على الانكار، أو سببا للتشكيك، ذلك لأن من الثابت أن هناك شخصيات أخرى ورد الخبر عنها من طرق موثوقة ومع ذلك فهي أكثر غموضا من شخصية ابن سبأ، ولا نعرف عنها الا القليل، ومن ذلك ما ورد في صحيح البخارى، ومسلم : أن معاذا حينما قدم على أبي موسى الأشعرى في اليمن ألقى له وسادة قال انزل، فاذا برجل عنده موثوق قال ما هذا ؟ قال كان يهوديا فأسلم ثم تهود، قال : اجلس، قال : لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات) فأمر به فقتل الحديث...[1].

وتعرض النووى والعسقلاني لشرح الحديث، فلم يذكرا شيئا عن أخبار هذا اليهودى لماذا أسلم ؟ وما أسباب تهوده مرة أخرى ؟ وهل كان له أثر في مجتمع المسلمين ؟ بل لا نعلم ولا اسمه، حتى قال ابن حجر : « ولم أقف على اسم الرجل المذكور »[2].

ومن كل ما سبق أخلص الى النتيجة الآتية :

أن عبد الله بن سبأ شخصية تاريخية واقعة، تؤكدها الدراسة الموضوعية، ولا يعذر بانكارها، أو التشكيك فيها الباحثون وأصحاب المناهج العلمية.

ويبقى السؤال : اذن فما هي آثار بن سبأ في أحداث الفتنة ؟.

وهذا ما سوف تجيب عنه الفصول الآتية ـــ باذن الله ـــ

---

(١) صحيح البخاري ١٤/٩، مسلم (بشرح النووي) ج ٢٠٨/١٢.

(٢) فتح الباري ٢٧٤/١٢.

الفصـــل الثالث

عبد الله بن سبأ وأحداث الفتنة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه

* الأعمال المنسوبة لعثمان، والمثيرة للاعتراض.
* بوادر الخلاف وسياسة عثمان ازاءه.
* عبد الله بن سبأ وأثره في اذكاء الفتنة.
* تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة.

الأعمال المنسوبة للخليفة عثمان رضي الله عنه والتي أثارت الاعتراض

أثيرت أمور عن سياسة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، واعتبرت في عداد المآخذ عليه. ونعرض هنا لأبرز هذه المآخذ وجواب الخليفة عليها وآراء وتوجيهات المتقدمين عنها قبل أن ننتقل الى أحداث الفتنة ودور عبد الله بن سبأ فيها.

ويمكننا أن نقسم هذه المآخذ الى الآتي :.

أ ــ ما نسب الى عثمان من ترك القصاص من عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان.

ب ــ ما نسب اليه من قرارات اتخذها وخالف فيها من سبقه (اتمام الصلاة بمنى، اتخاذه الحمى، جمع القرآن في مصحف واحد)

ج ــ ما نسب اليه من ايثار اقربائه (توليتهم، الأعطيات، رد الحكم).

د ــ ما نسب اليه في معاملة المعترضين عليه (عمار، أبي ذر، عطاء بن مسعود رضي الله عنهم).

هـ ــ ما اعترض عليه في أحواله الشخصية (تغيبه عن بعض الغزوات والمواقع).

أ ــ أما ترك عثمان القصاص من عبيد الله بن عمر، وقد قتل الهرمزان، وجفينة، وبنتا صغيرة لأبي لؤلؤة فنحن نشير الى أصل الحادثة، ثم نتبين الى أى حد كان خطأ عثمان في تركه القصاص من ابن عمر.

وقد سبقت الاشارة الى قصة قتل عمر ــ بيد أبي لؤلوه ــ وتحدثنا هناك ما فيه الكفاية، ولكن السؤال الوارد هنا :

ما علاقة الهرمزان وجفينة بالحادث ؟ وما هو موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر حين قتلهما ؟ وبالتالي فلماذا ترك عثمان القصاص من عبيد الله بن عمر ؟.

جاء في تاريخ الطبرى عن سعيد بن المسيّب : أن عبد الرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر : مررت على أبي لؤلؤة عشي أمس، ومعه جفينة، والهرمزان وهم نجيّ، فلما رهقتهم (ضيقت عليهم) ثاروا، وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فانظروا بأي شيء قتل، وقد تخلل أهل المسجد، وخرج في طلبه رجل من بني تميم، فرجع اليهم

التميمي، وقد كان ألظ (أمسكه) بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر، حتى أخذه فقتله، وجاء بالخنجر الذى وصفه عبد الرحمن بن أبي بكر، فسمع بذلك عبيد الله بن عمر، فأمسك حتى مات عمر، ثم اشتمل علي السيف فأتى الهرمزان فقتله... ثم مضى حتى أتى جفينة... فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه...[1].

أما ابنة أبي لؤلؤة، فقد قيل أن أباها مجوسي، وأمها مجهولة الحال، فلم يتحقق اسلامها[2]، بل جاء في طبقات ابن سعد : أنها تدّعي الاسلام[3]، وقيل أنها صغيرة وتابعة لأبيها فلا قود فيها[4]، أما رأي الصحابة في القصاص من عبيد الله بن عمر، فيوضحه الحوار الذي جرى بين الصحابة رضي الله عنهم وقد جمعهم عثمان رضي الله عنه الى جنب المسجد، وهو يقول : « أشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق » ـــ يشير الى عبيد الله ـــ وقد كان محبوسا في دار سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فأخرجه عثمان ليستطلع رأي المهاجرين والأنصار في شأنه، فقال علي : « أرى أن تقتله »، وقال بعض المهاجرين : « قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم »[5]، وقال عمرو بن العاص : « لقد أعفاك الله من هذا الحادث يا أمير المؤمنين، فقد كان وليس على المسلمين سلطان »[6].

وأخذ عثمان بهذا الرأي ـــ الذي يبدو أنه رأي الأغلبية من الصحابة ولم يذكر من خالف فيه سوى علي رضي الله عنه ـــ وجعل (عثمان) من نفسه وليا للمقتول، فجعل له الدية، واحتملها من ماله رضي الله تعالى عنه[7].

---

(١) الطبري ج ٤/٢٤٠

(٢) الهيثمي : الصواعق المحرقة ص ١١٣

(٣) ابن سعد : الطبقات ج ٣/٣٥٦

(٤) الدياربكري : تاريخ الخميس (المطبعة الوهبية، مصر ١٣٠٢ هـ) ج ٢/٣٠٥.

(٥) علق ابن تيمية على هذا بقوله فيكون في هذا فساد في الاسلام، ثم قال : وكانهم وقعت لهم شبهة في عصمة الهرمزان، هل كان من الصائلين المستحقين المدفع، أو من المشاركين في قتل عمر الذين يستحقون القتل (المنهاج ج ٣/٢٠٠)

(٦) ابن سعد : الطبقات ج ٣/٣٥٦، الطبري ج ٤/٢٣٩

(٧) الطبري ج ٤/٢٣٩

قال ابن كثير بعد أن ذكر المشورة والحكم : « والامام يرى الأصلح في ذلك »[1] على أن هناك رواية أخرى تفيد أن عثمان رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا (القماذبان) ابن الهرمزان وقال له : « يا بني هذا قاتل أبيك ــ يعني عبيد الله ــ فاذهب فاقتله، يقول القماذبان : « فخرجت وما في الأرض أحد الا معي الا أنهم يطلبون الي منه، فقلت لهم : اليّ قتله ؟ قالوا : نعم، وسبوا عبيد الله، فقلت : أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا، وسبوه فتركته لله ولهم، فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤوس الرجال وأكفهم »[2].

وعلى كلتا الروايتين، فليس هناك من مأخذ على عثمان، وقد ترك الأمر للصحابة ليروا رأيهم، أو ترك الأمر لابن الهرمزان ليقتص أو يعفو عن قاتل أبيه !.

وبعد هذا نقول : ولماذا هذا التشنيع على عثمان في حادث الهرمزان ومن معه، وقد كان عمر رضي الله عنه يأمر بقتل (الربيئة) وهو القائل في المقتول بصنعاء : لو تمالأ عليه أهل صنعاء لاقدتهم به ![3].

ومن العجب أن دم الهرمزان ــ المتهم بالنفاق والسعي في الأرض بالفساد تقام فيه القيامة، ودم الشهيد عثمان يستهين بحرمته المجرمون ــ وهو المشهود له بالجنة ![4].

ب ــ أما ما نسب الى عثمان رضي الله عنه من قرارات اتخذها مخالفا فيها من سبقه فكان أبرزها اتمامه الصلاة بمنى[5] وأنه حمى الحمي[6] وجمع القرآن في مصحف واحد بعد أن أحرق المصاحف الأخرى[7].

---

(١) البداية والنهاية ج ١٦٢/٧
(٢) الطبري ج ٢٤٣/٤، ٢٤٤
(٣) ابن تيميه : منهاج السنة ج ٢٠٠/٣، والربيئه : هو الناظور لقطاع الطريق.
(٤) المصدر نفسه ج ٢٠٠/٣
(٥) تاريخ الطبري ج ٢٦٧/٤
(٦) تاريخ الطبري ج ٣٤٧/٤
(٧) المصدر نفسه ج ٣٤٧/٤

أما اتمام عثمان الصلاة بمنى، فهو أمر ثابت، وقد أتمها في الصدر الأخير من خلافته، فقد جاء في صحيح البخارى عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين، وأبي بكر، وعمر، ومع عثمان صدرا من امارته ثم أتمها[١].

والاتمام أول أمر تكلم الناس به على عثمان ظاهرا[٢].

ويجيب عثمان رضي الله عنه عن ذلك بأنه رأى رآه[٣] ويفسر لنا هذا الرأي فيقول : « ألا واني قدمت بلدا فيه أهلي، فأتممت لهذين الأمرين الاقامة واتخاذ الأهل »[٤].

وحينما بلغ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ما فعله عثمان جاء اليه فقال له : « ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله ﷺ ركعتين ؟ قال بلى، قال : أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين ؟ قال : بلى، قال أفلم تصل مع عمر ركعتين ؟ قال : بلى، قال ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين ؟ قال بلى، قال فاسمع مني يا أبا محمد، اني أخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي : ان الصلاة للمقيم ركعتان، هذا امامكم عثمان يصلي ركعتين، وقد اتخذ بمكة أهلا، فرأيت أن أصلي أربعا لخوف ما أخاف على الناس، وأخرى قد اتخذت بها زوجة، ولي بالطائف مال، فربما اطلعت فأقمت فيه بعد الصدر... »[٥].

---

(١) صحيح البخاري ج ٢/٥١

(٢) الطبري ج ٤/٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه ج ٤/٢٦٧

(٤) نفس المصدر ج ٤/٣٤٦، ٣٤٧

(٥) الطبري ج ٤/٢٦٨

وذكر أبو بكر بن العربي أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فترك عثمان القصر ــ مجتهدا ــ خشية أن تؤدى السنة الى اسقاط الفريضة[1].

ونقل ابن جرير الطبرى : أن ابن مسعود صلى أربعا كما صلى عثمان، وقال الخلاف شر، وان عبد الرحمن بن عوف صلى ركعتين أولا ثم أتم أربعا[2].

وروى ابن بكر الأشعرى: اتمام الصلاة في السفر عن جمع من الصحابة منهم عائشة وسلمان، وأربعة عشر صحابيا[3].

وفي الصحيح أن الزهرى سأل عروة : ما بال عائشة تتم ؟ قال : تأولت ما تأول عثمان[4].

وتأول عائشة وعثمان القصر انهما كانا يريان أن النبي ﷺ انما قصر لأنه أخذ بالأيسر من ذلك، فأخذا لانفسهما بالشدة كما قال ابن بطال[5].

وأولى منه كما قال ابن حجر : أن سبب اتمام عثمان أنه كان يرى القصر مختصا بمن كان شاخصا سائرا، وأما من كان مقيما في مكان أثناء سفره فله حكم المقيم فيتم[6].

---

(١) العواصم ص ٧٨، ٧٩، ولعل مما يؤيد هذا ما نقله ابن حجر :
١ ـ عن الزهري قال : انما صلى عثمان بمنى أربعا لان الأعراب كانوا كثروا في ذلك العام فأحبّ أن يعلمهم أن الصلاة أربع (فتح الباري ج ٢/٥٧١)
٢ ـ وروى البيهقي.. أن عثمان أتمّ بمنى، ثم خطب فقال : ان القصر سنة رسول الله ﷺ، وصاحبيه ولكن حدث طغام فخفت ألا يستنّوا (الفتح ج ٢/٥٧١)
٣ ـ وعن ابن جريج ان اعرابيا ناداه في منى، يا أمير المؤمنين مازلت أصليها منذ رأيتك عام أول ركعتين (الفتح ج ٢/٥٧١)
قال ابن حجر بعدها : وهذه طرق يقوي بعضها بعضا، ولا مانع أن يكون هذا اصل سبب الاتمام (الفتح ج ٢/٥٧١).

(٢) الطبري ج ٤/٢٦٨

(٣) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (نقلا عن محب الدين الخطيب الهامش رقم (١١) في كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ص٨٠). ولم أعثر على ذلك في النسخة المطبوعة للتمهيد والبيان، ولعل ذلك في الجزء المخطوط.

(٤) صحيح البخاري ج ٢/٥٣

(٥) فتح الباري ج ٢/٥٧١

(٦) المصدر نفسه ج ٢/٥٧١

وقد نقل ابن القيم عليه رحمة الله عدة تأويلات لاتمام عثمان الصلاة ثم قال في الأخير :

ومن أحسن ما اعتذر به عن عثمان أنه كان قد تأهل بمنى، والمسافر اذا أقام في موضع وتزوج فيه أو كان له به زوجة أتم... وقد نص أحمد وابن عباس قبله أن المسافر اذا تزوج لزمه الاتمام، وهذا قول ابي حنيفة ومالك وأصحابهما[١].

وبالجملة فهي مسألة اجتهادية، وأكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب، كما نقل ذلك الهيثمي[٢].

أما كونه حمى الحمي[٣] فيقول عثمان رضي الله عنه : « واني والله ما حميت، حُمي قبلي... وما لي من بعير غير راحلتي، وما لي ثاغية ولا راغية، واني قد وليت وأنا أكثر العرب بعيرا وشاء، فما لي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي (ويقر على ذلك) أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم »[٤].

ويقول علي رضي الله عنه : « أما الحمى فانما حماه لابل الصدقة لتسن، ولم يحمه لابله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله »[٥].

وحمى عمر رضي الله عنه للحمى أمر ثابت، فقد كان يحمى النقيع لخيل المسلمين، ويحمي الربذة والشرف لابل الصدقة[٦].

---

(١) زاد المعاد (مؤسسة الرسالة) ج ٤٧٠/١، ٤٧١.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٢٤

(٣) يعرّف الحمى بأنه : « هو المنع من احيائه املاكا ليكون مستبقى الاباحة لنبت الكلأ ورعي المواشي » (أبو يعلى : الأحكام السلطانية ص ٢٢٢) أما حكمه : فيجوز اذا كان لكافة المسلمين أو للفقراء والمساكين، وقد حمى رسول الله ﷺ جيلا بالنقيع لخيل المسلمين من الأنصار والمهاجرين، وحمى أبو بكر وعمر وعثمان.. ولا يجوز إذا عمّ به جميع الموات أو أكثره، أو حمى أقله لخاص من الناس أو أغنيائهم. انظر : الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٢٢، ٢٢٣، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦٤، ١٦٥.

(٤) الطبري ج ٣٤٧/٤

(٥) ابن كثير ج ١٨٧/٧

(٦) الطبقات ج ٣٠٥/٣، والنقيع الذي حماه عمر هو « نقيع الخصمات » وهو من أودية الحجاز يدفع سيله الى المدينة (معجم البلدان ج ٣٠١/٥)

وفي صحيح البخارى : أن عمر استعمل على الحمى مولى له يدعى (هنيا) وقال : « والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا »[1].

وفي عهد رسول الله ﷺ كان الحمى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ حمى النقيع لخيله[2]، ولم يكن ذلك لخيله، وانما كان لخيل المسلمين كما توضحه الرواية الأخرى[3]. واذا كان الرسول قد حمى والدولة لا تزال ناشئة، فمن المعلوم أن يكون أبو بكر رضي الله عنه، قد حمى، سيما وقد زادت الحاجة الى الخيل والابل، ولأن أبا بكر لم يخرج عن شيء كان الحال عليه زمن النبي ﷺ[4] واذن فلم يكن عثمان أول من حمى، أما زيادته فيه فهو أمر جائز، لأن ما جاز أصله للحاجة، جازت الزيادة عليه لحاجتها[5].

أما احراقه المصاحف، وجمع الناس على مصحف واحد...

فالذي حرّق عثمان ما وقع فيه الاختلاف، أما المتفق عليه فقد أبقاه لهم[6]، ولم يثبت عن عثمان أنه حرق غير ذلك من المصاحف[7].

وإذا كان ذلك كذلك فجائز لعثمان ألّا يبقى من هذه المصاحف شيئا، خاصة اذا كان في ابقائها فساد، أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه...[8].

على أن العلماء العارفين اعتبروا من جمع عثمان للقرآن في مصحف واحد منقبة كبرى، تضاف الى مناقبه الأخرى[9]. وفوق هذا لم يكن هذا العمل من عثمان تصرفا فرديا،

---

(١) فتح الباري ج ١٧٥/٦.
(٢) مسند الامام أحمد (تحقيق أحمد شاكر) ج ٥٢/٨، وصحح اسناد الحديث أحمد شاكر في الحاشية.
(٣) المصدر نفسه ج ٢١٥/٩، وقال أحمد شاكر ان النقيع هنا هو : البقيع.
(٤) محب الدين الخطيب، حاشية العواصم ص ٧٣
(٥) ابن العربي ــ العواصم ص ٧٣.
(٦) ابن كثير ج ١٨٧/٧
(٧) الباقلاني التمهيد ص ٢٢٢ .
(٨) ابن العربي : العواصم من القواصم ص ٧١
(٩) ابن العربي : العواصم ص ٦٦، ابن كثير (البداية والنهاية) ج ٢٣٥/٧

بل كان رأي كثير من الصحابة، فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يأتي الى عثمان مشيرا ومؤكدا على جمع الأمة على مصحف واحد وهو يقول : « أنا النذير العريان فأدركوا هذه الأمة »[1] وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يدخل على عثمان بعد أن نسخ المصاحف ويقول له : « أصبت ووفقت، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ان أشد أمتي حبا لي قوم يأتون من بعدى يؤمنون بي، ولم يرونى، يعملون بما في الورق المعلق** » فقلت أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف... »[2].

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد نقل عنه قوله : « أيها الناس اياكم والغلو في عثمان، تقولون حرّق المصاحف والله ما حرقها الا عن ملأ من أصحاب محمد ﷺ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل »[3].

وبالجملة فقد تم تواطؤ الصحابة واتفاقهم على هذا العمل الجليل، ولقد أعظموه، ورأوا جميعا ما رأى حذيفة[4] حتى قال عثمان : « وانما أنا في ذلك تابع لهؤلاء »[5].

بل حتى ان ابن مسعود رضي الله عنه وهو الذي جاء النقل بمعارضته على جمع المصاحف في بداية الأمر[6] أناب وأجاب الى المتابعة وترك المخالفة[7] رضي الله عمّن وحّد المصاحف بين الأنام، ورضي الله عن بقية الصحابة الكرام...

ج ـــ أما استعمال الأحداث، وتولية الأقارب، فيجيب عنها عثمان بقوله : « ولم استعمل الا مجتمعا، محتملا، مرضيا، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه، وهؤلاء أهل بلده، ولقد ولّى من قبلي أحدث منهم، وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد مما قيل لي في استعماله أسامة، أكذلك ؟ قالوا : نعم، يعيبون للناس ما لا يفسرون »[8].

---

(١) ابن الأثير ـــ الكامل ج ١١٢/٣
(٢) ابن كثير (البداية والنهاية) ج ٢٣٦/٧
(٣) المصدر نفسه ج ٢٣٦/٧
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ١١٢/٣
(٥) تاريخ الطبري ج ٣٤٧/٤
(٦) ابن العربي : العواصم ص ٧١، ابن تيمية : منهاج السند ج ١٩١/٣
(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢٣٧/٧
(٨) الطبري ج ٣٤٧/٤

ويقول علي رضي الله عنه : « لم يول الا رجلا سويا عدلا، وقد ولّى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة »[1].

وممن ولاه عثمان :

١ ــ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام وقد ولاه عمر رضي الله عنه قبله، وجمع له الشامات كلها، وقبل ذلك ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما استخلفه عن أخيه يزيد[2] بل قبل أن يكون معاوية من ولاة عثمان أو أبي بكر أو عمر، كان أحد الذين استعملهم رسول الله ﷺ واستعان بهم، فقد جعل معاوية كاتبا بين يديه كما ثبت في صحيح مسلم[3].

٢ ــ عبد الله بن عامر بن كريز وقد ولاه البصرة وانما ولاه لأنه كان كريم العمات والخالات كما قال عثمان[4]، وهو فاتح خراسان كلها وأطراف فارس، وسجستان، وكرمان، وغيرها حتى بلغ أعمال غزنة وقتل في امارته يزدجرد آخر ملوك فارس[5].

وهو أول من اتخذ الحياض بعرفات وأجرى اليها العين[6] وقد أتى به الى النبي ﷺ وهو صغير فقال : هذا يشبهنا، وجعل يتفل عليه ويتعوذ، فجعل عبد الله يتلع ريق رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «**انه لمستقٍ**» فكان لا يعالج أرضا الا ظهر له الماء[7]، وهو بعد هذا الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا ينكر، كما يقول ابن تيمية[8].

---

(١) ابن كثير ج ١٨٧/٧

(٢) العواصم من القواصم ص ٨٠، ٨١

(٣) مسلم (شرح النووي ج ٦٢/١٦

(٤) العواصم من القواصم، ص ٨٣، ٨٤

(٥) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٢٨٨/٣، ٢٨٩، ابن حجر الاصابة ج ٦١/٣

(٦) ابن قتيبة : المعارف ص ١٤٠

(٧) ابن سعد : الطبقات ج ٤٥/٥

(٨) منهاج السنة ج ١٨٩/٣، ١٩٠

٣ ـ الوليد بن عقبة وقد ولاه الكوفة وقد ولاه عمر رضي الله عنه على صدقات بني تغلب[١]، وقبل أن يوليه عمر كان أحد الرجال الذين استخدمهم الخليفة الصديق رضي الله عنه، ففي سنة ١٢ للهجرة كان الوليد الواسطة بين الخليفة وبين خالد بن الوليد في نقل الرسائل الحربية في وقعة المذار[٢] كما وجهه أبو بكر رضي الله عنه مددا لقائده عياض بن غنم بعد ذلك[٣]، ويقول عثمان رضي الله عنه : ما وليت الوليد لأنه أخي (وهو أخوه لأمه أروى بنت كريز) وانما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء، عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه[٤].

وكان الوليد في ولايته أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، وقد أمضى خمس سنين وليس على داره باب[٥].

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٣٩، الطبري ج ٢٠٢/٤، ٢٧١
(٢) الطبري ج ٣٥١/٣
(٣) الطبري ج ٣٧٧/٣
(٤) العواصم ص ٨٥
(٥) الطبري ج ٢٠٢/٤، ٢٧١.

ولذلك قال أبو بكر بن العربي في الوليد وأمثال الوليد : « وأما قول القائلين في مروان، والوليد فشديد عليهم، وحكمهم عليهما بالفسق فسوق منهم »[1].

---

(١) العواصم ص ٨٨، ٨٩، لعل ابن العربي يشير إلى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا.. الآية الحجرات ٦ » وأن بعض المفسرين سمى «الوليد» فاسقا لنزول هذه الآية فيه. وهذا الموضوع مما كثر الحديث فيه، فابن عبد البر يقول : « ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن ــ فيما علمت ــ أن قوله عزّ وجلّ ان جاءكم فاسق بنبأ انزلت في الوليد بن عقبه» (الاستيعاب ــ في حاشية الاصابة ج ٦٣٢/٣) ويقول ابن الأثير : ان القصة معارضة بما رواه أبو داود في سننه من كون الوليد حين فتحت مكة جاء إلى الرسول ﷺ ضمن من جاء من الصبيان (أسد الغابة ج ٣١٢/١٠) (مما يفيد كون الوليد صبيا عام الفتح) ولكنه عاد فأورد قول ابن عبد البر : ان في السند « أبا موسى » وهو مجهول (نفسه ج ٣١٣/١٠) ويقول ابن تيميه : ان الرسول ﷺ استعمل الوليد حتى أنزل الله فيه « ان جاءكم فاسق بنبأ..» (منهاج السنة ١٧٦/٣) وذكر ذلك في موضع آخر قائلا : فإن قيل ان عثمان ولاه بعد ذلك، فيقال ان باب التوبة مفتوح. (منهاج السنة ١٨٧/٣)

أقول وبالله التوفيق : إن خبر صغر سن الوليد عام الفتح لم يرد في سنن أبي داود (ج ٩٣/٦ من مختصر سنن أبي داود للمنذري) فحسب بل أورده البخاري في تاريخه (التاريخ الصغير ــ القسم الأول ص ٩٠) وأورده أحمد في مسنده عن « عبد الله الهمداني » بدل « أبي موسى » (المسند ج ٣٢/٤) ولعل في هذا ما يزيل الاشكال بجهالة أبي موسى، خاصة وقد ورد في احدى روايات البخاري بقوله : عن أبي موسى الهمداني (التاريخ الصغير ــ القسم الأول ص ٩٠) مما يفيد أن أبا موسى هو عبد الله الهمذاني، وهو ما يراه « الحافظ أبو القاسم الدمشقي » و « وابن أبي خيثمة » (مختصر سنن أبي داود ج ٩٣/٦، ٩٤)، والهمداني مقبول الحديث (التقريب ج ٤٤٤/١) وإذا ثبت هذا فكيف بمن كان في مثل هذا السن في الفتح أن يرسل مصدقا إلى بني المصطلق ؟ «وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية» كما يقول ابن العربي (العواصم ص ٩٣) وزيادة على ذلك فقد جزم محب الدين الخطيب بأن قصة نزول الآية وردت « موقوفة » على مجاهد، أو قتاده أو ابن أبي ليلى، أو يزيد بن رومان، ولم يذكر أحد من هؤلاء اسماء رواه هذه الأخبار على مدى مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث وهذه المدة حافلة بالرواة من مشارب مختلفهم، وبالجملة فرواة هؤلاء الأخبار مجهولون لدى علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة عليهم (حاشية العواصم ص ٩١) وإذا كان «الطبراني » وصل سندها الى الحارث بن أبي ضرار المصطلقي فإن في السند من لا يعرف كما قال ابن الأثير (أسد الغابة ج ٣١٢/١٠)، أما معارضة ذلك بخروج الوليد مع أخيه « عماره » لرد أختهما أم كلثوم من المدينة سنة سبع (السيرة. ابن هشام ج ٣٧٥/٣) وأن ذلك لا يمكن حدوثه ممن كان يوم الفتح غلاما مخلقاً ! فيوجهه البعض بإمكانية خروجه صغيرا برفقة أخيه « عماره » هذا إذا صح الخبر، ويستأنس بتقديم اسم عماره على الوليد على أنه هو الأصل والوليد في صحبته (محب الدين الخطيب، حاشية العواصم ص ٩٣) وعلى أية حال فاستعمال أبي بكر، وعمر (رضي الله عنهما) للوليد يعفى عثمان من تبعة توليته، وهو ما نحن بصدده ولكننا نقول : كيف يتفق الأئمة الثلاثة وخيار الأمة بعد نبيهم على توليه من سماه الله فاسقا ؟! وهل من المعقول أن يعمد الى تولية الفسقه، ويعدل عن أهل الفضل والسابقة !!؟

أما شرب الوليد للخمر وهو والٍ على الكوفة من قبل عثمان، فهو مع ثبوته[1] ليس مأخذا على عثمان لا سيما وقد حدّه، ثم عزله عن الكوفة[2] والأمر لم يكن لعثمان وحده، فقد ذكر أن (قدامة بن مظعون) شرب الخمر وهو أمير على البحرين من قبل عمر فحدّه وعزله، وقيل انه صالحه[3] ثم إن عليا رضي الله عنه كان يقول: « انكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله، وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا »[4] هذا فوق ما ذكروا عن الوليد من شهامة وشجاعة، وانه كان كثير الغزو. فالشعبي عليه رحمة الله يثني على غزوه وامارته فيقول : وقد ذكر له غزو مسلمة بن عبد الملك « كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وامارته إنّه كان ليغزو فينتهى الى كذا وكذا، ما نقص ولا انتقص عليه أحد حتى عزل عن عمله »[5] ويقول : انه كان يغزو كل عام ثغر الكوفة الأيسر[6].

(١) انظر : صحيح البخاري (كتاب المناقب، باب مناقب عثمان) ج ٢١٦/١١ سنن أبي داود (كتاب الحدود باب الحد في الخمر) ج ٢٨٥/٦ من مختصر أبي داود للمنذري وقد بالغ « محب الدين الخطيب » في محاولته لتضعيف خبر الوليد هذا (حاشية العواصم من القواصم ص ٩٧ وما بعدها)

(٢) ابن قتيبة — المعارف — ص ١٣٩

(٣) ابن العربي : العواصم ص ٩٣

(٤) الطبري ج ٢٧٧/٤

(٥) التمهيد والبيان ص ٤٠

(٦) المصدر نفسه ص ٣٩

٤ ــ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولاه مصر بعد عمرو بن العاص وهو ممن ارتد عن الاسلام، ثم جاء تائبا، وقبل الرسول ﷺ توبته، بعد أن كان أهدر دمه[١] لكن صلح حاله، وظهرت منه امارات محمودة في ولايته، وخاصة في ميدان الفتوح، لاسيما وقد قاتل تحت رايته كثير من الصحابة[٢] ففي غزوه لافريقية كان معه العبادلة (عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عمرو وعبد الله بن الزبير)[٣].

يقول ابن هشام : « وقد حسن اسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه عثمان »[٤].

وفي تاريخ البركي ثناء من الليث بن سعد (امام مصر وعالمها) على عبد الله بن سعد في ولايته[٥] وبالجملة فلم يظهر منه بعد اسلامه ما ينكر عليه، كما يقول ابن الأثير[٦]. أما ابن كثير فقد قال انه مات وهو ساجد في صلاة الصبح، أو بعد انقضاء صلاتها في بيته[٧].

هؤلاء من أشهر ولاة عثمان رضي الله عنه، واذا كان من صلب المآخذ عليه في هؤلاء أو في غيرهم أنهم أقاربه فلم يكن عثمان أول من ولّى أقاربه، وقد قال علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشا على الناس[٨] ومن بعد ولّى علي رضي الله عنه أقاربه من قبل أبيه وأمه، فولى عبيد الله بن العباس على اليمن، وعلى مكة والطائف قثم بن العباس، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وولى على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر وهكذا...[٩].

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ج ١٧٨/٣
(٢) الصواعق المحرقة ص ١١٠، ١١١
(٣) خليفة بن خياط ص ١٥٩
(٤) ابن كثير السيرة النبوية ج ٥٦٣/٣.
(٥) عن محب الدين الخطيب : عثمان بن عفان ص ٢٩
(٦) اسد الغابة ج ٢٦٠/٣
(٧) السيرة النبوية جـ ٥٦٤/٣.
(٨) ابن كثير ج ١٨٧/٧
(٩) منهاج السنة ج ١٧٣/٣.

اذن فليس هناك من متعلق على عثمان في تولية من ولى، دون أن يثبت فسقهم، واقرار عثمان لهم على الفسق كيف وقد كانوا أهل نجدة وكفاية وبصر بالإمرة وقدرة عليها ![1].

أما ما نسب الى عثمان رضي الله عنه من ايثار قومه بالأعطيات فيحتاج الى نظر... والذي ذكره ابن جرير عليه رحمة الله : أن عثمان قال لعبد الله بن سعد — بعد أن سرحه الى افريقية — ان فتح الله عليك فلك مما أفاء الله عليك على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا[2] حتى اذا أعطاه ما وعده صاح به الناس، فقال لهم : أنا أمرت له بذلك، وهو اليكم الآن، فان رضيتم والا رددته، قالوا فانا نسخطه، فأمر ابن سرح برده ففعل[3].

أما مروان بن الحكم فينسب الى عثمان أنه أعطاه خمس افريقية[4] ووجه ذلك بأن مروان اشترى ما تعذر نقله من أثاث افريقية، واعطى ابن أبي سرح أغلب القيمة نقدا، ثم سبق وبشر الخليفة عثمان بالفتح، فأسقط عنه ما بقي لبشارته[5].

أما القول بأن عثمان دفع الى مروان ألف ألف دينار فهو — كما يقول ابن تيمية — يحتاج الى نقل ثابت[6]، على أن للخليفة أن يقطع ويعطى من شاء اذا رأى في ذلك صلاحا، والأمر لم يكن لعثمان وحده فرسول الله ﷺ أقطع وتألف على الاسلام أقواما، وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعه صلاحا[7].

جاء في كتاب (الخراج) ليحيى بن آدم القرشي أن أبا بكر رضي الله عنه أقطع الزبير رضي الله عنه ما بين الجرف الى قناة[8].

---

(١) التمهيد. البقلاني ص ٢٢٤
(٢) تاريخ الطبري ج ٢٣٥/٤
(٣) المصدر نفسه ج ٢٥٤/٤
(٤) المصدر نفسه ج ٣٤٧/٤، البداية والنهاية ج ١٨٧/٧، العواصم ص ٦٢
(٥) الصواعق المحرقة ص ١١١
(٦) منهاج السنة ج ١٩٠/٣.
(٧) أبو يوسف — الخراج (المطبعة السلفية ١٣٥٢) ص ٦٢
(٨) يحيى بن آدم القرشي — الخراج (السلفية ١٣٤٧ هـ) ص ٧٧

وأن عمر رضي الله عنه أقطع عليا رضي الله عنه ينبع[1].

وأقطع عثمان رضي الله عنه سعد بن مالك، وابن مسعود، وعمار، وخباب بن الأرت رضي الله عنهم أجمعين[2].

واذا ثبتت هذه الأخبار فان الأرض — كما يقول أبو يوسف — بمنزلة المال وللامام أن يجيز من بيت المال من كان له غناء في الاسلام، ومن يقوى به على العدو، ويعمل في ذلك بما يرى أنه خير للمسلمين وصلاح أمرهم[3].

بل ان بعض الفقهاء — كالحسن وأبي ثور — ذهبوا الى أن سهم ذي القربى هو لقرابة الامام[4].

وأخيرا فابن تيمية عليه رحمة الله يعلل ما أخذ على عثمان بشأن المال بتوجيهات ثلاثة :

أحدهما : أنه عليه (أي أنه من العاملين على المال) والعامل يستحق مع الغنى.

والثاني : أن ذوى القربى هم ذوو قربى الامام.

والثالث : أن قبيلة عثمان كانت كبيرة وليست كقبيلة أبي بكر أو عمر، فكان يحتاج الى اعطائهم ولايتهم أكثر من حاجة الخليفتين قبله، وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به[5].

---

(١) يحيى بن آدم — الخراج — ص ٧٨

(٢) أبو يوسف — الخراج ص ٦٢

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠

(٤) ابن تيميه — منهاج السنة ج ١٨٧/٣

(٥) المصدر نفسه ج ٢٣٧/٣.

أما عن رد الحكم بن أبي العاص فمما ذكر عنه : أنه أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، ثم نفاه النبي ﷺ الى الطائف، ثم أعيد الى المدينة في خلافة عثمان[1] وقد ذكر في نفيه عدة أسباب، لا يدرى الى أيها يصار، قالوا : أنه كان يحكي مشية الرسول ﷺ، وقيل كان يشيع سرّه[2] وقيل لمحاكاته له خلف الصفوف[3] وعلى كل حال فالقصة محل نظر، وقد استنكرها بعض العلماء، وعللوا اسنادها فابن تيمية عليه رحمة الله يقول : « وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح ولا إسناد لها يعرف به أمرها... »[4] كما ذكر ـــ أيضا ـــ أن عامة من ذكرها ذكرها مرسلة، بل قد ذكرها مؤرخون يكثرون الكذب فيما يروون، وقل أن يسلم لهم نقل...[5].

ويقول الباقلاني : « وأما تعلقهم بأنه آوى الحكم فانه باطل، لأن أكثر الناس ينكره، ويقول ان الحكم خرج بأمر النبي ﷺ، لأنه كفّ وكبر، فاستأذن في الخروج الى أهله فأذن له »[6].

وعلى فرض صحة نفي الحكم فقد تاب مما نفي لاجله كما يقول الهيثمي[7] وعثمان لم يرده الا بعد أن استأذن النبي ﷺ، فوعده بذلك فلما كانت خلافة أبي بكر وعمر قال

---

(١) ابن حجر ـــ الاصابة ج ٣٤٥/١
(٢) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٣٧/٢
(٣) الباقلاني ـــ التمهيد ص ٢٣
(٤) منهاج السنة ج ١٩٦/٣
(٥) المصدر نفسه ج ١٩٦/٣
(٦) التمهيد ص ٢٢٣
(٧) الهيثمي : الصواعق المحرقة ص ١١١

لهما في ذلك، فقالا له : ان كان معك شاهد رددناه، فلما ولي قضى بعلمه فرده كما أشار الى ذلك أبو بكر بن العربي[1] وهذا الذي عمله عثمان هو قول أكثر الفقهاء[2] على أن هناك رأياً ذكره الطبرى وتبعه ابن كثير بأن الرسول ﷺ هو الذي سيره وهو الذى رده[3].

وعلى كل حال فاذا كان النفي والتغريب لمدة عام وارد في حق الزاني والمخنثين تعزيرا لهم وتأديبا فلم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفيا طول الزمان، كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية[4].

د ــ أما ضربه لعمار حتى فتق امعاءه، ولابن مسعود حتى كسر اضلاعه ومنعه العطاء، ونفيه أبا ذرّ الى الربذة... فقد قال ابن العربي : « ان ذلك أفك وزور، وأنه لا ينبغي للعلماء أن يشغلوا أنفسهم ببعض المعاذير المبنية على الباطل، لأن في ذلك إذهاباً للزمان في مجاراة الجهال...[5].

وللتأكيد على ما قاله ابن العربي نقول : ان البلاذرى ذكر بعضا من أخبار عبد الله ابن مسعود وعمار بن ياسر، مع عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وفيها أن عثمان تكلم على عبد الله ابن مسعود ــ حين قدم المدينة ــ بكلام سوء « ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء... »... ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد اخراجا عنيفا،وضرب به عبد الله بن زمعة الأرض... ويقال بل احتمله يجوم (غلام عثمان) حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه...[6] كما ذكر اختلاف عثمان مع عمار حتى أمر به فضرب حتى غشي عليه، وحتى أصابه الفتق...[7].

---

(١) ابن العربي : العواصم ص ٧٧
(٢) الصواعق المحرقة ص ١١١
(٣) الطبري ج ٣٤٧/٤، ابن كثير ج ١٨٧/٧
(٤) ابن تيمية : منهاج السنة ج ١٩٦/٣
(٥) العواصم من القواصم ص ٦٣ــ٦٦
(٦) أنساب الاشراف ج ٣٦/٥
(٧) المصدر نفسه ج ٤٨/٥، ٤٩

ولكن هذه الأخبار مروية عن طريق أبي مخنف (لوط بن يحيى) الشيعي المحترق والاخبارى التالف، كما مر معنا.

وقد ذكر ابن الأثير حبس عثمان لعطاء ابن مسعود لمدة سنتين، وأنه أرسله بعد موته الى وصيّة (الزبير) ثم ذكر بجانبه الرأي القائل : بأن ابن مسعود نفسه ترك العطاء استغناء عنه كما فعل غيره[1].

وعلى كل حال (وعلى فرض صحة شيء من ذلك) فهي أمور اجتهادية وللخليفة أن يؤدب من شاء من رعيته، ولا يقدح ذلك فيمن ناله أدب الخليفة كما أن الخليفة غير متهم فيمن أدب، فهو أبعد عن الهوى، وأولى بالعلم والعدل فيما أدبهم عليه، واذا كان يجب الذب عن علي رضي الله عنه في قتاله لطلحة والزبير في الجمل، ولمعاوية وأصحابه في صفين بأنه أفضل من الذين قاتلوه، أفلا يجب الذب عن عثمان رضي الله عنه في مسألة التأديب والتقويم لا أكثر ؟[2].

أما ما يخص أبا ذرّ فقد قدمنا ــ في فصل سابق ــ ما يشير الى ذلك، وأكدنا أن عثمان لم ينف أبا ذرّ[3]، وانما رغب النزول في الربذة بنفسه، ولسنا بحاجة الى اعادة الأدلة التي سقناها لبيان ذلك، ولكن الذي نضيفه هنا ما يلي :

جاء في الطبرى : أن أبا ذرّ استأذن من عثمان في الخروج الى الربذة، لأن رسول الله ﷺ أوصاه اذا بلغ البناء سلعا أن يخرج من المدينة، فأجابه عثمان، وأقطعه صرمة من الابل، وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه ألّا ينقطع عن المدينة فيعود اعرابيا ففعل[4].

---

(١) أسد الغابة ج ٣٩٠/٣

(٢) ابن تيميه : منهاج السنة ج ١٩٥/٣ ــ بتصرف

(٣) والذي نقصده بالنفي هنا، وفيما قدمناه، مدلول الكلمة وما استعملت له، إذ هي واردة للتشهير بعثمان، ومعدودة في المآخذ عليه.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢٨٤/٤

ويروى عن ابن سيرين أنه قال : « خرج أبو ذرّ الى الربذة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع اليه »[1].

وعن جابر : أنَّ أبا ذرّ، ورافع بن خديج قد تنحيا عن المدينة لشيء سمعاه لم يفسّر لهما، وأبصرا وقدأخطأا [2].

وبعد أن نقل ابن جرير هذه الأخبار التي تفيد اعتزال أبي ذرّ بنفسه ــ لأنه كان يحب الخلوه والوحدة، كما يقول ابن عباس[3] ــ قال : « وأما الآخرون فانهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأموراً شنيعة كرهت ذكرها »[4].

وقال ابن الأثير : ان ما نسب الى عثمان في ذلك ــ تسيير أبي ذرّ ــ لا يصح النقل به، ولو صح لكان ينبغي أن يعتذر لعثمان[5].

ويقول صاحب التمهيد والبيان... : « ... بل هو من أكاذيب الرافضة قبحهم الله... »[6].

وروى قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي ذرّ : اذا بلغ البناء في المدينة سلعا فاخرج منها ــ وأشار الى الشام ــ فخرج اليها، ثم كان بينه وبين معاوية أشياء، فشكاه الى عثمان، فجاء الى عثمان سامعا مطيعا، ثم استأذنه في الخروج الى الربذة، فأذن له فمات فيها[7].

هـ ــ أما ما أخذ على عثمان من تغيبه يوم بدر، وفراره في (أحد) وعدم شهوده (بيعة الرضوان) فحسبنا أن نقف على الحقيقة من خلال نص صحيح الاسناد، يكشف حقيقته

(١) المصدر نفسه ج ٢٨٤/٤، ٢٨٥
(٢) المصدر نفسه ج ٢٨٤/٤
(٣) المصدر نفسه ج ٢٨٤/٤
(٤) المصدر نفسه ج ٢٨٦/٤
(٥) الكامل ج ١١٤/٣
(٦) التمهيد والبيان ص ٧٤
(٧) تاريخ الخميس ج ٣٠٠/٢

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : فقد جاء في فضائل عثمان عن عثمان بن موهب قال : « جاء رجل ـــ من أهل مصر ـــ وحج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش قال : فمن الشيخ منهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر، قال : ياابن عم اني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها ؟ قال : نعم، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم، قال : الله أكبر، قال ابن عمر : تعالى ابين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد ان الله عفا عنه وغفر له، أما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ : ان لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده، فقال : هذه لعثمان[1] فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك »[2].

وفي كتاب التفسير ـــ من صحيح البخارى ـــ ان رجلا[3] قال لابن عمر : « فما قولك في علي وعثمان ؟ قال : أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه... »[4].

---

(١) وفي سنن الترمذي ان الرسول ﷺ قال : « ان عثمان في حاجة الله ورسوله، فضرب باحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم » ج ٦٢٦/٥، ٦٢٧ ط الأولى ١٣٨٥ هـ.

(٢) صحيح البخاري ج ٢٠٣/٤، ٢٠٤

(٣) أورد البخاري هذا الحديث مرة أخرى (ج ٢٠٠/٥) وعندها قال ابن حجر : يحتمل أن يكون السائل في كتاب الفضائل وهنا واحد فيكون من الخوارج، ويحتمل أن يكون السائل في الفضائل رافضيا وهو الأرجح لانه لم يتعرض لذكر علي هناك. (فتح الباري ج ٣١٠/٨)

(٤) صحيح البخاري ١٥٧/٥.

هذه أبرز المآخذ التي نسبت الى عثمان، وهي ــ كما رأينا ــ قد أجاب على بعضها عثمان، وفنّد بعضها من عايش عثمان من صحابة رسول الله ﷺ، وبعضها الآخر لا يستقيم نقله، ولا يصح اسناده.

بل إن المتأمل فيها لا يجد فيها اتفاقا للصحابة، أو للتابعين، وانما صدرت من طوائف لا تميل الى هؤلاء، ولا الى أولئك ونستشف من عبارات السلف أنها صدرت ــ أول ما صدرت ــ من جماعات مشبوهة، ثم استغلت ابان هيجان الفتنة لصالح الموتورين، جاء في تاريخ الطبرى : أن قوما قالوا : نريد أن نذكر لعثمان أشياء قد زرعناها في قلوب الناس ثم نرجع اليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب[1].

وقال أبو بكر العربي في مقدمة حديثة عن هذه المآخذ : « قالوا متعدين متعلقين برواية كذابين، جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير... »[2].

وبالجملة ــ وكما يقول ابن تيمية ــ ان كل ما صح عنه وأنكر عليه، وافقه عليه كثير من المسلمين، بل من علمائهم الذين لا يتهمون بميل أو مداهنة[3] والكثير مما أخذ عليه، وجعل ذريعة لقتله مصحوب بعلل، دعت الامام الطبرى عليه رحمة الله الى الاعراض عنها[4].

وأخيرا نقول : وعلى فرض صحة هذه المآخذ فغايتها أن يكون عثمان اجتهد فأخطأ، وهو غير معصوم من الخطأ، أو عدل من تولية الفاضل الى المفضول وهي مسألة تجيزها طائفة من طوائف الشيعة (الزيدية)[5] ومحل اجماع عند أهل السنة ــ والله أعلم.

---

(١) ج ٣٤٦/٤
(٢) العواصم من القواصم ص ٦١
(٣) منهاج السنة ج ٢٦/٣
(٤) الطبري ج ٣٦٥/٤
(٥) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧.

بوادر الخلاف وسياسة عثمان ازاءه :

لئن كانت المآخذ التي قدمنا، لم تكن لتبلغ غايتها في التأثير في طبقة الصحابة، فقد وجدت آذانا صاغية، وحركت فئات من الناس[1] اجتمعت لديها مع رغبات النفس، مؤشرات اثارتها، وتمخضت عن بوادر خلاف سادات معظم أقاليم الخلافة، ولم تكن هذه البوادر كلها نتيجة لهذه المآخذ، بل كان منها ما كانت تدفعه عوامل طبيعية، ويذكر بجانبه أسباب معروفة... فماذا كان من ذلك ؟

من بوادر الخلاف في الكوفة :

وهي أول مصر نزع الشيطان بين أهله ــ في الاسلام ــ كما يقول الشعبي[2]، فمن ذلك ما وقع بين عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما حينما طلب ابن مسعود من سعد أن يؤدى ما اقترضه من بيت المال، وحين لم يتيسر لسعد قضاؤه، فتقاولا، ووقعت بينهما خصومة وصل خبرها الى عثمان رضي الله عنه، فعزل سعدا ــ وكان على الكوفة ــ وولى مكانه الوليد بن عقبة[3].

وهكذا انتهى الخلاف، ولم يعد له من أثر، ورضى المتخاصمون، ولعل كون الصحابيين طرفا في النزاع ما يفسر ذلك.

وفي سنة ٣٠ هـ. ــ وأثناء ولاية الوليد على الكوفة ــ نقّب شباب من أهل الكوفة على (ابن الحيسمان) الخزاعي، وكاثروه، ثم قتلوه، وبينما هو يستصرخ إذ سمعه جاره (أبو شريح الخزاعي) فصاح بهم، لكنهم لم ينتهوا وصاح الناس بهم، فأخذوهم فإذا فيهم (زهير ابن جندب الأزدى) و (مورع بن أبي مورع الأسدى) و (شبيل بن أبي الأزدى)... في عدة،

(١) وهؤلاء وصفتهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها : « ان الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه،، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا.. » (الطبري ج ٢٥١/٤

(٢) الطبري ج ٢٥١/٤

(٣) خليفة بن خياط ص ١٥٧، وكان ذلك سنة ٢٥ هـ كما هو عند خليفة وابن الأثير (الكامل ج ٨٢/٣)، وعند الطبري ضمن احداث سنة ٢٦ هـ (ج ٢٥١/٤) ومثله ابن كثير (البداية والنهاية ج ١٦٥/٧)

ورفع الوليد أمرهم الى عثمان، فأمره بقتلهم فقتلوا، وفي ذلك قال عمرو بن عاصم التميمي :

ان ابن عفان الذي جربتم   فطم اللصوص بمحكم القرآن
مازال يعمل بالكتاب مهيمنا   في كل عنق منهم وبنان[1]

ثم ذكر الطبرى خبرا آخر مفاده : أن آباء هؤلاء المقتولين تعصبوا ضد الوليد ووضعوا عليه العيون يترصدون زلاته، حتى ذكر لهم يوما أن الوليد يشرب الخمر... فطاروا بذلك الخبر الى الخليفة عثمان، فاستنطق الشهود فشهدوا، واستقدم الوليد، وهو يقول : « نقيم الحدود، ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخيّ »[2].

ولكن هذا الخبر أنكره ابن عبد البر حيث قال عنه : « ... وهذا الخبر من نقل أهل الأخبار لا يصح عند أهل الحديث، ولا له عند أهل العلم أصل... »[3].

هذا فوق ما في الخبر من معارضة لما جاء في الصحيحين وغيرهما من ثبوت شرب الوليد للخمر ـــ كما قدمنا ـــ

كما مر معنا أن الخليفة عثمان عزل الوليد عن الكوفة بعد ذلك.

وبعد الوليد ولّى عثمان على الكوفة سعيد بن العاص رضي الله عنه، فهل فترت حدة الخلاف ؟

جاء سعيد الى الكوفة، فعلا منبرها خطيبا في أهلها، ثم نزل وسأل عن أهل الكوفة، فأقيم على حال أهلها، فكتب الى عثمان يقول : « ان أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغُلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت، حتى ما ينظر الى ذي شرف، ولا بلاء من نازلتها، ولا نابتتها »[4].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢٧١/٤، ٢٧٢
(٢) المصدر نفسه ج ٢٧٦/٤
(٣) الاستيعاب (بهامش الاصابة) ج ٣، ٦٣٥، وقبل ذلك ذكر « ابن عبد البر » أن شرب الوليد للخمر مشهور من رواية الثقات من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار (الاستيعاب ج ٦٣٤/٣).
(٤) تاريخ الطبري ج ٢٧٩/٤

فكانت سياسة عثمان ازاءه « أن فضّل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعا لهم، الا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعا بقسطهم من الحق، فان المعرفة بالناس بها يصاب العدل »[1].

وصدقت الأحداث ما قاله سعيد في أهل الكوفة، وقام الخلاف مجددا في مجلس سعيد ـــ والي الكوفة ـــ وكانت أسبابه بضع كلمات ألقاها غلام، ما كانت لتصنع الخلاف حادا قويا، ولكنها النفوس تستعد للفتنة، فيهيجها ما لا يحرك غيرها.

جلس سعيد للناس يوما، فدخل عليه جمع فيهم (الأشتر النخعي) وابن ذي الحبكة، وجندب، وصعصعة، وابن الكواء، وكميل بن زياد وعمير بن ضابىء، وعمرو ابن الحمق الخزاعي، وعلقمة بن قيس، وفيهم خنيس[2] بن حبيش، وابنه عبد الرحمٰن وغيرهم، وبينما هم يتحدثون قال خنيس : ما أجود طلحة بن عبد الله ! فقال سعيد : ان من له مثل النشاستج[3] لحقيق أن يكون جوادا، والله لو كان لي مثلها لأعاشكم الله منها عيشا رغدا، فقال عبد الرحمن بن خنيس ـــ وهو حدث ـــ والله لوددت أن هذا الملطاط لك (يعنى ما كان لآل كسرى على جانب الفرات مما يلي الكوفة)، فثار عليه القوم (الأشتر ومن معه) وقالوا : فضّ الله فاك، والله لقد هممنا بك، فقال أبوه : حدث فلا تؤاخذوه فقالوا : يتمنى له من سوادنا ؟ قال ويتمنى لكم أضعافه، قالوا : لا يتمنى لنا ولا له، ثم قالوا : أنت أمرته بذلك، وثاروا اليه، فحاول أبوه منعهم، فضربوهما حتى غشي عليهما، وجعل سعيد يناشدهم ويأبون، وتأثر للحادثة أهل الكوفة عامة، وبنو أسد خاصة، وكتب أشرافها الى عثمان باخراجهم، فكتب اليهم أن اذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية في الشام، وكتب الى معاوية : « أن أهل الكوفة قد أخرجوا اليك نفرا خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم، فان آنست

---

(١) المصدر نفسه ج ٢٧٩/٤

(٢) وعند ابن الأثير : حبيش بن فلان الأسدي (الكامل ج ١٣٨/٣)

(٣) النشاستج : ضيعة أو نهر بالكوفة لطلحة بن عبيد الله، وكانت عظيمة كثيرة الدخل (معجم البلدان ج ٢٨٥/٥)

منهم رشدا فاقبل منهم وأن أعيوك فارددهم عليهم... »[1].

وحينما ذهب سعيد الى المدينة، ورجع التقى به بعض أهل الكوفة، في (الجرعة)[2] ومنعوه دخول الكوفة واضطروه الى الرجوع، وقام الأشتر خطيبا على منبر الكوفة مناديا بتولية أبي موسى الأشعرى، وكان ذلك أول وهن دخل على عثمان حين اجترىء عليه، كما يقول الذهبي[3].

بوادر الخلاف في البصرة :

وفي البصرة وقع خلاف بين أهلها، وبين أبي موسى الأشعري، (واليها) وقد كان أبو موسى واليا على البصرة منذ أن قدم إليها في السنة السابعة عشرة للهجرة[4].

ولما قتل عمر رضي الله عنه كان واليا عليها، ثم أقره عثمان رضي الله عنه عليها[5] حتى اذا كانت السنة الرابعة من خلافة عثمان وقع الخلاف بينه وبين أهلها، فعزله عثمان عنها[6].

والروايات التي تذكر أسباب الخلاف بين أبي موسى، وأهل البصرة تحتاج الى وقفة متأملة، فهي تذكر أشياء في صحة نسبتها الى أبي موسى نظر !.

---

(١) الطبري ج ٣١٨/٤، ابن كثير ج ١٨١/٧، وفي ابن الأثير : وإن أعيوك فارددهم عليّ ج ١٣٩/٣)، أما رواية الواقدي ففيها أن جماعة من وجوه أهل الكوفة، منهم مالك بن كعب الأرجبي، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، ومالك الأشتر.. في رجال سمروا عند سعيد ليلة، فقال سعيد : انما هذا السواد بستان لقريش، فقال الأشتر : أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك، والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا الا أن يكون كأحدنا، وتكلم القوم معه، فاستنكر عليهم عبد الرحمن الاسدي — وكان على شرطه سعيد — وقال : أتردون على الأمير مقالته، واغلظ لهم، فلم يتحملوه ووثبوا عليه، ووطئوا عليه حتى غشي عليه، فلما أكثر الناس على سعيد في شأنهم كتب الى عثمان، فأمر بتسييرهم الى معاوية بالشام (الطبري ج ٣٢٣/٤)

(٢) الجرعة — موضع قرب الكوفة — (معجم البلدان ج ١٢٧/٢)

(٣) تاريخ الاسلام ج ١٢٢/٢

(٤) خليفة بن خياط — ص ١٣٥

(٥) ابن الأثير، اسد الغابة ج ٣٦٨/٣

(٦) الطبري ج ٢٦٤/٤.

جاء في تاريخ الطبرى، وابن الأثير، أن أهل أيذج والأكراد كفروا فاستصرخ أبو موسى الناس للجهاد، ورغبهم في الرجلة (وهي مسير المرء راجلا غير راكب) حتى اجمع أناس على الخروج مشاة، وتريث آخرون، قالوا : ننظر ما يصنع الأمير فان وافق قوله فعله خرجنا كما خرج أصحابنا، فلما كان يوم الخروج، أخرج أبو موسى ثقله من قصره على أربعين بغلا فتعلقوا بعنانه، وطلبوا منه أن يحملهم على بعضها، وقالوا له : لم لا ترغب فيما رغبتنا فيه ؟ فضرب القوم بسوطه ! وتركوا دابته، فمضى، وأتوا عثمان فاستعفوه منه... وطلبوا غيره، فقال لهم عثمان : « ما تحبون ؟ قال أحدهم في كل أحد عوض عن هذا العبد الذي قد أكل أرضنا، وأحيا أمر الجاهلية فينا ! ولو وليت علينا صغيرا، أو مهترا لكان فيه عوض منه، ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه... »[1].

واذا كانت تلك أسباب الخلاف بين أبي موسى، وأهل البصرة في تلك الرواية، فان هناك نصوصا أخرى تعطي لولاية أبي موسى على البصرة وجها آخر، ومن هذه النصوص ما هو أقوى سندا من تلك الرواية.

فقد أخرج البخارى، من طريق أبي التياح عن الحسن قال : ما أتى البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى[2].

وأبو موسى، مشهود له بأنه هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم كما قال ابن حجر[3].

ثم أن القصة وضعت ضمن أحداث سنة (٢٩ هـ.) في الطبرى، وابن الأثير (كما سبق)، وفي كليهما جاء النص على أن وقوعها كان بعد ثلاث سنوات من خلافة عثمان !، وفي ذلك من التناقض ما يظهر لمن تأمله، اذ أن خلافة عثمان بدأت من سنة (٢٤ هـ.) وعليه كان يلزم وضع هذه الحادثة في سنة (٢٧ هـ.) أو يقال أن الحادثة كانت بعد ست سنين من خلافة عثمان (بدل ثلاث).

---

(١) الطبري ج ٢٦٥/٤، الكامل ج ٩٩/٣
(٢) عن الاصابة ج ٣٦٠/٢
(٣) الاصابة ج ٣٦٠/٢

وهذا ما تنبه اليه ابن كثير عليه رحمة الله ولكنه لم يذكر سبب العزل[1].

والقصة ــ في نظري ــ لا تستقيم للمنطق العقلي، فضلا عن عدم استقامتها للنقد العلمي !

اذ كيف يصح من وال صحابي أن يرغب الناس في أمر، ثم يأتي خلافه بل يضرب بالسوط من أنكر أمره ؟ وحتى لو صح ذلك بتوجيه محتمل فأي لون من ألوان الجاهلية يرتضيه أبو موسى حتى نقول : انه أحياه في الكوفة ؟

أما في ولاية عبد الله بن عامر على البصرة فكان الناس لا يزالون يغزون من لم يكن صالحاً من أهل خراسان، حتى كانت الفتنة[2].

ومن مقدمات هذه الفتنة بوادر الخلاف التي تولى كبرها حكيم بن جبلة العبدى.

فبعد ثلاث سنين من امارة عبد الله بن عامر على البصرة سنة (٣٣ هـ.) بلغه أن في عبد القيس رجلا نازلا على حكيم، وحكيم هذا ــ كما تذكر الرواية عنه ــ كان لصا اذا قفلت الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيغير على أهل الكوفة ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما شاء، ثم يرجع، حتى شكاه أهل الذمة وأهل القبلة الى عثمان، فكتب عثمان الى عامله الوليد أن اسجنه، ومن كان على شاكلته في البصرة، لا يخرج منها حتى تأنسوا منه رشدا، فحبس فكان لا يستطيع الخروج منها...[3].

وفي هذه السنة أيضا (٣٣ هـ.) سيّر عثمان بعضا من أهل البصرة الى الشام، والى مصر، كانوا من أهل الخلاف والتأليب، وممالأة الأعداء[4].

---

(١) البداية والنهاية ج ١٦٨/٧

(٢) الطبري ج ٣١٦/٤

(٣) الطبري ج ٣٢٦/٤، والرجل النازل على حكيم هو عبد الله بن سبأ وسنأتي على أثره في الفتنة.

(٤) البداية والنهاية ج ١٨٢/٧.

بوادر الخلاف في الشام:

وفي الشام لم يكن هناك من خلاف يصل الى مستوى ما وصل اليه الأمر في الكوفة أو في البصرة... والذي نذكره هنا من بوادر الخلاف ما كان بين أبي ذرّ ومعاوية رضي الله عنهما وهو أمر يختلف في طبيعته، وأسبابه عن غيره كما سيتضح... يقول أبو ذرّ:

« كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾[1] قال معاوية نزلت في أهل الكتاب، فقلت نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب الى عثمان رضي الله عنه يشكوني...»[2].

وهكذا يتضح للمتأمل أن أسباب الاختلاف انما كانت نتيجة اختلاف الفهم حول مدلولات النصوص، ولم تكن تدفعها الرغبات الشخصية، أو التهيؤ للفتنة، واذا اختلف الناس فحسب الآراء أن تكون مرعية والعلاقات غير متأثرة بأجواء الخصومة، وهذا اللون من السلوك نجده في الخلاف بين معاوية وأبي ذرّ يقول ابن حجر معقبا على هذا الحديث : « وفيه ملاطفة الأئمة للعلماء، فان معاوية لم يجسر على الانكار عليه حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره...»[3].

وفي رواية الطبرى : أن أبا ذرّ قال لمعاوية : ما يدعوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله ؟ فيجيبه معاوية : يرحمك الله يا أبا ذرّ ! ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره ![4].

وحينما يعضل به، لا يؤدبه، انما يرفع أمره الى عثمان : ان أبا ذر قد أعضل بي[5].

أما موقف عثمان رضي الله عنه وقد آل الأمر اليه، فهو يكتب الى أبي ذرّ بالقدوم

---

(١) جزء من آية ٣٤، سورة التوبة
(٢) صحيح البخاري ج ٢/١١
(٣) فتح الباري ج ٣/٢٧٥
(٤) الطبري ج ٤/٢٨٣
(٥) المصدر نفسه ج ٤/٢٨٣

عليه، وحينما قدم لم يحنق عليه مع مخالفته له في تأويله[1] ولم يلزمه بالخروج عنه نفيا الى الربذة ! وانما غاية ما قاله له : ان شئت تنحيت فكنت قريبا[2] وهذه التنحية لا تعني تسيير أبي ذرّ الى الربذة بقدر ما تعني توخي عثمان صالح الأمة، وألا يستغل موتور صدق لهجة أبي ذرّ فيسعى بالفتنة، ومما يؤكد هذا ــ فوق ما تقدم ــ ما ذكره البلاذرى : أن عثمان قال لأبي ذرّ حين قدم من الشام : قربنا يا أبا ذرّ خير لك من بعدنا يغدى عليك باللقاح ويراح، فقال : لا حاجة لي في دنياكم، ولكن آتي الربذة فأذن له في ذلك فأتاها ومات بها[3] وقد أنكر سعيد بن المسيب على من قال أن عثمان أخرج أبا ذر الى الربذة، وقال : «انما خرج أبو ذر اليها راغبا في سكناها»[4].

واذا كنا قد تبينا طرفا من معاملة عثمان، ومعاوية رضي الله عنهما لأبي ذرّ رضي الله عنه، فان أبا ذرّ لا يقل عنهما، ويكفيه أن يسجل له التاريخ امتثاله أمر الخليفة، وعامله، وهو يقول : « ولو أمروا عليّ جيشا لسمعت وأطعت[5] أو وهو يرد على الذين حاولوا ايقاع الفتنة بينه وبين الخليفة حينما قالوا له فعل بك هذا الرجل وفعل ــ يعنون عثمان ــ فهل أنت ناصب لنا راية فتجتمع اليك الرجال ؟ فيرد عليهم أبو ذرّ : « لو أن ابن عفان صلبني على أطول جذع لسمعت وأطعت واحتسبت وصبرت، فانه من أذل السلطان فلا توبة له، فرجعوا»[6]، ويقول أيضا : « لو أن عثمان سيّرني من المشرق الى المغرب لسمعت وأطعت »[7].

---

(١) فتح الباري ج ٣/٢٧٥

(٢) صحيح البخاري ج ٢/١٢٧

(٣) أنساب الاشراف ج ٥/٥٣

(٤) المصدر نفسه ج ٥/٥٥

(٥) صحيح البخاري ج ٢/١٢٧

(٦) البلاذري : أنساب الاشراف ج ٥/٥٦، وذكر ابن حجر أن الذين حاولوا الوقيعة بين أبي ذر وعثمان من أهل الكوفة (فتح الباري ج ٣/٢٧٤).

(٧) ابن حجر : فتح الباري ج ٣/٢٧٤

بوادر الخلاف في مصر:

وهنا يذكر ما حصل من محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة أثناء خروجهما مع عبد الله بن سعد لغزو البحر سنة (٣١ هـ).

فقد جاء في رواية الواقدي : كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة، حين ركب الناس البحر، رفع صوته بالتكبير حين صلى عبد الله العصر بالناس، فلما فرغ من صلاته، سأل عن هذا الصوت، فقيل هو صوت محمد بن أبي حذيفة فدعاه واستنكر عليه هذه البدعة، فأجابه : أن ليس في التكبير بدعة ولا حدث ! فلما كانت صلاة المغرب كبر محمد تكبيرة أرفع من الأولى فلما قضيت الصلاة أنّبه عبد الله، وقال له : لولا أني لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك، فرد عليه ابن أبي حذيفة : انك لا تستطيع ذلك، فما كان من ابن أبي سرح الا أن منعه الركوب معهم، فركب في مركب ليس معه الا القبط...[1].

وعن الزهرى ــ من رواية الواقدى أيضا ــ قال : « خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خروج عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان، وما غيّر وما خالف به أبا بكر وعمر، وأن دم عثمان حلال، ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله ﷺ أباح دمه، ونزل القرآن بكفره ! وأخرج رسول الله ﷺ قوما، وأدخلهم ونزع أصحاب رسول الله ﷺ، واستعمل سعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدو، وكانا أكلّ الناس قتالا، فقيل لهما في ذلك فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا أن نحكّمه عبد الله بن سعد، استعمله عثمان وعثمان فعل وفعل، فأفسدا أهل تلك الغزاة، وعابا عثمان أشد العيب، فأرسل عبد الله بن سعد اليهما ينهاهما أشد النهي، وقال : « والله لولا أني لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما »[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤/٢٩١.

(٢) الطبري ج ٤/٢٩٢، ابن الأثير ج ٣/١١٨، ابن كثير ج ٧/١٧٢

أما عن أسباب هذا الخلاف، فقد سئل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة : ما دعاه الى الخروج على عثمان ؟.

فقال : كان يتيما في حجر عثمان، ثم سأله الولاية — حين ولى الخلافة — فأجابه عثمان : أن لست هناك ! فما احتملها، وطلب منه الاذن بالخروج فأذن له بالذهاب حيث شاء، وجهزه من عنده، فلما وقع في مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية(١).

ويقول ابن الأثير : « ثم سار الى مصر فصار من أشد الناس تأليبا على عثمان »(٢).

أما محمد بن أبي بكر، فقد سئل سالم بن عبد الله ما دعاه الى ركوب عثمان ؟ فأجاب : الغضب والطمع، فقيل له : ما الغضب والطمع ؟ قال : كان من الاسلام بالمكان الذي هو به، وغرّه أقوام فطمع، وكانت له داله فلزمه حق، فأخذه عثمان من ظهره، ولم يدهن، فاجتمع هذا الى هذا فصار مذمما بعد أن كان محمدا...(٣).

---

(١) الطبري ج ٣٩٩/٤، ابن الأثيرج ١٨١/٣
(٢) اسد الغابة ج ٨٧/٥.
(٣) الطبري ٣٩٩/٤، ابن الأثيرج ١٨١/٣.

عبد الله بن سبأ وأثره في اذكاء الفتنة

أورد الطبرى وغيره روايات عدة تحكي أسباب الفتنة وعواملها، واذا كانت رواية سيف ابن عمر التميمي. وهي واحدة من هذه الروايات ــ ترسم بشكل واضح أثر عبد الله بن سبأ في الفتنة، فسنعرض ــ باجمال، وقبل التصدي لرواية سيف ــ للروايات الواردة من طرق أخرى.

والذي يقابلنا في أخبار الفتنة نوعان من المصادر :

أولهما : روايات الإخباريين ذات العرض الكامل أو القريبة من التكامل في سرد الحادثة التاريخية أمثال : رواية أبي مخنف (١٤٧ هـ.)، رواية سيف بن عمر (١٨٠ هـ.)، رواية الواقدى (٢٠٧ هـ.).

ثانيهما : الأخبار المقطعة، وهي المروية عن شهود العيان، أو عمن أدركوا شهود العيان أو كانوا قريبين من زمنهم، وميزتها أنها أخبار مقطعة لا تكاد تجمع الحادثة كما هو الحال في نسق الرواية التاريخية، أما توثيقها فيخضع لنقد رجال الاسناد فيها، وتقدم لنا المصادر التي بين أيدينا سبع روايات منها[1] وهي :

١ ــ رواية الزبير بن العوام رضي الله عنه (وهو من شهود العيان للفتنة).

٢ ــ رواية أبي خنيس (سهم الأزدى) (وهو ممن حضر الحادثة).

٣ ــ رواية أبي سعد مولى أبي أسيد الأنصارى (وقد شهد الفتنة وعرف أحوالها).

٤ ــ رواية الأحنف بن قيس (- ٧٢ هـ.) وهو ممن عاصر الفتنة وكان قريبا منها.

٥ ــ رواية سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ.).

٦ ــ رواية يزيد بن حبيب (٥٣ - ١٢٨ هـ.).

٧ ــ رواية محمد بن شهاب الزهرى (٥٨ - ١٢٤ هـ.).

---

(١) يوسف العش ــ الدولة الأموية ص ٣٠

أما المنهج الذي سنلتزمه ازاء هذين النوعين من المصادر، فهو دراسة أخبار شهود العيان، أو من نقلها عنهم دراسة نقدية، حتى اذا تبينا الصحيح منها، اقتربنا من رواية الاخباريين اللاحقين فما كان منها يتسق مع تلك الأخبار الصحيحة قبلناه، وجعلنا منه مادة تكمل هذه الأخبار المقطعة، وسردا يكشف عما يكتنف هذه الأخبار الصحية من غموض...

ونبدأ واضعين هذا السؤال : ما مدى الصحة في هذه المرويات السبع ؟ ويجيب الدكتور العش فيقول : « وكم كان يهمنا أن تكون تلك الروايات السبع صحيحة النسبة الى رواتها، اذن لكانت كنزا يكشف عن الفتنة، لكنها ــ وللأسف ــ ليست في مستوى واحد من الصحة... »[١].

ولو عدنا الى هذه الروايات، لوجدنا الرواية المنسوبة الى سعيد بن المسيب قد جاء فيها : أن عثمان لما استخلف كره ذلك بعض الصحابة، لمحبته قومه، وتوليته لهم[٢].

وأن طلحة كان من المؤنبين لعثمان حين قدم وفد مصر يشكون الى الصحابة صنيع ابن أبي سرح بهم، بل تُظهر الرواية شدة لهجته عليه[٣].

وجاء فيها أن الصحابة ــ بمجملهم ــ نقموا على عثمان، مع من نقم، وحنقوا عليه بعد قصة الكتاب[٤]، وخاصة أعوان أبي ذرّ، وابن مسعود، وعمار ![٥].

---

(١) الدولة الأموية ص ٣١
(٢) الذهبي، تاريخ الاسلام ج ٢/١٣٧
(٣) لمصدر نفسه ج ٢/١٣٧
(٤) هو الكتاب الذي جاء به الوفد الذين توجهوا إلى مصر ــ بعد خروجهم من المدينة ــ (وسنأتي على بيانه)
(٥) تاريخ الاسلام ج ٢/١٣٨

ونكتفي بهذا القدر من بيان ما اشتملت عليه هذه الرواية، ولعل في ذلك ما يكشف عن ضعف داخلي في متن هذه الرواية، فمن المستبعد أن يكون شيئًا من هذا عند الصحابة، والأخبار الصحيحة ترده، على أن الرواية لم تكم سلما في سندها[1] ففيها اسقاط (تدليس) وهو ليس من نوع التدليس الممكن إقراره والتجاوز عنه[2].

ومن هنا يتبين ضعف هذه الرواية، واستحالة نسبتها الى سعيد بن المسيب رحمه الله.

أما رواية الزهرى، فتظهر طلحة والزبير رضي الله عنهما مناوئين لعلي بالخلافة، وأنهم أحق بها منه « لم نره أولى بها منّا »[3]، كما يظهر فيها أن الصحابة ـــ وخاصة المهاجرين ـــ هم قتلة عثمان !، فقد جاء في خطاب العبدى مشيرا الى بعض المهاجرين قوله : « ... ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئا فقتلتموه عن غير مشورة منا... »[4].

فهل يمكن بعد هذا قبول هذه الرواية ؟ وهل تصح نسبتها الى الزهرى ؟.

ولعل في ضعف سندها[5] الى جانب محتواها، ما يدعو الى تركها.

---

(١) سند الرواية هو : محمد بن عيسى بن سميع، عن أبي ذؤيب، عن الزهري، قلت لسعيد بن المسيب.. (تاريخ الاسلام ج ١٣٧/٢)

(٢) فقد اسقط منها (راو) متهم بالوضع والكذب، وهو «اسماعيل بن يحيى بن عبيد الله» ولذلك جاء تضعيف العلماء رحمهم الله ـــ لهذه الرواية وبيان زيفها، اثناء حديثهم عن محمد بن عيسى (راوي الخبر عن أبي ذؤيب)، يقول البخاري عن محمد بن عيسى بن سميع : «يقال انه لم يسمع من أبي ذؤيب هذا الحديث، يعني حديثه عن الزهري في مقتل عثمان» (ابن حجر التهذيب ج ٣٩١/٩)، ويقول ابن حبان ان ابن سميع لم يسمع حديثه من أبي ذؤيب، وإنما سمعه من اسماعيل ابن يحيى فدلّس عنه، واسماعيل رواه (التهذيب ج ٣٩١/٩) وقال الحكم : «أبو محمد ـــ يعني ابن سميع ـــ مستقيم الحديث إلا أنه روى عن أبي ذؤيب حديثا منكرا، وهو حديث مقتل عثمان، ويقال كان في كتابه : عن اسماعيل بن يحيى عن أبي ذؤيب فأسقطه، واسماعيل ذاهب الحديث» (التهذيب ج ٣٩٢/٩).

بل حتى ابن سميع الذي وثقه ابن شاهين، والحاكم (التهذيب ج ٣٩١/٩) لم يكن توثيقه محل اتفاق، فقد قال فيه أبو حاتم : لا يحتج به (الكاشف ج ٨٧/٣)، وقال ابن حجر : صدوق يخطىء، ويدلس، ورمي بالقدر (التقريب ج ١٩٨/٢)

(٣) الطبري ج ٤٦٩/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٤٧٠/٤

(٥) في سندها، يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي. وقد قال « أبو زرعه » سمعت أحمد بن حنبل يقول : في حديث يونس عن الزهري منكرات (التهذيب ج ٤٥١/١١) وسئل أحمد : من أثبت في الزهري ؟

قال معمر، قيل «فيونس»، قال : روى أحاديث منكره (التهذيب ج ٤٥١/١١) ويقول ابن حجر : ان في روايته عن الزهري وهما قليلا، وفي غير الزهري خطأ (التقريب ج ٣٨٦/٢) أما الذهبي فقد وثقة (ميزان الاعتدال ج ٤٨٤/٤٠)

أما رواية يزيد بن أبي حبيب ففي سندها عبد الله بن لهيعة وقد تكلم فيه المحدثون[١] وفيها أخبار غريبة لم ترد في الروايات الأخرى[٢].

أما رواية الزبير، فهي تصور المحاصرين لعثمان أصحاب حق يرضون وينضبون من أجل الله، وفي الجانب الآخر تصور عثمان رضي الله عنه صاحب ذنب لا بد أن يعلن توبته منه ![٣].

بل انها تصور عثمان ـــ وحاشاه عن ذلك ـــ غادرا يطلب من علي أن يتوسط بينه وبين القوم، ليمهلوه حتى يرد اليهم مظالمهم، ثم هو يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح في فترة الامهال ![٤].

وهل نتصور أن تكون تلك رواية الزبير للفتنة، ورؤيته للخليفة عثمان، وهو الذي خرج مع أم المؤمنين عائشة وطلحة رضي الله عنهم مدافعا عن عثمان، ومطالبا بدمه من قتلته، كما سيأتي بيانه عند الحديث عن خروجهم الى البصرة، وحدوث وقعة الجمل ؟.

هذا فوق أن في سند الرواية مقالاً،[٥] وآفة الأخبار من رواتها !.

ويبقى معنا الروايات الثلاث :

رواية أبي سعيد (مولى أبي أسيد الأنصارى)، ورواية سهم الأزدى ورواية الأحنف ابن قيس وكلها مروية بسند جيد[٦] لا يدخل عليها منه، أما ما جاء فيها فنقتبس منها الفقرات الآتية :

---

(١) قال عنه ابن خزيمة : لست ممن يخرج حديثه إذا انفرد به (التهذيب ج ٣٧٧٥) وقد انفرد بهذه الرواية (العش : الدولة الأموية ص ٣١) ويقول الذهبي : العمل على تضعيف حديثه (الكاشف ج ١٢٢/٢)

(٢) الطبري ج ٣٩٤/٤، وقد ورد في الرواية ان الذي تولى قتل عثمان : نهران الأصبحي، وكان قاتل عبد الله بن بسره، وهو رجل من بني عبد الدار.

(٣) الطبري ج ٣٦٩/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٣٧٠/٤

(٥) في سند الرواية، عمر بن حماد، وقد قال فيه أبو داود : كان من الرافضة، ذكر عثمان بشيء فطلبه السلطان فهرب (التهذيب ج ٢٣/٨) وقال الساجي، يتهم في عثمان، وعنده مناكير (التهذيب ج ٢٣/٨)

(٦) سيكون الحديث عن سند كل رواية عند التعرض لها.

١ ــ جاء في رواية أبي سعيد : رجوع وفد مصر راضيــن، وبينما هم في الطريق اذا براكب يعترض لهم تارة ويختفي عنهم أخرى، فقالوا مالك ؟ فأخبرهم أنه رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر، وفتشوه فاذا معه كتاب، واذا في الكتاب الأمر بقتل هؤلاء، فرجعوا الى المدينة، وأتوا عليا وأطلعوه على كتاب عثمان، وأمروه بالقيام معهم الى عثمان فأبى، فقالوا : فلم كتبت الينا ؟ (وهو اتهام لعلي بالكتابة اليهم) فقال : والله ما كتبت اليكم كتابا قط، وجاؤوا الى عثمان، واستنكروا عليه الكتاب، فانكره، وطلب منهم البينة عليه، أو يقبلوا يمينه، فقالوا : هذا خاتمك، فأشار الى أن من الممكن أن ينقش على الخاتم !، كما أن الكتاب يكتب على لسان الرجل ! ثم حصروه[1].

ونحن نتبين من طبيعة هذه الأعمال هوية أصحابها، وأنهم لم يكونوا من الصحابة (كما يبدو في الروايات السابقة)، أما من يكونون ؟ فهذا ما تقف هذه الرواية دون أن تكشفه !.

٢ ــ وجاء في رواية الأزدى ما يكشف ــ قليلا ــ بعض ما ورد في الرواية السابقة... فيقول عن وفد مصر : جاء ركب الشقا من أهل مصر، ومحمد بن أبي بكر ــ وان كان مع الوفد القادم ــ يخرج من عند عثمان، بعد أن ذكره فاستحى، ولم يكن من قتلة عثمان، ثم دخل عليه رومان بن وردان، فقتله[2].

---

(١) الطبري ج ٤/٣٥٤ــ٣٥٦، وسندها كالآتي : يعقوب ابن ابراهيم (وهو ثقة، وكان من الحفاظ تقريب التهذيب ج ٢/٣٧٤) عن معتمر بن سليمان (وهو ثقة. التهذيب ج ١٠/٢٢٧، التقريب ج ٢/٢٦٣)، عن أبيه (سليمان بن طرخان التيمي) وهو ثقة عابد، كما في التقريب ج ١/٣٢٦، عن أبي نضره (المنذر بن مالك بن مطعه) وهو ثقة أيضا، التهذيب ج ١٠/٣٠٢، التقريب ج ٢/٢٧٥) أما أبو سعيد، فقد ذكره الذهبي في الميزان (ج ٤/١٨٢) فيمن أكثر الرواية عنه أبو نظره، كما ذكره ابن حجر في التهذيب (ج ١٠/٣٠٢) كما ترجم له الحاكم في « الاسامي والكنى » (عن يوسف العش. الدولة الأموية.. ص ٣٤).

(٢) تاريخ دمشق (الظاهرية) ق : ١٨٩ــ١٩٠ (عن يوسف العش : الدولة الأموية ص ٤١)، وفي سناده : ثور بن يزيد الرحبي وهو ثقة (التهذيب ج ٢/٣٣)، وان كان يرمي بالقدر فهو صحيح الحديث (الميزان ج ١/٣٧٤، واسماعيل بن عياش وهو عالم أهل الشام، وقد مات ولم يخلف مثله (الميزان، ج ١/٢٤٠) وهو حجة في حديثه عن الشاميين (التهذيب ج ١/٣٢٤) وقد حدث هنا عن الكلاعي، وهو حمصي (الميزان ج ١/٣٧٤)

٣ ــ وتكشف الرواية الثالثة (رواية الأحنف) أشياء أخرى، فطلحة والزبير، وعلي (المتهم بعضهم ــ في بعض الروايات ــ في الشركة في دم عثمان) يؤكدون لعثمان ما وعده به الرسول ﷺ من الأجر لقاء أعمال قام بها، بعد أن سألهم والناس مجتمعون في المسجد حولهم[1] وهذا هو الذي يهمنا ــ الآن ــ من هذه الرواية.

وباستعراضنا للروايات السبع، يتبين بطلان بعضها، وحاجة الروايات الصحيحة الى كشف مكنونها، وايضاح المجمل فيها.

وبالجملة فالروايات الصحيحة الاسناد، تؤكد أن هناك مؤامرة تحاك، وأن أبطالها غير بارزين، فاذا ما عدنا الى روايات الاخباريين الثلاث (أبي مخنف، سيف، الواقدى) وجدنا الآتي :

١ ــ يظهر في روايتي : أبي مخنف، والواقدى أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة...

فأبو مخنف ــ مثلا ــ لا يتورع أن يتهم عثمان بأنه الخليفة الذي كثرت سقطاته، فاستحق ما استحقه[2] ويظهر طلحة كواحد من الثائرين على عثمان، والمؤلبين ضده[3].

ولا تختلف روايات الواقدى كثيرا عن روايات أبي مخنف فعمرو بن العاص رضي الله عنه، يقدم المدينة، ويأخذ في الطعن على عثمان[4] وحينما جاءه الخبر بقتل عثمان قال : « أنا أبو عبد الله، اذا حككت قرحة نكأتها، ان كنت لأحرض عليه، حتى اني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل... »[5].

---

(١) الطبري ج ٤٩٧/٤، وسندها عن يعقوب بن ابراهيم (وقد تقدم توثيقه، التقريب ج ٣٧٤/٢ عن عبد الله بن ادريس وهو ثقة (التهذيب ج ١٤٤/٥)، بل كان نسيجا وحده (الكاشف ج ٧١/٢)، عن حصين بن عبد الرحمن السلمي، وهو ثقة مأمون، كما قال أبو حاتم (التهذيب ج ٣٨١/٢) وهو ثقة حجة (الكشاف ج ٢٣٧/١) عن عمرو بن جأوان التميمي، وهو معدود في الثقات (الكاشف ٣٢٥/٢، التهذيب ج ١٢/٨).

(٢) البلاذري. انساب الأشراف ج ٥٩/٥، ٦٢، هذا فوق أن في سند الرواية مقال لضعف أبي مخنف نفسه وقد سبق البيان (في الفصل الثاني)

(٣) المصدر نفسه ج ٧٨/٥

(٤) تاريخ الطبري ج ٣٥٦/٤

(٥) المصدر نفسه ج ٣٥٧/٤

أما طلحة، فالمؤامرة بأمره، وهو حامل الثوار ومؤلبهم ![1].

كما يظهر في رواية الواقدى (علي) كواحد من الذين اسهموا في نهاية عثمان، وبنو أمية يذكرون ذلك له ويخوفونه عاقبة اقبال الدنيا عليه : « يا علي أهلكتنا، وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين، أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرّنّ عليك الدنيا... »[2].

وهناك اتهامات غير هذه... بل هناك روايات أخرى للواقدى، ومنها ما أعرض الطبرى عنها لبشاعتها وكراهيته لها فلم يذكرها[3].

وروايتا أبي مخنف، والواقدى لا تضيفان جديدا للروايات التي قبلهما، خاصة ونحن أمام أيد خفية تحرك الفتنة، مازال أمرها غامضا، وخلافا لروايتي أبي مخنف، والواقدى تظهر الروايات الصحيحة أن كبار الصحابة كعلي وطلحة والزبير... وغيرهم كانوا من المؤازرين لعثمان والمنافحين عنه، ثم المطالبين بدمه بعد قتله، على حين يظهرون في هاتين الروايتين من المحرضين على عثمان، والمسؤولين عن قتله، فأي تعارض بعد هذا ؟.

وهنا نأتي الى رواية سيف بن عمر المتبقية لنا، لعلها تشفى الغلة وتقضي الحاجة.

وهذا نص الرواية : عن سيف عن شيوخه قال : « كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمن عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** ﴾ فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال : فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك : انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة ! ثم قال لهم بعد ذلك : ان عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ

---

(١) المصدر نفسه ج ٣٧٩/٤

(٢) المصدر نفسه ج ٣٦٥/٤

(٣) المصدر نفسه ج ٣٥٦/٤

فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، ابدأوا بالطعن على امرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم الى هذا الأمر، فبث دعاته، وكاتب من كان أستفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون الى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك ! ويكتب أهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض اذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون فيقول أهل كل مصر، انا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء الا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار، فقالوا : انا لفي عافية مما فيه الناس ».

(وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا)[1] : فأتو عثمان فقالوا : يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال : لا والله، ما جاءني الا السلامة، قالوا : فانا قد أتانا، واخبروه بالذى اسقطوا اليهم، قال : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا عليّ قالوا : نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة، وأرسل اسامة بن زيد الى البصرة، وأرسل عمار ابن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر الى الشام، وفرّق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمار، فقالوا، أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا : الأمر أمر المسلمين، الا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم الا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا اليه، فيهم عبد الله بن السوداء، وخالد ابن ملجم وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر[2] يريدونه على أن يقول بقولهم، يزعمون أن محمدا راجع، ويدعونه الى خلع عثمان، ويخبرونه أن رأى أهل المدينة على مثل رأيهم، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في قتله وقتلهم قبل أن يبايعهم، فكتب اليه عثمان : لعمرى

(١) هذه الاشارة تعني مشاركة محمد وطلحة ـــ في الخبر ـــ لعطية الذي نقل سيف عنه الخبر، والثلاثة كلهم من شيوخ سيف، أما محمد فهو ابن عبد الله بن سواد بن نويره، أما طلحة فهو طلحة بن الأعلم الحنفي، وعطيه هو ابن الحارث الهمداني، أما سيف فهو ابن عمر الضبي..

(٢) الى هنا، تنتهي رواية سيف عند الطبري (ج ٤/٣٤٠، ٣٤١)، وتكملتها من « ابن عساكر »

انك لجريء، ياابن أم عبد الله، لا والله لا أقتله ولا أنكأه، ولا اياهم حتى يكون الله عز وجل ينتقم منهم ومنه بمن أحب، فدعهم ما لم يخلعوا يدا من طاعة يخوضوا ويلعبوا...»[1].

اذن فالذى يظهر من رواية سيف أن عبد الله بن سبأ واتباعه من حوله هم الأيدى الخفية المحركة للفتنة والذين جاءت الروايات (الصحيحة) بالاشارة اليهم، ولم تبن عنهم، ورسمت هيكلهم ولم توضح شخوصهم على أن هناك أخبارا متناثرة عند المؤرخين اللاحقين تكشف آثار ابن سبأ في الفتنة وتضاف الى رواية سيف السابقة.

فابن عساكر يؤكد الدور الذي قام به ابن سبأ في الفتنة ويقول : « ...وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان... »[2].

ويشير المقريزى الى أن ابن سبأ هو الذي أثار الفتنة ضد عثمان حتى قتل[3].

وفي حديث السيوطي عن مصر ــ في تلك الفترة ــ ما يفيد انكار أهلها على ابن سبأ في البداية ثم افتتن به بشر كثير منهم، وكان ذلك مبدأ تأليبهم على عثمان[4].

والذي يبدو أن هذه الآثار في مصر استلزمت جهدا، وتخطيطا كان المتآمرون يحركون خيوطه فقد ذكر ابن كثير أن من أسباب قتل عثمان عزله عمرو بن العاص عن مصر، وتوليته ابن أبي سرح مكانه، وذلك لشدة عمرو وتضييقه على الخوارج المصريين، ولين ابن سعد وانشغاله بالفتوح[5] الا أن هذا الاجمال الذي نبه اليه ابن كثير وهو يشير الى أثر الخوارج المصريين نجد له بيانا وتخصيصا، وهذا التخصيص لا يتعدى دائرة ابن سبأ وأتباعه.

---

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤/أ، وفي نهاية الرواية يظهر ندم عثمان وخاصة اذا لقي من يثق به.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ق ١٢٣/ب
(٣) المواعظ والاعتبار ج ٢/٣٥٧
(٤) حسن المحاضرة ج ٢/١٦٥
(٥) البداية والنهاية ج ٧/١٨٦

جاء في رواية لأبي حارثة وأبي عثمان أن ابن السوداء لما قدم مصر عرض لأهلها بالكفر فأبعدوه ثم عرض لهم بالشقاق فأطمعوه، وبدأ فطعن على عمرو بن العاص، حتى حرك بعضا من أهل مصر، فسألوا الخليفة أن يعفهم منه، ويولي قرشيا يسوى بينهم ! فأجاب عثمان، وجعل ابن سعد على الخراج، وأبقى عمرا على الحرب ولم يعزله، ثم سعوا بين الرجلين، وكتب كل واحد منهما الى عثمان بالذى بلغه عن صاحبه، وركبوا هم ليستعفوا من عمرو ويسألوا سعدا، فأعفاهم[1]، وكأنه مدرك أن وراء الأكمة ما وراءها ![2].

وذكر الذهبي : أن ابن السوداء لما خرج الى مصر نزل على كنانة بن بشر مرّة وعلى سودان بن حمران مرّة وانقطع الى الغافقي فكلمه وأطاف به خالد بن ملجم وعبدالله ابن رزين وأشباه لهم، فصرف لهم القول فلم يجدهم يجيبون الى الوصية، فقال : عليكم بباب العرب وحجرهم ولسنا من رجاله، فأروه أنكم تزرعون ولا تزرعوا العام شيئا، حتى تنكسر مصر فنشكوه الى عثمان فيعزله عنكم، ونسأل من هو أضعف منه، ونخلوا بما نريد، نظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ــ وكان أسرعهم لذلك محمد بن أبي حذيفة ــ وفعلوا ما أمرهم به، وخرجوا شاكين الى عثمان عمرا، ومستعفينه منهم، ومطالبين بابن أبي سرح مكانه، فأقره على الخراج، وترك عمرا على الصلاة، فمشى بينهما سودان، وكنانة، وخارجه، وأغروا بينهما، حتى كتب كل واحد منهما ما بلغه الى عثمان، فجمع مصر كلها لابن أبي سرح.[3]

هكذا كان دور ابن سبأ في مصر أما أثره في غير مصر من أقاليم الخلافة...

ففي الشام لم يستطع على شيء مما أراد، وأخرجه أهلها منه[4] ولذلك لم يكن من بين المحاصرين جماعة تدعى بأهل الشام ــ فيما أعلم ــ.

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٤/أ

(٢) يؤكد هذا : الحوار الذي جرى بينه وبين « عمرو بن العاص » بعد أن قدم عليه المدينة، قال عثمان : ما شأنك يا أبا عبد الله ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما كنت منذ وليتهم أجمع أمرا ولا رأيا مني منذ كرهوني وما أدري من أين أتيت ؟ فقال عثمان : ولكن أدري، لقد دنا أمر هو الذي كنت أحذره، ولقد جاءني نفر من ركب تردد عنهم عمر وكرههم ألا وانه لابد لما هو كائن أن يكون... (تاريخ دمشق ص ١٢٤/أ) وهذه الرواية ــ التي يشكل الحوار جزءا منها ــ تطلعنا على حقيقة المؤامرة، كما تبين عن طبيعة العلاقة واسلوب المعاملة بني الصحابة وهو أمر تشتط الروايات الأخرى في تأويله !!

(٣) تاريخ الاسلام ج ٢/١٢٣

(٤) الطبري ج ٤/٣٤٠

أما البصرة فقد نزلها ابن سبأ، وعرض لأهلها ولم يصرح لهم فقبلوا منه، واستعظموه[1].

وكاد الأمر يستفحل فيها، الا أن واليها ــ الفطن ــ عبد الله بن عامر تنبه له، فأخرجه بعد أن سأله : ما أنت ؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام، وفي جواره، فرد عليه : ما يبلغني ذلك، أخرج عني[2] وكذلك الكوفة فقد أخرج منها، فقصد مصر[3].

لكن اخراج ابن سبأ من البصرة والكوفة، لم يكن ليمنع من تأثيره فيهما، واستدامة العلاقة مع عناصر الفتنة فيهما، ولذلك كانت المكاتبات جارية بين ابن سبأ، وبين أهل البصرة والكوفة، وكانت الرجال تختلف بينهم[4].

وأدت هذه المكاتبات ادوارها، فكان من بين الركب المحاصر لعثمان ركبا البصرة والكوفة (كما سيأتي بيانه ــ ان شاء الله).

* * *

وأخيرا نقف على نقطة نحسب أنها ضرورية فيما نحن بصدده، بل هي من مكملات الموضوع ولوازمه... هذه النقطة هي الكشف الحقيقي عن حجم دور ابن سبأ في الفتنة زمن عثمان، ويقابلنا في المسألة رأيان :

أولهما يستهجن دور ابن سبأ، ويشكك فيما نسبه المؤرخون اليه من أخبار، وانها الى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة[5]، ثم كان هذا عاملا من عوامل التشكيك في أصل وجوده أو درجة في سلم الانكار (وقد سبق البيان).

---

(١) المصدر نفسه ج ٣٢٦/٤

(٢) المرجع نفسه ج ٣٢٧/٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٣٢٧/٤

(٤) الطبري ج ٣٢٩/٤، ابن الأثير (الكامل) ج ١٤٥/٣

(٥) أمثال طه حسين : علي وبنوه ص ٤٩، محمد عماره : الخلافة ونشأة الأحزاب الاسلامية ص ١٥٤

أما أصحاب الرأي الآخر، فيرون أن لو كان ابن سبأ وحده لكان كافيا لتهييج الفتنة[1]، وربما زاد بعضهم فجعل من آثاره تحريك بعض الصحابة وضرب بعضهم ببعض ![2].

واذا كنا نرفض الرأى الأول، معتمدين على بيان دوره من خلال دراسة الروايات الصحيحة، والجمع بينها ثم بيان دلالاتها، فنحن أيضا نأخذ على أصحاب الرأى الثاني مغالاتهم في تضخيم دور ابن سبأ ونقف من ذلك موقفا وسطا، مؤكدين ما لابن سبأ من دور في أحداث الفتنة، ولكن كعامل من عواملها، ـــ قد يكون أبرزها وأخطرها ـــ ولكن المهم أن هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامل أخرى ساندته... وتأكيد هذا بالاشارة الى بعض عوامل الفتنة، التي نستوحيها من اشارات السلف، ونضيف اليها بعضا من آراء الخلف. ومن هذه العوامل :

١ ـــ مجيء عثمان رضي الله عنه مباشرة بعد عمر رضي الله عنه واختلاف الطبع بينهما، مما أدى الى تغير اسلوبهما في معاملة الرعية، فعلى حين كان عمر رضي الله عنه قوى الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه، ولمن تحت يده، كان عثمان رضي الله عنه ألين طبعا وأرق في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما أخذهم به عمر، فعظم صغير عثمان في أعينهم[3] ويقول عثمان نفسه : « ان عمر رضي الله عنه أتعب والله من اتبع اثره »[4] حتى وان كان الناس رغبوا فيه في الشطر الأول من خلافته لأنه لان معهم، وكان عمر شديدا عليهم، فقد أنكروا عليه بعد ذلك[5] وقد قال عثمان لأقوام سجنهم : « أتدرون ما جرأكم عليَّ ؟ ما جرأكم عليّ إلا حلمي » ؟[6]

---

(١) سعيد الأفغاني : عائشة والسياسة ص ٥٩

(٢) محمود قاسم : دراسات في الفلسفة الاسلامية ص ١٠٩

(٣) حتى قيل : ما قتل عثمان غير عمر (الجاحظ. العثمانية ص ١٨٤) وهذه العبارة وإن كان فيها مبالغة فهي ذات دلالة معينة.

(٤) الطبري ج ٤/٤٠١

(٥) ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ص ١١٣، ١١٤

(٦) الطبري ج ٤/٢٥١

٢ ـــ واذا كان الشهرستاني يحمل بني أمية مسؤولية ما وقع من أحداث في أواخر عهد عثمان[١]، فابن تيمية[٢]، وابن حجر[٣] يشيرون الى مروان بن الحكم كعامل من عوامل النقمة على عثمان.

٣ ـــ ومن عوامل الفتنة سماح عثمان رضي الله عنه لكبار الصحابة بالانتشار في البلاد المفتوحة، وكان عمر قد حجر عليهم قبله، وقد انقطع الى المسلمين من ليس له طول ولا مزية في الاسلام فكان ذلك أول وهن دخل على الاسلام، وأول فتنة كانت في العامة ليس الا ذلك »[٤].

٤ ـــ ويذهب ابن تيمية الى أن من عوامل الفتنة اختلاف الناس في أواخر خلافة عثمان، وخلافة علي عنهم في زمن أبي بكر وعمر، ولذلك لقرب عهد هؤلاء بالرسالة، وعظيم ايمانهم وصلاحهم، وكون أئمتهم أقوم بالواجب، وأثبت في الطمأنينة[٥].

٥ ـــ وشكلت طوائف من المرتدين عنصرا ساهم في تهيئة أجواء الفتنة، والمرتدون كانوا على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولكن الشيء الجديد هو اختلاف سياسة عثمان رضي الله عنه عن الخليفتين قبله، تجاههم فأبو بكر رضي الله عنه يكتب الى عمال الردة : « ألا يستعينوا بمرتد في جهاد عدو »[٦].

ويؤكد على خالد بن الوليد، وعياض بن غنم ألا يغزوا معهم أحد قد ارتد حتى يرى رأيه فيهم، فلم تشهد أيامه مرتداً[٧].

---

(١) الملل والنحل ج ٢٤/١

(٢) مناهج السنة ج ١٩٠/٣

(٣) الاصابة ج ٤٧٨/٣

(٤) الطبري ج ٣٩٧/٤، ويقول ابن كثير : كان عمر يحجر على كبار الصحابة، يقول لهم : إني أخاف أن تروا الدنيا، وأن يراكم بناؤها، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس، وصار لكل واحد اصحاب، وطمع كل قوم في تولية صاحبهم الامارة بعد عثمان، فاستعجلوا موته، واستطالوا حياته، حتى وقع ما وقع في بعض الأمصار (البداية والنهاية ج ٢٣٨/٧)

(٥) الفتاوي ج ١٤٨/٢٨

(٦) الطبري ج ٣٤١/٣

(٧) المصدر نفسه ج ٣٤٧/٣

ويقول الشعبي : « كان أبو بكر لا يستعين في حروبه بأحد من أهل الردة حتى مات »[1].

ولذلك كان بعض من ارتد، وحسن اسلامهم بعد ذلك، يستحيون من مواجهة أبي بكر، فطليحة بن خويلد ــ مثلا ــ يذهب إلى مكة معتمرا، وما استطاع مقابلة أبي بكر حتى مات[2].

ويكتب الصديق رضي الله عنه الى خالد ــ وطليحة يشهد القتال معه ــ : ان استشره في الحرب، ولا تؤمره[3].

وفي خلافة عمر رضي الله عنه تخف هذه السياسة نوعا، تجاه المرتدين، فيندب عمر أهل الردة ليرمي بهم الشام والعراق...[4].

ويكون في الامداد لجيش اليرموك قيس بن هبيرة[5] وهو فيمن ارتد.

بل يكون في ميسرة جيش سعد في القادسية قيس بن مكشوح المرادي وعمرو ابن معدى كرب كان يحمس الناس ويحرك مشاعرهم[6]، وهذا كله انما كان بعد أن أذن عمر لأهل الردة في الغزو[7].

ولكن هذا التجاوز عن سياسة أبي بكر، عند عمر يصحبه نوع من الحذر والحيطة، ولا ينفك عن الضوابط والشروط المقيدة...

فأهل الردة لا يولون على مائة، ولهذا اضطر سعد أن يبعث قيس بن المكشوح في سبعين رجلا فقط، في أثر الأعاجم الذين ثاروا بهم ليلة الهرير[8].

---

(١) المصدر نفسه ج ٢٥/٤
(٢) البداية والنهاية ج ٣٥٩/٦
(٣) المصدر نفسه ج ٣٥٩/٦
(٤) الطبري ج ٤٤٨/٣
(٥) الطبري ج ٤٤٨/٣
(٦) المصدر نفسه ج ٥٧٥/٣، ٥٧٦
(٧) المصدر نفسه ج ٤٤٨/٣
(٨) المصدر نفسه ج ٥٥٨/٣

ثم ان عمر ما كان يستعمل المرتدين الا بعد ألّا يجد في الصحابة من يجزئه في حربه، وبعد أن يتعذر عليه سواهم من التابعين لهم باحسان[1].

واذا استعمل هؤلاء المرتدين فلم يكن يطمعهم في الرئاسة[2]، ولذلك كان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب (حشوة)[*] الى أن ضرب الاسلام بجرانه كما يقول الشعبي[3].

ويأتي عثمان رضي الله عنه فيتجاوز سياسة التقييد التي فرضها الخليفتان قبله، تجاه المرتدين ويرتئي أن عامل الزمن ـــ الذي مضى على عهد الردة ـــ كاف لان يتخلص من كان قد ارتد من رواسبها، ويجتهد عثمان فيستعمل أهل الردة استصلاحا لهم، فلم يصلحهم ذلك، بل زادهم فسادا وجعل قائلهم يتمثل قول القائل :

وكنت وعمرا كالمسمن كلبه فخدشه أنيابه وأظافره[4]

وكان من نتائج استعمال عثمان لأهل الردة في الكوفة، أن تبدل أهلها وأصيب قائدهم عبد الرحمن بن ربيعة في غزوه للترك، وهو الذي كان يقاتلهم في عهد عمر فيفرقون منه ويقولون : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعه الملائكة تمنعه من الموت[5] !.

بل تظهر الآثار بشكل واضح في الفتنة التي انتهت بقتل عثمان، وذلك حينما نجد في أسماء المتهمين في دم عثمان رجالا ينتسبون الى قبائل كانت في عداد المرتدين أمثال : سودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني، وحكيم بن جبلة العبدى[6].

---

(١) المصدر نفسه ج ٤/٢٥
(٢) المصدر نفسه ج ٤/٢٥
( ) حشوه : بالكسر، البطن (مختار الصحاح ص ١٣٨)
(٣) الطبري ج ٤/٢٥
(٤) الطبري ج ٤/١٥٨
(٥) المصدر نفسه ج ٤/١٥٨
(٦) المصدر نفسه ج ٤/٣٤٨، أشار الطبري الى أن قوما من « السكون » قد تحولوا الى المرتدين بعد أن كانوا مع جيش المسلمين بقيادة « زياد بن لبيد » (ج ٣/٣٣٤)، هذا فوق ان من قبائل مراد (وفي هؤلاء من ينتمي إليهم) من قد ارتد مع أهل اليمن (البداية والنهاية ج ٦/٣٧٣) أمثال قيس بن المكشوح المرادي، وعمرو بن معدي كرب. أما « حكيم بن جبلة » فهو من بني عبد القيس، وأصلهم من عمان. وكانت في أهل عمان ردة أيضا (الطبري ج ٣/٣١٤)

٦ ــ ووسط هذه الأجواء كانت الخيرات وافرة، وفي الدنيا متسع على المسلمين، لا سيما وقد تفرغ الناس، بعد أن فتحوا الأقاليم، واطمأنوا، فأخذوا ينقمون على خليفتهم[١].

ومن هنا نعلم أثر الرخاء في تحريك الفتنة، وخاصة حينما تواكبه أجواء معينة.

ومن هنا ــ أيضا ــ نفهم مقالة عثمان رضي الله عنه لعبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب[٢] : « ان الرعية قد أبطر كثيرا منهم البطنة، فقصّر بهم ولا تقتحم بالمسلمين، فاني خاش أن يبتلوا »[٣].

ويقول عباد بن حنيف : « ان أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا »[٤].

٧ ــ ومن المحدثين من يشير الى تنوع عوامل الفتنة، بين قديم يصعد الى جاهلية الآباء والأجداد وحديث هيأته الدوافع القائمة بين الأقران والأنداد، وما كان منتزعا من حوافز البيئة، ومسوقا بسوط العصبية الموروثة، زيادة على ما كان مصبوغا بصبغة الدين والحمية[٥].

ويجمل أحدهم عوامل الفتنة، في العصبية القبلية الاقليمية، والعوامل الاقتصادية الاجتماعية والأمور الدينية الاجتهادية ![٦].

---

(١) الذهبي : دول الاسلام ج ١٢/١.

(٢) الباب : يطلق عليه باب الابواء، مدينة على بحر طبرستان، وأحد الثغور الجليلة العظيمة، لكثرة اعدائه من أمم شتى وكانت الأكاسرة كثيرة الاهتمام بهذا الثغر لا يفترون عن النظر في مصالحه، لعظيم خطره، وشدة خطره، فتح في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٩ هـ، وكان عبد الرحمن بن ربيعه في مقدمة الجيش الفاتح له (معجم البلدان ج ٣٠٣/١ــ٣٠٥)

(٣) الطبري ج ٣٠٤/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٣٩٨/٤

(٥) صادق عرجون : عثمان... الخليفة المفترى عليه ــ ص ١٩

(٦) نايف محمد معروف : الخوارج في العصر الأموي ص ٤١، كذلك أشار الى بعض هذه العوامل، أبو زهرة (تاريخ المذاهب الاسلامية ج ٢٨/١ــ٣١، وعبد الباسط أفندي (تحفة الأنام.. ص ٤٥، ٤٦) وغيرهم.

« تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة »

مما سبق يتبين أن بوادر الخلاف التي نجمت، ومجمل عوامل الفتنة التي نشأت، كانت بمثابة فتيل، جاء ابن سبأ، وأعوانه ليشعلوه، ودخلت سنة ٣٤هـ، وهي السنة التي تكاتب فيها المنحرفون عن عثمان لمناظرته[١].

وتكاثفت الأحداث، فالكوفة تخلو من الرؤساء، الا منزوعاً أو مفتوناً، ويخرج فيها « يزيد ابن قيس »، فيدخل المسجد مناديا بخلع عثمان ؟، ويثوب إليه أصحابه ــ ممن كان ابن السوداء يكاتبهم ــ وينكر العارفون من أهل الكوفة عليهم، ويحدد « القعقاع » تحجيم فتنتهم : هيهات لا والله لا تسكن الغوغاء الا المشرفيه[٢].

وفي مصر ــ وربما غيرها ــ تزور الكتب على ألسنة الصحابة بقتل عثمان[٣].

وسارت الفتن في أقاليم الخلافة سريان النار في الهشيم، وكتب عثمان (رضي الله عنه) الى أهل الأمصار، فهزت كلماته مشاعرهم، وربما أبكت الكثير منهم، وأدرك الناس أن الأمة تتمخض بشر[٤] واستلزم هذا خطوة أخرى يقوم بها عثمان، فأرسل الى عماله أن يوافوه في الموسم، فحضر اليه معاوية بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبد الله ابن عامر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وأخبرهم بما صنع الناس، وما شكوا به اليه، وطلب منهم ــ وهم وزراؤه ونصحاؤه ــ أن يجتهدوا في آرائهم ويشيروا عليه، فكان رأي ابن عامر :

أن يأمر الناس بالجهاد، ويجمهرهم في المغازي حتى لا يتعدى همّ أحدهم قمل فروه، ودبرة دابته، وأشار عليه « معاوية » بأن يرد عماله على الكفاية لما قبلهم، والرجلان أعلم بناحيتيهما، أما « سعيد بن العاص » فكان رأيه أن يقتل قادة هؤلاء فيتفرق أذنابهم، فالأمر يصنع بسر، ولا ذنب للعامة الذين يتحدثون بما يسربه اليهم، واشار عليه « ابن أبي سرح » أن يلجمهم بالمال ليعطف عليهم، فهم أهل طمع، وجاء دور « عمرو بن العاص » فقال له :

---

(١) الطبري ج ٣٣٠/٤

(٢) المصدر نفسه ج ٣٣١/٤ــ٣٣٢

(٣) البداية والنهاية ج ١٩٢/٧ نقل ابن جرير ــ عليه رحمة الله ــ من طريق محمد بن اسحاق عن عمه : أن الصحابة كتبوا الى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه (ج ٣٦٧/٤)، ولكن قال ابن كثير : ان هذا كذب على الصحابة (ج ١٩٢/٧)

(٤) الطبري ج ٣٤٢/٤

انك قد ركبت الناس ما يكرهون فاعتزم أن تعتدل، والا فاعتزل، وظن عثمان أن هذا هو الجد منه، حتى اذا تفرق القوم عنه أشار عليه عمرو أن هذا ليس هو رأيه[1] وانما أراد أن يبلغ القوم قوله فيثقوا به فيقود اليه خيرا، أو يصرف عنه شرا، وذلك لظنه أن الخبر سيبلغهم[2].

وأحاط الثوار بالمدينة ـ للمرة الأولى ـ مظهرين الأمر بالمعروف، وهم يريدون أن يذكروا لعثمان أمورا قد زرعوها في قلوب الناس، حتى يرجعوا اليهم فيقولوا لهم، انا قررناه بها فلم يعزل عنها !! وقد تلطف معهم عثمان فأجاب على تساؤلاتهم، وقد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر، فأشاروا على الخليفة بقتلهم، وأبى عثمان الا تركهم، فانصرفوا، وقد تواعدوا المجيء في شهر شوال من السنة نفسها (٣٥هـ) حتى يغزوه وكأنهم حجاج[3].

فلما كان في الموعد المحدد، خرج الثوار قاصدين المدينة ــ وبيان ذلك بما يلي :

جاء في رواية أبي سعيد (مولى أبي اسيد الأنصاري) أن عثمان سمع أن وفد مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فقالوا : ادع بالمصحف، فدعا به، وقالوا افتح السابعة[4] (يعنون يونس)، فلما قرأ « قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون.. » أوقفوه، وقالوا : أرأيت ما حمى من الحمى آلله أذن لك أم على الله تفتري ؟ ثم ذكروا له أشياء أخرى، وكلما ذكروا له شيئا قال : امضه نزلت في كذا.. فيدفعهم إلى المعنى المقصود منها، ثم انهم خرجوا راضين وكتبوا عليه شرطاً وأخذ عليهم ميثاقا ألا يشقوا ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ورجعوا راضين[5] فبينما هم في الطريق اذا براكب يتعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع اليهم ثم يفارقهم، قالوا مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر، ففتشوه فاذا هم بكتاب من عثمان وعليه خاتمه، وفيه الأمر بصلبهم أو قتلهم، أو قطع أيديهم وأرجلهم، وأقبلوا نحو المدينة، فأتوا « عليا » فقالوا : ألم تر الى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا ؟ وأن الله قد أحل دمه، فقم معنا اليه، قال : والله لا أقوم معكم قالوا : فلم كتبت الينا ؟! قال : والله ما كتبت اليكم كتابا، فنظر بعضهم

---

(١) فقد جاء في رواية أخرى أنه قال : « أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عنهم، وزدتهم على ما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين..» (الطبري ج ٣٤٢/٤، ٣٤٣)

(٢) الطبري ج ٣٣٣/٤، ٣٣٤، ٣٤٢، ابن الاثير : الكامل ج ١٥٥/٣

(٣) الطبري ج ٣٤٦/٤ــ٣٤٨، الكامل، لابن الأثير ١٥٨/٣.

(٤) في الطبري : التاسعة

(٥) وفي الطبري زيادة مهمة ومنها « فقام فخطب فقال، إني ما رأيت والله وفدا في الأرض هم خير لحوماتي من هذا الوفد الذين قدموا علي وقد قال مرة أخرى : خشيت من هذا الوفد من أهل مصر !! »

الى بعض[1]، وخرج علي من المدينة فانطلقوا الى عثمان فقالوا : كتبت فينا بكذا وكذا، فقال : انهما اثنتان أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله الا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم، قالوا : قد أحل الله دمك، ونقضت العهد والميثاق، وحصروه في القصر رضي الله عنه[2].

هذه الرواية من أصح الروايات في حصار عثمان، فهي ذات سند قوي (كما تقدم)، وراويها (أبو سعيد) شاهد عيان للحادثة، والذي نقلها عنه (أبو نضره) وكان يعرف من حضر الحادثة، واجتمع بهم أمثال علي وطلحة[3] وسنضيف الى هذه الرواية أخبارا تكملها، من روايات لا تصطدم معها بشيء بل تسير معها في اتجاه واحد حتى تنتهي الى قتل عثمان، ومن أبرز هذه الروايات رواية سيف بن عمر التميمي ومما جاء فيها..

أنه في شوال سنة ٣٤هـ خرج أهل مصر في أربع فرق، على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة، والمكثر يقول ألف، ومن زعمائهم : ابن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة ابن شيم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وسودان بن رومان الأصبحي، وزرع ابن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران، وقتيرة بن فلان السكونيين، وعلى الجميع الغافقي بن حرب العكي، ومعهم عبد الله بن سبأ، وخرجوا للحرب، متظاهرين أمام الناس أنهم خرجوا للحج، وهواهم في علي[4].

وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وعليهم زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وعددهم كعدد أهل مصر[5]، وعليهم جميعا عمرو بن الأصم، ونزل ناس منهم « الأعوص » وكان هواهم مع الزبير[6].

---

(١) بعد ذلك ــ كما في الطبري ــ قال بعضهم : أهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون ؟ (ج ٤/٣٥٥).

(٢) خليفة بن خياط ص ١٦٨، ١٦٩، الطبري ج ٤/٣٥٤ــ٣٥٦، وهذه رواية خليفة.

(٣) انظر تاريخ الاسلام للذهبي ج ٤/٢٢٥

(٤) الطبري ج ٤/٣٤٨

(٥) في الطبقات ان عددهم ٢٠٠ (ج ٣/٧١)

(٦) الطبري ج ٤/٣٤٩.

أما أهل البصرة فقد خرجوا في أربع رفاق ـ أيضا ـ وعليهم حكيم بن جبلة، وذريح ابن عباد العبدي، وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي، وابن المحرش ابن عبد بن عمرو الحنفي في عدد كأهل مصر[1] وأميرهم جميعا « حرقوص بن زهير السعدي »، فنزل ناس منهم « ذا خشب » وكان هوى البصريين مع طلحة[2].

واتفق أمرهم على أن يبعثوا اثنين منهم ليطلعوا على أخبار المدينة ويعرفوا أحوال أهلها، خاصة وقد نمي خبر بأن أهل المدينة استباحوا دماءهم وعسكروا للقائهم وذهب الرجلان فدخلا المدينة، ولقيا أزواج النبي ﷺ، وعليا، وطلحة، والزبير، وأظهروا لهم أنهم يستعفون من عثمان بعض عماله، ويطلبون منهم السماح للناس بالدخول، فكلهم أبى عليهم ذلك، وقالوا : بيض ما يفرخن[3] .

ونتيجة هذا الفشل احتاج الأمر الى اسلوب آخر فكان ان اتفق نفر من أهل مصر فأتوا « عليا » ومن أهل البصرة فأتوا « طلحة »، ومن أهل الكوفة نفر وأتوا « الزبير » فكلموهم وعرضوا عليهم، لكنهم ردوهم على أعقابهم وهم يقولون : « لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة، وذي خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لاصحبكم الله »[4].

بعد هذا تظاهر القوم بالرجوع، وهم يبطنون أمرا لا يعلمه الناس وكان أمر الكتاب... ولنتوقف عند قضية الكتاب، من كتبه ؟ وتحت أي ظروف كتب ؟.

وأول ما يستوقفنا من أمر الكتاب حامله، وهو يتعرض لهم ويفارقهم، ثم يرجع اليهم، ثم يفارقهم ![5]، بل جاء أنه كان يتبينهم[6].

---

(١) وفي طبقات ابن سعد أن عددهم ١٠٠ (ج ٧١/٣)

(٢) الطبري ج ٣٤٩/٤، وعند الذهبي العكس، فأهل الكوفة كانوا يشتهون طلحة، وأهل البصرة هواهم مع الزبير (تاريخ الاسلام ج ١٢٦/٢.

(٣) الطبري ج ٣٤٩/٤، ٣٥٠.

(٤) المصدر نفسه ج ٣٥٠/٤.

(٥) خليفة بن خياط ص ١٤٦

(٦) الطبري ج ٣٥٥/٤

ويستوقفنا ـ ثانيا ـ اجابته لهم بأنه رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر[1] والوفد لا يزال لتوه خرج من عند عثمان، فماذا يريد من عامله بمصر ؟؟.

ويستوقفنا ـ أيضا ـ سؤال علي رضي الله عنه لوفد الكوفة والبصرة ـ وقد كانوا يقولون انما جئنا لننصر اخواننا ونمنعهم ـ فقال لهم علي : وكيف علمتم ياأهل الكوفة، وياأهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل، ثم طويتم نحونا ؟[2].

ولعلنا من خلال هذه الملاحظات الداخلية في النص نتعرف على مَن كتب الكتاب ؟ ولعله أدرك عين الصواب من قال : ان الكتاب لا يعدو أن يكون مسرحيّة مثلت في الطريق الغربي الذي كان المصريون فيه وحدهم[3].

هذا فوق أن هناك ما يؤكد شبهة تزوير هذا الكتاب، اذ ليس هو الكتاب الوحيد الذي يزور على الصحابة، فعائشة (رضي الله عنها) تتهم بأنها كتبت الى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان !!، ثم تنفي وتقول : « لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا »[4].

وعلي (رضي الله عنه) يتهمه الثوار بأنه كتب اليهم أن يقدموا عليه المدينة فينكر ذلك عليهم ويقسم « والله ما كتبت اليكم كتابا »[5].

ويُتهم الصحابة بكتابة الكتب الى أهل الأمصار، يأمرونهم بالقدوم اليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة ؟![6].

ولعله، مما يندرج تحت هذه الكتب المزوّرة، ما أشار اليه « ابن قتيبة » في غريبه[7].

وفوق هذا أن عليا يقول : « هذا ـــ والله ـــ أمر أبرم في المدينة »[8].

---

(١) خليفة بن خياط ص ١٤٦، الطبري ج ٣٥٥/٤
(٢) الطبري ج ٣٥١/٤
(٣) محب الدين الخطيب : عثمان بن عفان ص ٣١
(٤) البداية والنهاية ج ٢١٤/٧
(٥) خليفة بن خياط ص ١٤٦.
(٦) الطبري ج ٣٦٧/٤، الباقلاني : التمهيد ص ٢١٦
(٧) غريب الحديث (الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ، وزارة أوقاف العراق) ج ٦٤/٢
(٨) الطبري ج ٣٥١/٤

وعثمان يشير الى أن الكتاب، مكتوب على لسانه، والخاتم قد ينقش على خاتمه[١]، فيصدقه الصادقون، ويكذبه الكاذبون[٢].

وفوق هذا كله، فالأمر ماض، والثوار يفصحون عن هدفهم ويقولون : ضعوه على ما شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا، ونحن نعتزله[٣].

ويحيط الثوار بالمدينة، وعثمان (رضي الله عنه) غير مكترث بهم، بل كانوا في عينه أدق من التراب[٤].

ويمضي أسبوع على نزولهم بمسجد رسول الله ﷺ، ويزداد تصاعد الأحداث، ويبدأ اللغط يرتفع في جوانب المسجد، ويتطور الى مناوشات، ثم الى حصب الخليفة (عثمان وهو على المنبر، فيصرع، ويحمل ثم يعود، ويصلي بهم عشرين يوما)[٥].

ويحكم الثوار الحصار، وتعيش مدينة الرسول ﷺ أياما عصيبة، ويبقى الصحابة (رضي الله عنهم) في حيرة من أمر هؤلاء، والناس بمجملهم لا يدرون ما القوم صانعون، ولا على ما هم عازمون[٦].

ويحاولون عثمان على أن يعزل نفسه، فيمتنع مشيرا الى أن الرسول ﷺ أوصاه بعدم طاعة المنافقين ![٧].

ثم يبعث عثمان الى أهل الأمصار ــ يستنجدهم، ويعرفهم ما الناس فيه ــ فيتجهزون، ويخرجون على الصعب والذلول، من مصر، والشام، والكوفة والبصرة..[٨].

---

(١) خليفة بن خياط ص ١٤٦
(٢) البداية والنهاية ج ١٩١/٧
(٣) الطبري ج ٣٥١/٤، ابن كثير ج ١٩١/٧
(٤) الطبري ج ٣٥١/٤
(٥) المصدر نفسه ج ٣٥١/٤.
(٦) البداية والنهاية ج ١٩١/٧
(٧) ابن سعد، الطبقات ج ٦٦/٣
(٨) الطبري ج ٣٥١/٤، ٣٥٢، ابن الاثير الكامل ج ١٦٠/٣

ويتناهى الخبر الى المحاصرين فيخشون فوات الفرصة، ويحكمون حصارهم على المدينة، فتضيق بهم طرقاتها ويبلغ الزحام شدته في موضع الحصار، حتى لو ألقي حجر لم يقع الا على رأس رجل، كما يقول ذلك من حضر الدار[1].

ويتسابق الصحابة ـ بعد أن أحاط الثوار بداره، وحاولوا عزله، بل منعه مما به اليه حاجة ـ في الدفاع عنه، ويستعينون بأبنائهم في الوقوف معه، فاذا هو يستقبلهم ويقسم عليهم، أن يكفوا أيديهم، فيسكنوا[2] حتى أن بعضهم لبس الدرع مرتين[3]. وحتى أن الأنصار ليسألونه ان يكونوا أنصار الله مرتين !!، فيأمرهم بالكف ويقول : لا حاجة لي في ذلك[4].

ويستمر الحصار (من أواخر القعدة ـــ إلى الثامن عشر من ذي الحجة)[5].

وقبل ذلك بيوم يرى عثمان في المنام اقتراب اجله، فيستسلم لامر الله ويأمر من كان عنده في الدار ـ وكانوا قرابة سبعمائة ـ من المهاجرين والأنصار أن يكفوا أيديهم، ويذهبوا الى منازلهم، كما قال لرقيقه : من أغمد سيفه فهو حر ![6].

ويتسور الثوار عليه داره، وتتوزع رماحهم دماءه الطاهرة، وهو الشيخ المعلق قلبه بالله، والمحتضر وبين يديه كتاب الله !!!

وهنا تختلف الروايات في تعيين قاتله، هل كان « رومان اليماني »[7] أو « سودان ابن رومان المرادي »[8]، أو « كنانة بن بشر التجيبي »[9]، أو رجل من بني سدوس يقال له « الموت الأسود »[10] أو أنه لم يتعين قاتله على الصحيح[11].

---

(١) البداية والنهاية ج ١٩٥/٧

(٢) المصدر نفسه ج ١٩٣/٧

(٣) أمثال ابن عمر. انظر خليفة بن خياط ص ١٧٣

(٤) المصدر نفسه ص ١٧٣.

(٥) البداية والنهاية ج ١٩٩/٧

(٦) المصدر نفسه ج ١٩٩/٧

(٧) خليفة بن خياط، ص ١٧٥

(٨) البداية والنهاية ج ٢٠٣/٧، وفي الطبري سودان بن حمران المرادي (ج ٣٩٤/٤)

(٩) الطبري ج ٣٩٤/٤

(١٠) خليفة بن خياط ص ١٧٤

(١١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤٠/١

والذي يهمنا أن نتعرف على هويّة قاتليه، فهم « رؤوس شر وأهل جفاء » كما يقول الذهبي[1].

وأراذل من أوباش القبائل، كما يقول ابن العماد الحنبلي[2] وهمج ورعاع من غوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذل كما يصفهم النووي[3] .

أو حثالة الناس، ومتفقون على الشر كما يصفهم ابن سعد[4].

وهم خليط بين غوغاء الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة، كما تقول عائشة رضي الله عنها[5].

ويقول الزبير (رضي الله عنه) : قتله الغوغاء من الأمصار، ونزاع القبائل، وظاهرهم الأعراب والعبيد[6].

ولعنه بعد هذا لا يبقى مكان للروايات التي تشرك الصحابة في دم عثمان ـ وقد سبق طرف منها ـــ، ولا لبعض الاخبار التي تقول أنه جد في أمر عثمان طلحة والزبير ![7] .

كيف وقد سئل الحسن، أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار ؟

قال : لا، كانوا أعلاجا من أهل مصر[8].

واذا كان لقائل أن يقول : وكيف قتل عثمان، وفي المدينة جمع من كبار الصحابة ؟!

وهو سؤال وضعه ابن كثير (وفيما أمضينا بعض الاجابة عليه) ثم أجاب عليه بعدة أمور نقتطف منها الآتي :

١ ـــ أن كثيرا منهم، بل أكثرهم، أو كلهم لم يعلموا أن الأمر سيبلغ قتله.

٢ ـــ أن الصحابة مانعوا عنه أشد الممانعة، فلما كان التضييق عزم عليهم بوضع أسلحتهم، والخروج الى منازلهم.

---

(١) دول الاسلام ج ١٢/١

(٢) شذرات الذهب ج ٤٠/١

(٣) شرح صحيح مسلم ج ١٤٨/١٥، ١٤٩

(٤) الطبقات ٧١/٣

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ٢٠٧/٣

(٦) الطبري ج ٤٦١/٤ ـــ عن يزيد بن معن السّلمي

(٧) نصر بن مزاحم : وقعة صفين ص ٧٢

(٨) خليفة بن خياط ص ١٧٦

٣ ـــ أن الثوار اغتنموا فرصة غياب كثير من أهل المدينة في الحج، وعجلوا عثمان قبل قدوم أهل الأمصار عليه.

٤ ـــ وكان المحاصرون قريبا من ألفي مقاتل من الشجعان، وأهل المدينة كلهم ربما لا يبلغون هذا الرقم لتوزعهم في الثغور والأقاليم(١).

وبالجملة فهي فتنة قدرها الله، وبوحي منه أخبر عنها رسول الله ﷺ، وهو يبشر عثمان بالجنة مع بلوى نصيبه(٢).

ولقد كان عمر رضي الله عنه، سبب انتشارها عنهم، كما يقول ابن كثير(٣).

أما وقد كسر الباب، واستشهد عمر، فما بقي الا أن يصدق خبر المصطفى ﷺ، في الفتنة التي تموج كموج البحر..(٤) ويبتلي بالفتنة عثمان فيصبر لها ويحتسب اجرها منذ علم خبرها وهو يقول : اللهم صبرا، أو الله المستعان(٥)، ثم يصبر عليها وقت هيجانها ويقول : والله ان رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان ـ ان مات ولم يحركها..(٦).

رضي الله عن عثمان الشهيد المبتلى، ورضي الله عن بقية الصحابة أولي الأحلام والنهى....

بعد هذا كله، علنا أن نكون قد عرفنا ملابسات الفتنة التي انتهت بمقتل عثمان، فقد ابتدأت بمآخذ كانت تكمن خلفها بواعث الفتنة، ثم تبلورت على شكل بوادر خلاف شملت معظم أقطار الخلافة، ثم كان لابن سبأ دور في استغلال أجواء الفتنة، وأخيرا تصاعدت الأحداث، وأقبل الثوار ـ وفيهم ابن سبأ ومن كان يكاتبه ـ، وانتهى الأمر باستشهاد الخليفة ! فلله الأمر من قبل ومن بعد !!.

---

(١) البداية والنهاية ج ٢١٦/٧
(٢) صحيح البخاري ج ٩٧/٨
(٣) النهاية أو الفتن والملاحم (دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الأولى) ج ٥٠/١
(٤) صحيح البخاري ج ٩٦/٧، وقد جاء في الحديث أن عمر سأل عن الفتنة التي تموج كموج البحر.
(٥) صحيح مسلم (شرح النووي ج ١٧٠/١٥ــ١٧١)
(٦) الطبري ج ٣٤٣/٤.

الفصــل الـرابـع

عبد الله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في عهد علي رضي الله عنه

- الظروف التي تولى فيها علي الخلافة
- اشتعال الخلاف، والشخوص الى البصرة
- أثر ابن سبأ وأعوانه في معركة الجمل

الظروف التي تولى فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة :

لم تكن ظروف تولي علي للخلافة ملائمة، فالخليفة عثمان رضي الله عنه يستشهد في أجواء الفتنة وقد اقتحم الثوار عليه داره، والأمة كلها تحتلب دما ـ بقتل الخليفة ـ بدل أن تحتلب لبنا، كما يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[1].

فالثوار يمسكون بزمام المدينة، ويتولون الصلاة فيها[2].

والمسلمون تفجعهم الحادثة، حتى ان عليا وطلحة والزبير (رضي الله عنهم) خرجوا ـ بعد بلوغهم الخبر ـ وقد ذهبت عقولهم، كما يقول الذهبي[3].

وتطالعنا الروايات التاريخية، والأخبار المتفرقة وهي تجسّد هذه الظروف، وتعكس حرص المسلمين على الوحدة، وجمع الكلمة، بدءا باختيار الخليفة، فكيف تم اختيار علي للخلافة ؟.

نقل « ابن سعد » البيعة لعلي في اليوم الثاني من قتل عثمان، وقد بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص.. وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم[4].

ولم يستثن اليعقوبي[5] من البيعة لعلي سوى ثلاثة نفر من قريش : مروان بن الحكم وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة[6].

وفي تاريخ الطبري : أن المدينة بقيت بعد قتل الخليفة (عثمان) رضي الله عنه، خمسة أيام بأيدي الثوار، الذين كانوا يلتمسون اجابة علي أو طلحة أو الزبير للقيام بأمر الخلافة، فيتبرأ هؤلاء منهم ومن صنيعهم، ثم يقصدون سعد بن أبي وقاص فيردهم، وكذلك يفعل عبد الله ابن عمر[7].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢٣٧/٦

(٢) تاريخ الطبري ج ٤٣٢/٤

(٣) تاريخ الاسلام ج ١٣٩/٢، العبر ج ٣٦/١

(٤) الطبقات ج ٣١/٣

(٥) أحمد بن اسحاق بن جعفر، مؤرخ، جغرافي، من أهل بغداد، شيعي المذهب، كان جده من موالي المنصور العباسي، من مصنفاته : البلدان، أخبار الأمم السالفة.. اختلف في سنة وفاته، فقيل توفي سنة ٢٨٤ هـ وقيل ٢٧٨ هـ ورجح الزركلي انها كانت سنة ٢٩٢ هـ (الاعلام ٩٠/١، معجم المؤلفين ١٦١/١)

(٦) تاريخ اليعقوبي (بيروت سنة ١٣٧٩) ج ١٧٨/٢

(٧) تاريخ الطبري ج ٤٣٢/٤ ـ عن سيف بن عمر عن شيوخه

ثم يأتي الناس « عليا » وهو في سوق المدينة ليبايعوه، فيطلب منهم المهلة حتى يجتمع الناس ويتشاوروا، فيشتدون عليه فتبايعه العامّة[1].

والذي يتضح أن عليا لم يطلب من الناس البيعة، ولم يكن حريصا على الخلافة ــ مع أحقيته لها ــ وذلك أنه كان يدرك ظروف الأمة اذ يقول : « دعوني والتمسوا غيري، فإنَّا مستقبلون أمرا له وجوه، وله ألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول »[2].

ويروى أنه كان يقول : وليت وأنا كاره، ولولا خشية على الدين لم أجبهم[3].

ولكن المسلمين كانوا يدركون خطورة الوضع، والحاجة الى تعيين خليفة يتولى أمر المسلمين فيجتمع اليه وجوه المهاجرين والأنصار، ويقسمون عليه، ويناشدونه في حفظ بقية الأمة وصيانة دار الهجرة، فيدخل في ذلك بعد شدّة مغلباً المصلحة[4].

وبقدر ما كان علي رضي الله عنه يتوخى بيعة الناس له في تلك الظروف فقد رغب بعد ذلك ــ وبعذ أن أحس بالحاجة ــ الى أن تكون بيعته عن رضا واجماع من المسلمين ولا سيما أهل السابقة فيهم وأصحاب الحل والعقد، فقد ذكر ابن حبان[5] أن الناس هرعوا الى علي بعد مقتل عثمان لمبايعته، فقال ليس ذلك اليكم، وانما هو لاهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة، فلم يبق أحد من أولئك إلا أتى اليه، فطلب أن تكون على ملأ من الناس فخرج الى المسجد فبايعوه[6].

---

(١) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٣ عن أبي الحسن المدائني.

(٢) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٤ عن سيف عن شيوخه.

(٣) المصبدر نفسه ج ٤/٤٩١ عن عاصم بن كليب عن أبيه.

(٤) الباقلاني : التمهيد.. ص ٢٣٠

(٥) هو محمد بن حبان التميمي البستي (أبو حاتم) محدث، حافظ، مؤرخ، فقيه، لغوي، له مشاركة في الطب والنجوم، ولد في بست من بلاد سجستان، وولي قضاء سمرقند، وفقه أهلها، ثم رجع الى بلاده سجستان، وتوفي بها سنة ٣٥٤، له المسند الصحيح في الحديث، ومعرفة المجروحين من المحدثين، وعلل أوهام أصحاب التواريخ.. الخ (الاعلام ٦/٣٠٦، معجم المؤلفين ٩/١٧٣)

(٦) ابن حيان : الثقات (دائرة المعارف العثمانية، ط. الأولى ١٣٩٥) ج ٢/٢٦٧، ٢٦٨.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : اني لمتخوف أن يتكلم بعض السفهاء، أو بعض من قتل أباه أو أخاه في مغازى رسول الله ﷺ فيقول : لا حاجة لنا في علي فيمتنع عن البيعة، قال : فلم يتكلم أحد الا بالتسليم والرضا[1].

وهكذا تتضح رغبة الناس في البيعة لعلي، واجماع الغالبية منهم على ذلك، ولا سيما أصحاب الشأن منهم، حتى نقل ابن كثير مبايعة الأنصار كلهم، وعدم تخلف أحد منهم عن البيعة[2].

وقد مر معنا سعي وجوه المهاجرين والأنصار الى علي حتى بايعوه، كما مر معنا مجيء عامة الناس الى علي ليبايعوه، فقال ليس ذلك اليكم، وانما هو لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو الخليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا يطلبون بيعته..[3].

أما ابن خلدون فيقول : ان الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر.. الخ ما ذكر[4].

أما سعد (ابن أبي وقاص) فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[5] وغيرهم..

والذي يبدو أن في ذلك مبالغة من ابن خلدون ـ عليه رحمة الله ـ حيث جعل الذين لم يبايعوا قريبا من الذين دخلوا في البيعة لعلي، وهو أمر نطقت بخلافه النصوص التي أوردناها قبل ذلك. هذا فوق ما هو معلوم أن الامامة تنعقد بأحد أمرين، أحدهما اختيار أهل الحل والعقد[6].

(١) عبد الجبار الهمذاني : المغني في أبواب التوحيد والعدل (الدار المصرية للتأليف والترجمة) الجزء المتم للعشرين في الامامة ص ٦٥، ٦٦

(٢) البداية والنهاية ج ٢٤٧/٧

(٣) ابن حبان : الثقات ج ٢٦٧/٢، ٢٦٨

(٤) مقدمة بن خلدون ص ٢١٤

(٥) انظر : الطبقات الكبرى ج ٣١/٣، الثقات ج ٢٦٨/٢، دول الاسلام ج ١٤/١.

(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٦

واذا كان العلماء قد اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الامامة من أهل الحل والعقد، فان الماوردي يقول ان أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة قالوا إن أقل عدد تنعقد بهم الامامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة، مستدلين على ذلك ببيعة أبي بكر، واختيار عمر ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة[١].

أما اذا أجاب من اختير للخلافة، وانعقدت البيعة، فانه يلزم كافة الأمة الدخول في بيعة الامام والانقياد لطاعته[٢].

على ان ابن خلدون ـ نفسه ـ نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين[٣].

ويبقى بعد ذلك القول ببيعة طلحة والزبير، وقد قدمنا القول ببيعتهما، بل رغبتهما في ذلك، حتى قيل أن أول من بايع طلحة، ثم بايعه الزبير...[٤].

بل نقل أن عليا قال لطلحة والزبير ان شئتما بايعا، والا بايعتكما، قال : بل نبايعك[٥]، الى غير ذلك من النقولات، ولكن مع ذلك فهناك رأى بأن طلحة والزبير بايعا كارهين نقل ذلك ابن سعد[٦]، وجاء في احدى روايات الطبري[٧].

وقد دفع ذلك أبو بكر بن العربي في العواصم[٨]، وقال صاحب التمهيد : ان القول بأنهما بايعا مكرهين قد عورض من النقل بما يدفعه[٩].

ونشير هنا ـ فوق ما قدمناه ـ بعض ما نقل مما يدفع كون طلحة والزبير بايعا مكرهين..

---

(١) المصادر نفسه ص ٧

(٢) المصادر نفسه ص ٧

(٣) المقدمة ص ٢١٤

(٤) ابن حيان : الثقات ج ٢٦٨/٢

(٥) تاريخ أبي الفداء (دار الطباعة العامره / القسطنطينية) ج ١٧٩/١، ١٨٠

(٦) الطبقات ج ٣١/٣

(٧) تاريخ الطبري ج ٤٣٥/٤

(٨) العواصم من القواصم ص ١٤٣

(٩) الباقلاني، التمهيد ص ٢٣١

فعن محمد بن سيرين (١١٠هـ) أنه كان يقول : ان عليا جاء فقال لطلحة : ابسط يدك يا طلحة لأبايعك، فقال طلحة : أنت أحق وأنت أمير المؤمنين فابسط يدك، قال : فبسط يده فبايعه[١].

وفي رواية أخرى ــ عند الطبري ــ أن عليا بعد مقتل عثمان، دخل حائطا وأمر باغلاق الباب عليه فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا ــ وفيهم طلحة والزبير ــ فقالا يا علي : أبسط يدك، فبايعه طلحة والزبير[٢].

ويدفع « ابن العربي » أيضا أن يكون طلحة والزبير قد اشترطا على علي أن يقتل قتلة عثمان، بأن ذلك لا يصح في شرط البيعة[٣].

وهكذا يتضح للمتأمل صعوبة الظروف التي تولى فيها علي أمر المسلمين إذ كان الموقف في حسّ علي يتنازعه أمران : كراهيته لهذا الأمر مخافة ما بعده حتى قال لهم : أكون وزيرا خير من أكون أميرا[٤].

وفي الجانب الآخر كان يشغله مصلحة الأمة، ويخشى أن يضيع أمرها وهذا ما يجسّده الحوار الذي جرى بين علي وابنه الحسن، حينما قال الحسن : اني نهيتك عن أشياء فعصيتني فذكر منها : اني نهيتك عن مبايعة الناس ــ بعد قتل عثمان ــ حتى يبعث اليك كل أهل مصر بيعتهم، فيجيء رد علي على ابنه (رضي الله عنهما) اني كرهت أن يضيع هذا الأمر ![٥].

اشتعال الخلاف :

على الرغم من تشابك الظروف التي تولى فيها علي الخلافة ــ وقد سبق البيان ــ فقد مرت المدينة بعد هذا بظروف هادئة، صار الأمر فيها أمر أهل المدينة، وكانوا فيها كما كانوا من قبل، وتفرقوا الى منازلهم، كما حكى ذلك أبو جعفر الطبري[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٤/٤٣٤
(٢) المصدر نفسه ج ٤/٤٢٨
(٣) العواصم من القواصم ص ١٤٥، ٤٦
(٤) تاريخ الطبري ج ٤/٤٢٧
(٥) البداية والنهاية ج ٧/٢٥٥
(٦) تاريخ الطبري ج ٤/٤٣٥

الا أن هذا الهدوء لم يكن ليستقر، أو لتطول فترته على الأقل، والطبري يشير الى أن ذلك يرجع الى مكان النّزاع والغوغاء فيهم..[1].

فبعد أن استتبّ الأمر لعلي في البيعة، وذلك في يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة[2].

خطب في الناس، وكان من بين الأشياء التي ابان عنها : حرمات الله التي حرمها، ولا سيما حرمة المسلم، وأن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، وأن أذى المسلم لا يحل الا بما يجب..[3].

وكأنه رضي الله عنه يشير ــ من بعيد ــ الى قتل عثمان، وان قتلته استحلوا دمه، وآذوه بما لا يجب ومن المعلوم أن بالمدينة من قتلة عثمان، بل فيهم من حضر خطبة علي، وكأنهم استشكلوا بعض ما ورد فيها، أو فهموا بعضا من سياسة علي من خلالها، فأرادوا أن ينبهوا عليا الى شوكتهم فيحتاط في أمرهم ــ ولذلك قال قائلهم بعد فراغ علي من خطبته :

خذها اليك واحذراً أبا حسن ... انا نمر الأمر امرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن ... بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشّطن ... حتى يمرّنّ على غير عنن[4]

واذا كان هذا شأن السبئية مع علي، فالأمر لم يكن أمرهم وحدهم « فبنو أمية » هربوا من المدينة ولم يبق الا من لم يطق الهرب[5].

وقريش هي الأخرى تشكل من مخاوف علي، فيشتد على رجالها، ويحول بينهم وبين الخروج على حال..[6].

---

(١) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٥
(٢) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٦
(٣) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٦
(٤) الطبري ج ٤/٤٣٧
(٥) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٣
(٦) المصدر نفسه ج ٤/٤٣٧

ويزيد من شدة الأمر امتناع الأعراب عن اللحوق بمياههم والخروج عن المدينة، وقد طلب علي منهم ذلك وقال : يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم فأبت « السبئية » وأطاعهم الأعراب (١).

أما « معاوية »، رضي الله عنه، ومن كان حوله من أهل الشام فلم يكونوا ـ منذ البداية ـ مؤيدين لعلي في الخلافة، وكان رأيهم أن يقتص من قتلة عثمان أولا، ثم يكون اختيار الخليفة بعد ذلك (٢).

وتبدأ قصتهم منذ اللحظة التي حمل فيها النعمان بن بشير (٣) رضي الله عنه، قميص عثمان. وهو ملطخ بدمائه، ومعه أصابع نائله (زوج عثمان) التي قطعت وهي تدافع عن عثمان ووضع القميص على المنبر في الشام، ليراه الناس والأصابع معلقة في كم القميص وندب معاوية الناس للأخذ بالثأر والقصاص من قتلة عثمان، وقام مع معاوية جماعة من الصحابة في هذا الشأن.. (٤).

وحينما جاء رسول معاوية الى علي، وأبلغه حال أهل الشام قاطبة وتأكيدهم على الانتقام من قتلة عثمان صاحت السبئية : « هذا الكلب رسول الكلاب !! اقتلوه ! » (٥).
على أن الأمر لم يكن أمر « السبئية » وحدهم، ولم يكن الخلاف مع بني أمية (سواء من كان بالمدينة، أو في الشام) وانما الذي أشعل الخلاف ما كان من طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما، ومن لحق بهما وكان يرى رأيهما.. ويروي لنا الطبري أسباب الخلاف ونتائجه ـــ ونظرا لأهمية الرواية الواردة في ذلك ودقة تصويرها فسننقلها كاملة ـــ فيقول :

---

(١) المصدر نفسه ج ٤٣٨/٤

(٢) يشير ابن حجر الى أصل الخلاف فيقول : أما علي فكان يرى أن يدخلوا في الطاعة أولا، ثم يقوم ولي عثمان فيدعي به عنده، ثم يعمل معه ما يوجبه حكم الشريعة، وكان من خالفه يقول : تتبعهم واقتلهم فيرى (علي) أن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينه لا يتجه، وكل من الفريقين مجتهد. (انظر : الاصابة ج ٥٠٨/٢).

(٣) هو النعمان بن بشير بن ثعلبه الانصاري الخزرجي، له ولأبويه صحبه، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بثمان سنين وسبعة أشهر، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قول، شهد صفين مع معاوية، وولي قضاء دمشق.. وغيرها، كانت وفاته سنة ٥٦ هـ بعد مواقعة مروان بن الحكم (أسد الغابة ج ٣٢٦/٥، الاصابة ٥٥٩/٣، الاعلام ٤/٩)

(٤) البداية والنهاية ج ٢٤٨/٧

(٥) ابن الأثير، الكامل ج ٢٠٣/٣

« اجتمع الى علي بعد ما دخل بيته طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا : يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود، وان هؤلاء القوم (يشيرون الى السبئية وانصارهم) قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم فقال علي : يا إخوتاه : اني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ! هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت اليهم اعرابكم : وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا [1] فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون ؟ قالوا : لا، قال : فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه ان شاء الله، ان هذا الأمر أمر جاهلية، وان لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا، ان الناس من هذا الأمر (وكأنه يشير الى القصاص من قتلة عثمان) ان حرّك على أمور : فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا[2] .

والذي يبدوا ان هذا التحليل من علي للموقف هو الذي بنى عليه سياسته تجاه قتلة عثمان ـ أخذهم بالحكمة، وتحين الفرصة المناسبة ـ، ولكن ذلك لم يكن مقنعا لجميع من حضر الحوار، ولذلك قال بعضهم :

« نقضي الذي علينا ولا نؤخره، والله ان عليا لمستغن برأيه عنا.. »[3] ثم يسمع علي بمقالتهم، ويرغب أن يتنزل لرأيهم، ليريهم أنه هو واياهم لا يستطيعون ـ في ظل تلك الظروف ـ أن يصنعوا شيئا.. فينادي : برئت الذمة من عبد لم يرجع الى مواليه فتذامرت السبئية والأعراب[*] وقالوا : لنا غدا مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء[4].

وفي اليوم الثالث خرج علي على الناس وقال لهم : أخرجوا عنكم الأعراب، وقال يا معشر الأعراب : الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية واطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته، ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي ﷺ فقال : دونكم ثأركم فاقتلوه، فقالوا : عشوا عن ذلك (أي كأنهم اعرضوا عنه) فقال لهم علي : هم والله بعد اليوم أعشى وآبى ثم قال :

---

(١) عند ابن كثير : « فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وعون » البداية والنهاية ج ٢٤٨/٧.

(٢) الطبري ج ٤٣٧/٤ ـ عن محمد بن عبد الله بن نويره وطلحة الأعلم عن سيف

(٣) المصدر نفسه ج ٤٣٧/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٤٣٨/٤

(*) يبدو أن هناك استغلالاً من السبئية لهؤلاء الاعراب، كما يبدو أيضا أن هناك رغبة مشتركة بين الطرفين في خلق أجواء الاضطراب..

لو أن قومـــي طاوعتنـــــي سراتهم أمـــرتهم أمـــرا يديخ الأعاديـــــا[1]

ويستمر الخلاف في الرأي، وعلى الرغم من بوادر الاقتناع التي بدت من طلحة والزبير على أثر تحليل علي للموقف وبيانه لما اختاره من سياسة وعلى وضوء مرئيات الواقع، الا أنهما كان يريان وسيلة أخرى يمكن عن طريقها ضرب هؤلاء الثوار، فطلحة يطلب من علي أن يأذن له بالذهاب الى البصرة ليجمع له من هناك الجنود، ويقول الزبير : دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك الا وأنا في خيل..، ولكن علي يتريث في ذلك ويقول لهما، حتى انظر في ذلك[2].

ولعل عليا كان يخشى الفتنة، وتحول الأمر الى حرب أهلية داخل المدينة، ولذلك لم يجب طلحة والزبير الى مطلبهما وقال : حتى انظر في ذلك.

كما أن جملة العبارات الواردة (طلب الزبير من علي أن يفاجئه بالخيل لمحاصرة الثائرين، وطلب طلحة منه أن يأذن له بجمع الجنود من البصرة، ومقالة علي نفسه : انهم يملكوننا ولا نملكهم) كل ذلك يشير الى قوة الثوار وتسلطهم على المدينة حتى ليحتاج الأمر الى جيش لدفعهم.

إذاً كان محور الخلاف ـ كما أفهم ـ هو اختلاف الآراء حول الوسيلة التي يمكن عن طريقها جمع الأمة ودرء الفتنة ورد الأمر لصالحي المسلمين وأهل الحل والعقد منهم، وعلي ما كان يختلف مع بقية الصحابة حول فساد نوايا أولئك الثوار، وماكان يرغب بقاءهم في جيشه، لولا أن الظروف لم تكن تساعده[3]، ولكنه كما قال : انهم يملكوننا ولا نملكهم، وهو وان كان لم

---

(١) الطبري ٤٣٨/٤ ـــ وفي ابن الأثير : ولو أن قومي.. (الكامل ج ١٩٦/٣).

(٢) الطبري ج ٤٣٨/٤.

(٣) وإنما كان يكرههم كما يقول ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢٥٠/٧، بل روى عنه قوله : «اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر، (التمهيد الباقلاني ص ٢٣٦، وكان يقسم : والله ما قتلت عثمان ولا مالأت علي قتله (المصدر نفسه ص ٢٣٦)، والحقيقة أن الأمر لا يحتاج الى هذا التأكيد من علي، فمن ذا الذي يتهم عليا في شيء من ذلك ؟ ولكن انما ذكرت ذلك حينما اطلعت على رأي لأحد الكتاب المحدثين قال فيه : « .. ونرى من وجهة أخرى أن مجرد قبول علي في جيشه أعوان ابن سبأ الذين قتلوا عثمان في الوقت الذي يطالب فيه الناس بدمه، كاف لأن تحوم حوله الشبهة التي تبرز اتهامه بالاشتراك في دمه. !! »

(حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٣٦٧/١).

يخرجهم عن عسكره، فقد كان يعاملهم بحذر، وينظر اليهم بشزر حتى قال ابن الأثير : انه لم يول أحدا منهم اثناء استعداده للخروج للشام(١).

وتفاقم الأمر، واختلفت الاجتهادات في الوسيلة لضرب الثوار، وأخيرا استأذن طلحة والزبير عليا في الذهاب للعمرة، فأذن لهما فلحقا بمكة(٢)، وهناك التقيا بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي كانت تقيم في مكة مع بقية ازواج النبي ﷺ(٣).

فقد كان الأمر الجامع لهؤلاء شعورهم بالتفريط في أمر عثمان..

فقد أخرج الطبري من طريق عاصم بن كليب(٤) عن أبيه قال : جاءنا الخبر ونحن راجعون من غزاة لنا، فلما انتهينا الى البصرة لم نلبث الا قليلا حتى قيل : هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين، فراع الناس ذلك، وسألوهم عن سبب مسيرهم، فذكروا أنهم خرجوا غضبا لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه(٥).

خروج عائشة وطلحة والزبير الى البصرة :

لم يقدر للخلاف أن ينتهي في المدينة، أو حتى عند الخروج الى مكة وانما شاءت ارادة الله أن يتمخض اشتعال الخلاف عن خروج عائشة وطلحة والزبير الى البصرة...

أما عائشة فقد كانت بمكة لما قتل عثمان، ولما بلغها الخبر قامت في الناس تحضهم على القيام بطلب دم عثمان، وطاوعوها على ذلك(٦).

---

(١) الكامل ج ٣/٢٠٤، وذلك قبيل خروجه للبصرة.

(٢) الطبري ج ٤/٤٤٤

(٣) كانت عائشة وبقية أزواج النبي ﷺ، ورضي الله عن أمهات المؤمنين، قد خرجن من المدينة الى مكة قبيل قتل الخليفة عثمان(رضي الله عنه)، فرارا من الفتنة، كما قال ابن كثير (البداية والنهاية ج ٧/٢٥٠) ولعل من تلك الفتن ما تعرضت له أم المؤمنين (أم حبيبة) رضي الله عنها من اهانة، فقد ضرب البغاة وجه بغلتها، وقطعوا أحبلها بالسيف، وهي تحمل الماء لعثمان بعد أن منع عنه، وعلى اثر ذلك تجهزت عائشة للخروج للحج (تاريخ الطبري ج ٤/٣٨٦).

(٤) هو عاصم بن كليب بن شهاب الجرمي الكوفي، صدوق، رمي بالارجاء قال أبو حاتم : صالح، وقال غيره : كان أفضل أهل زمانه (انظر : الكاشف ج ٢/٥٢، تقريب التهذيب ج ١/٣٨٥)

وأبوه : كليب بن شهاب الجرمي (بفتح أوله وسكون ثانيه) نسبة الى قبيلة جرم، قال عنه الذهبي، وثق، وقال ابن حجر : صدوق من الثانية، ووهم من عده في الصحابة (الكاشف ج ٣/١٠، التقريب ج ٢/١٣٦).

(٥) تاريخ الطبري ج ٤/٤٩١

(٦) العيني : عمدة القارئ (شرح صحيح البخاري) ٢٤/٢٠٥

أما طلحة والزبير فقد كانوا في المدينة، ولما كثر الاختلاف فيها استأذنا عليا في العمرة، فقال لهما : ما العمرة تريدان، وذكر بيعتهما له ثم قال : قد أذنت لكما فاذهبا راشدين، فارتحلا الى مكة، واجتمعا بعائشة ومن كان معها[١].

وفي مكة كانت المشورة في جهة الخروج، فالزبير يقول : عليكم بالشام فان بها الأموال والرجال، وقال عبد الله بن عامر[٢] عليكم بالبصرة فان لي بها صنائع، ولاهلها في « طلحة » هوى، أما الشام فقد كفاكم معاوية أمرها، أما عائشة فكانت ترى الخروج الى المدينة، الا أنه قيل لها : ان من معك لا يقرنون لتلك الغوغاء، واخيرا استقر امرهم على الذهاب الى البصرة[٣].

ونادى منادي القوم : ان ام المؤمنين، وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة، فمن كان يريد اعزاز الإسلام وقتال المحلّين[*]، والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن عنده مركب أو جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة، سوى من كان له مركب[٤].

وقدم طلحة والزبير وعائشة البصرة ــ بأعلى المربد ــ وبها عثمان بن حنيف الأنصاري، واليا لعلي عليها[٥].

ثم سار طلحة والزبير ومن معهم حتى أتوا الزابوقة[٦] فخرج اليهم عثمان بن حنيف[٧]،

---

(١) ابن حبان، الثقات ج ٢٢٧/٢، ٢٢٨

(٢) هو ابن كريز الأموي، ولد بمكة وولي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩ هـ فتح سجستان، ومرو وغيرها، توفي عثمان وهو على البصرة وشهد الجمل مع عائشة ولم يحضر صفين، ولاه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم صرفه عنها، ثم اقام بالمدينة ومات بمكة سنة ٥٩ هـ (الاعلام ٢٢٨/٤).

(٣) الطبري ج ٤٥٠/٤

(*) كأنها بذلك تشير الى الذين أحلوا دم عثمان من السبئية، إذ أننا نجد نصا آخر يوضح هذه الحقيقة ففي الطبري أن طلحة والزبير وعائشة وآخرين كانوا معهم « أجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية.. » ج ٤٥٤/٤.

(٤) المصدر نفسه ج ٤٥١/٤ (عن محمد وطلحة عن سيف)

(٥) خليفة بن خياط ص ١٨٠، ١٨١.

(٦) موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل، وهي مدينة « المسامعة بنت ربيصره » بالبصرة، وفي أخبار القرامطة الزابوقه : موضع قريب الفلوجه من سواد الكوفة (معجم البلدان ج ١٢٥/٣.

(٧) أحد الصحابة وهو انصاري من الأوس، استعمله عمر على سواد الكوفة ثم ولاه علي على البصرة قبل وقعة الجمل، وحضر الجمل مع علي، ثم سكن الكوفة وتوفي في خلافة معاوية (التقريب ج ٧/٢، الاعلام ج ٣٦٥/٤)

فتواقفوا حتى زالت الشمس، ثم اصطلحوا، وكتبوا بينهم كتابا بالكف عن القتال، ولعثمان دار الامارة والمسجد، وبيت الملأ والكلأ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاؤوا ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقوم علي..[1].

وحينما أراد الزبير أن يرزق أصحابه من مدينة الرزق، (الزابوقة) جاءهم «حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من عبد القيس، وبكر بن وائل، فاقتتلوا، فقتل حكيم فيمن قتل[2].

وهذا كله كان قبل قدوم علي الى البصرة، أو معركة الجمل الأولى كما يسميها خليفة[3].

أما علي فحينما علم بمسير طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة الى البصرة، بعث عمار ابن ياسر وابنه الحسن الى الكوفة ليستنفرا أهلها، فصعدا منبرها وقال عمار : ان عائشة قد سارت الى البصرة، ووالله انها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم اياه تطيعون أم هي[4].

ثم خرج علي من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف[5].

وفي «ذى قار»[6] التقى علي مع عمار والحسن ومن قدم معهما من الكوفة وكانوا ما بين الستة آلاف الى السبعة آلاف، فسار علي بمن قدم من المدينة ومن أهل الكوفة الى البصرة وهم زهاء عشرة آلاف[7].

وفي البصرة كانت ملحمة الجمل التي قال عنها الزهرى[8] : ما شوهدت وقعة مثلها،

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣

(٣) المصدر نفسه ص ١٨١

(٤) صحيح البخاري ج ٥٦/٩.

(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام ج ١٤٨/٢، وسهل بن حنيف، أحد الصحابة ومن السابقين. شهد بدرا، وممن ثبت يوم أحد استخلفه علي على البصرة، بعد وقعة الجمل، وشهد معه صفين، توفي في الكوفة سنة ٣٨ هـ (الاعلام ج ٢٠٩/٣).

(٦) ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة، بينها وبين واسط (معجم البلدان ج ٢٩٣/٤)

(٧) تاريخ خليفة بن خياط : ص ١٨٤

(٨) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أحد الفقهاء والمحدثين، ومن أعلام التابعين، ومن أهل المدينة وهو أول من دون الحديث، وروى عنه جماعة من الأئمة أمثال : مالك بن أنس، وسفيان بن عيينه، وسفيان الثوري، قال فيه ابن حجر : متفق على جلالته واتقانه، مات سنة ١٢٤ هـ (وفيات الاعيان ١٧٧/٤، التقريب ٢٠٧/٢، الاعلام ٣١٧/٧)

فني فيها الكماة من فرسان مضر..[1].

فما هي أسباب خروج عائشة وطلحة والزبير ؟ ولماذا خرج علي في أثرهم ؟

يقول عمر بن شبه[2] : ان أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة[3]، ولا دعوا الى أحد منهم ليولوه الخلافة، وانما انكروا على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم[4].

ونستطيع أن نرصد عاملين أساسيين كان لهما أثر في خروج طلحة والزبير وأم المؤمنين الى البصرة :

١ ـ فهم من جانب آلمهم الحادث الذي انتهى بقتل عثمان، فأسقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد قصروا في حق عثمان، فخرجوا يطلبون دمه، بغير أمر علي[5].

لا سيما وأنهم قد رأوا قتلة عثمان في جيش علي، وصاروا من رؤوس الملأ[6]

ويصدق عليهم هذا حتى آخر لحظة من حياتهم، فمثلا طلحة كان يقول والسهام تتناوشه : اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى..[7].

ويقول : لقد كان مني في أمر عثمان مالأرى كفارته إلا سفك دمي، وتطلب دمه[8].

---

(١) عمدة القاري ج ٢٤/٢٠٥.

(٢) هو أبو زيد عمر بن شبه بن عبيدة البصري، النميري، أديب نحوي، لغوي اخباري، نشأ في البصرة، وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٢ هـ، نقل الذهبي توثيقه، وقال ابن حجر انه ذو تصانيف، نزل بغداد، وهو صدوق (الكاشف ٢/٣١٣، التقريب ٢/٥٧، معجم المؤلفين ٧/٢٨٦)

(٣) ربما يكون هذا صحيحا في عصر المؤلف (ابن شبه)، وقد يكون فيه من نقل غير ذلك، ولكنه انما قصد، من يُعتد بقولهم، وعلى أية حال فقد عثرنا على نص عند « الشيخ المفيد » من أعلام الشيعة، توفي في بداية القرن الخامس الهجري (٤١٣) ذكر فيه ان الباعث لخروج طلحة والزبير هو : « ..ما كانا عليه من الطمع في الولاية للأمر دونه، والتآمر على الناس بذلك !! » عن كتابة الجمل، أو النصرة في حروب البصرة ط. الثانية، المطبعة الحيدرية، النجف ص ٦١) وهو رأي ستكشف الصفحات المقبلة عن سقوطه.

(٤) أخبار البصرة، لعمر بن شبه (نقلا عن ابن حجر : فتح الباري، ج ١٣/٥٦).

(٥) الذهبي : العبر ج ٣٦/١ وانظر : المغازي النبوية لابن شهاب الزهري (دار الفكر) ص ١٥٣

(٦) الذهبي : دول الاسلام ج ١/١٤، ١٥

(٧) خليفة بن خياط ص ١٨٥، تاريخ الاسلام ج ٢/١٥٠

(٨) تاريخ الاسلام ج ٢/١٥٠

وعائشة تقول بعد قتل عثمان : ان هذا حدث عظيم، وأمر منكر، فانهضوا فيه الى اخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم[١].

أما الزبير، ففي رواية عند الطبري أن ركب عائشة وطلحة والزبير مرّ في طريقه على ملبح ابن عوف السلمي فسلّم على الزبير وقال : ياأبا عبد الله ما هذا ؟ قال عدي على أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقتل بلا تره ولا عذر، قال ومن ؟ قال الغوغاء..، قال فتريدون ماذا ؟ قال نهض الناس فيدرك بهذا الدم، لئلا يبطل فان في ابطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا، اذا لم يفطم الناس عن أمثاله لم يبق إمام الا قتله هذا الضرب[٢]..

بل لقد كان علي نفسه يؤكد طلبهم بدم عثمان، ويرى لهم الحجة في ذلك، فقد سأله أحد الأفراد أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم ـ يعني دم عثمان ـ ؟ فيجيب : نعم !، ثم يقول له : وترى لك حجة بتأخيرك ذلك ؟ فيقول : نعم..[٣].

٢ ـ وفي الجانب الآخر كان خروجهم بقصد « الصلح » وتهدئة ثائرة الناس كما جاءت بذلك الأخبار(*)، فبعد أن استقر أمر طلحة والزبير ومن معهم على الشخوص الى البصرة، جاؤوا الى عائشة، وقالوا لها : يا أم المؤمنين : دعي المدينة ـ وكانت تريد الشخوص لها ـ فان من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها واشخصي معنا الى البصرة.. فان أصلح الله الأمر كان الذي تريدين ![٤] ونقل ابن شهاب الزهري عن عائشة قولها « إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً »[٥].

(١) تاريخ الطبري ج ٤/٤٥٠

(٢) عن يزيد بن معن السلمي ج ٤/٤٦١.

(٣) الباقلاني : التمهيد ص ٢٣٧.

(*) ليس هناك من تعارض بين الرغبة في الصلح (وهو أمر يتفق عليه الجانبان، علي من جانب وطلحة والزبير في الجانب الآخر) وبين حرص طلحة والزبير وعائشة على المسارعة في ضرب الثوار، والمطالبة بدم عثمان، وهو الأمر الذي كان علي يؤثر التريث فيه في ظروفه الأولى لتولي الخلافة.
بل ان هذا الجانب (الاصلاح) مكمل للجانب الأول (الثأر لعثمان) ومتمم له وهو يترجم العرض الذي عرضه طلحة والزبير على علي في المدينة بأن يأذن لهما في الذهاب الى البصرة والكوفة ليأتياه من هناك بالجنود والخيل، فيتريث علي وهو يقول وحتى انظر في ذلك » (الطبري ج ٤/٤٣٨)
ويؤكد ذلك أيضا قولهم حين عزموا على الخروج : « فمن كان يريد اعزاز الاسلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة.. » (الطبري ج ٤/٤٥١).

(٤) الطبري ج ٤/٤٥٠، ٤٥١ ـ عن محمد بن نويره، وطلحة الأعلم..

(٥) المغازي النبوية ص ١٥٤

ثم تتجهز للخروج الى البصرة، وتمر في طريقها بالحوأب[1] فتسمع نباح الكلاب فتقول : ما أظنني الا راجعة، ان رسول الله ﷺ قال : « أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب »[2] فيقول لها الزبير : « ترجعين ! على الله أن يصلح بك بين الناس.. »[3].

ولما قدمت البصرة، وبلغ عثمان بن حنيف ـ والي البصرة من قبل علي ـ قدومها ومن معها، أرسل اليها من يأتيه بخبرها، وسبب خروجها، فكان من جوابها : ان الغوغاء من أهل الأمصار، ونزّاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ، وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوه من قتل المسلمين بلا ترة، ولا عـذر... فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في اصلاح هذا، وقرأت : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقه أو معروف أو اصلاح بين الناس »[4] ننهض في الاصلاح ممن أمر الله عز وجل، وأمر رسوله ﷺ الصغير والكبير، والذكر والانثى، فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[5].

وفي الثقات : أن عائشة كتبت الى أبي موسى الأشعري وهو بالكوفة : انه قد كان من أمر عثمان ما قد علمت، وقد خرجت « مصلحة » بين الناس، فمر من قبلكم بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية، حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[6].

---

(١) الحوأب ـــ بالفتح، ثم السكون، وهمزة مفتوحة، وباء موحدة : موضع في طريق البصرة، وهو من مياه العرب، وقيل سمي بذلك نسبة إلى الحوأب بنت كلب بن وبره (معجم البلدان ج ٣١٤/٢)

(٢) هذا الحديث قال فيه ابن كثير : اسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجوه (البداية والنهاية ج ٢٤١/٦) وقال عنه الذهبي : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه (سير اعلام النبلاء ج ١٢٥/٢) ويقول ابن حجر : وأخرج هذا أحمد، وأبو يعلى والبزار، وصححه ابن حبان والحاكم، وسنده على شرط الصحيح (فتح الباري ٥٥/١٣) أما استنكار « ابن العربي » لحديث الحوأب، وتعليق « الخطيب » بأن ذلك ليس له موضع في دواوين السنة والمعتبرة (العواصم ص ١٦١) فهو يحتاج الى نظر !!

(٣) البداية والنهاية ج ٢٤٠/٦، ٢٤١

(٤) النساء ١١٤

(٥) الطبري ج ٤٦١/٤، ٤٦٢ ـــ عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم.

(٦) ابن حبن : الثقات ج ٢٨٢/٢

ويؤكد ابن العربي على هذا المعنى صراحة فيقول : « وأما خروجها الى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها، وشكوا اليها ما صاروا اليه من عظيم الفتنة، وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الاصلاح، وطمعوا في الاستحياء منها اذا وقفت الى الخلق، وظنت هي ذلك فخرجت مقتدية بالله في قوله : « لا خير في كثير من نَجواهم.. الآية » «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »...[١].

وحينما وصل علي الى البصرة، جاء الى عائشة فقال لها : غفر الله لك !، قالت : ولك ! ما أردت الا الاصلاح !![٢].

ولما انتدب علي القعقاع بن عمرو[٣] للاصلاح مع أصحاب الجمل ــ كما سيأتي ــ بدأ بعائشة، فسألها عن سبب خروجها ؟ فأجابت : الاصلاح بين الناس[٤].

بعد هذا كله ــ وفيما يخص عائشة ــ رضي الله عنها ــ يتبين الشطط في ما وجه به صاحب كتاب « الجمل » من الشيعة خروج عائشة على علي، حينما قال بأن خروجها بسبب ما كانت تكنّه لعلي رضي الله عنه من كره على اثر حادثة الإفك !![٥].

وهو يؤكد ذلك الكره من عائشة لعلي فيقول : ان الناعي حينما جاء الى أهل المدينة بقتل علي وسمعت عائشة بذلك استبشرت وقالت متمثلة :

فان يك ناعيــا فلقــد نعــاه لنــا من ليس في فيــه التــراب[٦]

(١) أحكام القرآن ج ١٥٣٦/٣

(٢) شذرات الذهب ج ٤٢/١

(٣) هو القعقاع بن عمرو التميمي، أخو عاصم (قائد كتيبة الأهوال) ذكره سيف بن عمر في الصحابة، وروى عنه أنه قال : شهدت وفاة الرسول ﷺ، وقال ابن عساكر : يقال ان له صحبه، وهو أحد الشجعان الفرسان حتى روى عن أبي بكر انه قال : صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل وله بلاء في القادسية، شهد الجمل مع علي وكان رسوله الى طلحة والزبير وأم المؤمنين مصلحا. وهو عند العسكري من مختلقات سيف بن عمر، لا شخصا حقيقيا ! (أسد الغابة ٤٠٩/٤، الاصابة ٢٣٩/٣، الاعلام ٤٨/٦، عبد الله بن سبأ ص ١٠٧)

(٤) الطبري ج ٤٨٨/٤ ــ عن محمد وطلحة.

(٥) الشيخ المفيد : الجمل : ص ٦٥، ٦٦، أما حادثة الإفك فقال عنها ان الرسول ﷺ استشار ــ في حادثة الافك على عائشة ــ أسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب، أما أسامة فقال : لا تظن يا رسول الله إلا خيرا فإن المرأة مؤمنة، وصفوان عبد صالح، أما علي فقال : يا رسول الله النساء عليك كثيرة، سل عن الخبر بريره (خادمتها) وابحث عن سر خبرها منها، فقال له رسول الله ﷺ فتول أنت يا علي تقريرها، فقطع لها خشبا من النخل وخلا بها يسألها ويتهددها ويرهبها، حتى قالت : لاجرم اني لا أحب عليا أبدا !! (نفس المرجع ص ٦٥، ٦٦)

(٦) المرجع نفسه ص ٦٧

بل لقد سجدت شكرا لله على قتله ثم رفعت رأسها وهي تقول : (على حد زعمه)

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر !![1]

لكن هل تقبل أم المؤمنين ــ وهي ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ــ أن تسفك دماء المسلمين لموجدة في نفسها وجدتها على علي منذ عشرات السنين ؟ أم الأولى أن يقال ان الرافضة هم الذين يجدون في أنفسهم على عائشة فيفترون عليها ؟! الحق ان عائشة انما قصدت الاصلاح.

لم يكن هذا الاصلاح هدف عائشة وحدها، فقد أخرج الحافظ البيهقي[2] أن عليا لما دنى هو وأصحابه من طلحة والزبير، نادى بالزبير فجاء اليه، فذكّره حديث رسول الله ﷺ : لتقاتلنه وأنت ظالم له ! فذكره الزبير وقال : لقد أنسيته، ثم عزم على الرجوع فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك ؟ قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ وإني راجع، فقال له ابنه :

وهل جئت للقتال ؟ انما جئت تصلح بين الناس، ويصلح الله هذا الأمر..[3].

وبالجملة فعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم انما خرجوا قاصدين الصلح وجمع الكلمة، وأما ما رافق ذلك وما أعقبه من أمور فهي محض اجتهاد منهم، وهم من أهل الفقه والرأي، كما يقول الباقلاني[4].

وأبو بكر بن العربي بعد أن ساق احتمالات في أسباب خروجهم الى البصرة قال :

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٨.

(٢) هو أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، الخراساني الشافعي، محدث فيقه، غلب عليه الحديث ورحل في طلبه، وصنف فيه كثيرا، ومن مصنفاته : السنن الكبرى، دلائل النبوه، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي في نيسابور سنة ٤٥٨ هـ (معجم المؤلفين ٢٦/١).

(٣) عن ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢٤٢/٧.

(٤) التمهيد ص ٢٣٢، وهذا لا يعني عدم وقوع الخطأ منهم، فهم بشر وغير معصومين ولكن المقصود دفع قصد الخطأ منهم والا فقد أشار بعض العلماء الى تصويب علي ومن كان على رأيه، وتخطئه اجتهاد الفريق الآخر.
يقول الامام النووي (رحمه الله : « ..واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخله في هذا الوعيد (يعني قوله ﷺ : اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار..)، ومذهب أهل السنة والحق احسان الظن بهم والامساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع الى الله، وكان بعضهم مصيبا، وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا اثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة..» (مسلم : شرح النووي ١١/١٨).

« ويمكن أنهم خرجوا في جمع طوائف المسلمين، وضم نشرهم، وردهم الى قانون واحد، حتى لا يضطربوا فيقتلوا، وهذا هو الصحيح لا شيء سواه وبذلك وردت صحاح الأخبار »[1].

واذا كان هذا كله في جانب طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة (رضي الله تعالى عنهم) ومن سار على رأيهم فلم يكن علي (رضي الله عنه) ومن كان على رأيه من جيشه يهدف من مسيره اليهم الا الاصلاح وجمع الكلمة..

جاء في تاريخ الطبري أن عليا (رضي الله عنه) لما أراد الخروج الى البصرة قام اليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال :

يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ؟ والى أين تذهب بنا ؟ فقال علي : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ان قبلوا منا وأجابونا اليه !![2].

وروى أيضا أن آخر قام اليه في هذا المسير فقال له : ما أنت صانع يا أمير المؤمنين اذا لقيت هؤلاء القوم ؟ قال : قد بان لنا ولهم أن الصلاح والكف أحوط، فان تابعوا فذلك وان ابوا الا القتال فصدع لا يلتئم..[3].

ولما قدم على علي عامر بن مطر الشيباني قادما من الكوفة سأله علي عما وراءه ؟ فأخبره، ثم سأله عن أبي موسى الأشعري ؟ فقال : ان أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وان أردت القتال فهو ليس بصاحب ذاك، فقال علي عند ذلك : والله ما أريد الا الاصلاح حتى يردّ علينا[4].

وحينما قدم عليه وفد الكوفة ــ بذى قار ــ قال لهم : ياأهل الكوفة أنتم لقيتم ملوك العجم فغضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا اخواننا من أهل البصرة، فان يرجعوا فذاك الذي نريده، وأن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤونا بالظلم ولن ندع أمرا فيه صلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله تعالى !![5].

---

(١) العواصم ص ١٥١
(٢) الطبري ج ٤/٤٧١ ــ عن محمد وطلحة عن سيف.
(٣) الباقلاني، التمهيد ص ٢٣٧
(٤) الطبري ج ٤/٤٨٠ ــ عن محمد وطلحة
(٥) البداية والنهاية ج ٢٥٨/٧

ويحدثنا الذهبي عن سبب خروج علي فيقول : إنه لما علم بخروج الصحابة خشي أن ينتفض الناس فسار على أثرهم الى البصرة[1].

وفي شذرات الذهب أن أهل البصرة اجتمعوا على علي ـ بعد وصوله اليها ـ فحاول صلحهم، واجتماع الكلمة، فسعى الساعون بذلك[2].

ولم يكن هذا منطق علي وحده، فقد روى عن ابنه « الحسن » أنه كان يقسم : والله ما أردنا الا الاصلاح[3].

وبهذا القصد خرجوا للبصرة، وتحقيقا لهذا الهدف كان اللقاء مع عائشة والزبير وطلحة وعلى ضوء ذلك نفهم الكلمات المروية عن الحسن: « أيها الناس : أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا الى اخوانكم، فانه سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم.. »[4].

بل ان غالبية الناس من الجيشين كانت ترغب الاصلاح، وما كانت تشك فيه فربيعة، ومضر، وأهل اليمن ـ وهم موزعون بين الطائفتين[5] ما كن أحد منهم يشك في الصلح، ولقد ردوا « حكيم بن جبله » و « الأشتر النخعي » الى علي، وقالوا : انا على ما فارقنا عليه القعقاع من الصلح فاقدم، ثم يقدم علي فتنزل القبائل على بعض، مضر الى مضر وربيعة الى ربيعة، واليمن الى اليمن، ويكون بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج الى بعض وهم جميعا لا يشكون في الصلح، ولا يذكرون ولا ينوون الا اياه..[6].

---

(١) دول الاسلام ج ١/١٥

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج ١/٤٢

(٣) الطبري ج ٤/٤٨٣، عن محمد بن نويره، وطلحة الأعلم.

(٤) الطبري ج ٤/٤٥٨ ـ عن محمد وطلحة عن سيف

(٥) كما في تاريخ خليفة ص ١٨٤، والطبري ج ٤/٥٠٥، ٥٢٨

(٦) الطبري ج ٤/٥٠٥.

أثر ابن سبأ وأعوانه في وقعة الجمل :

ذهب ضحية وقعة الجمل « طلحة » و « الزبير » وغيرهم كثير، حتى قال « قتادة »[1].

قتل يوم الجمل عشرون ألفا[2]. وقال غيره عشرة آلاف[3] وقيل سبعة آلاف[4] والأمر قد يعلل بالفتنة[5] إلا أن هذا التعليل وحده قد لا يكفي أو يشفي ومن ثم نحتاج إلى دراسة الأحداث، واستجماع النصوص لمعرفة الحقيقة من ورائها وإدراك العوامل المؤثرة فيها..

جاء في احدى روايات الطبري الخبر الآتي :

لما كان علي بذى قار، واجتمع عنده أهل الكوفة، كان من رؤسائهم « القعقاع ابن عمرو التيمي » وهو الذي بعثه علي رسولا الى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما الى الألفة والجماعة، ويعظم عليهم الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع الى البصرة، فبدأ بعائشة، فقال : أي أماه ما أقدمك هذا البلد ؟ فقالت : أي بنى الاصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث الى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع : اني سألت ام المؤمنين ما أقدمها، فقالت : الاصلاح، فقالا : ونحن كذلك، قال فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن، ولئن أنكرناه لا نصطلحن، قالا : قتلة عثمان فان هذا ان

---

(١) هو أبو الخطاب قتاده بن دعامة بن عزيز السدوسي، البصري، أحد التابعين، مفسر، حافظ ضرير، أكمه، وكان مع علمه بالحديث رأسا في العربية ومفردات اللغة، وأيام العرب، والنسب حتى قال فيه الامام أحمد : قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان يرى القدر حتى قال أبو عمرو بن العلاء : حسبك قتاده لولا كلامه في القدر ولد سنة ستين للهجرة وكانت وفاته سنة ١١٧ هـ.

انظر : (وفيات الاعيان ج ٨٥/٤، الاعلام للزركلي ج ٢٧/٦)

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٦

(٣) تاريخ الطبري ج ٥٣٩/٤

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٦

(٥) لاسيما وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ــ وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة » انظر صحيح البخاري (فتح الباري ج ٨١/١٣، مسلم شرح النووي ج ١٣/١٨ ــ واللفظ لمسلم وقد جزم ابن كثير ــ عليه رحمة الله ــ أن احدى هاتين الطائفتين أصحاب معركة الجمل.

انظر البداية والنهاية ج ٢٤٣/٦.

ترك كان تركا للقرآن[1] فقال : قتلتما قتلته من أهل البصرة[2] وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم الى الاستقامة منكم اليوم[3]، وانما أخّر علي قتله عثمان ليتمكن منهم، فان الكلمة في جميع الأمصار مختلفة.. فقالت عائشة : فماذا تقول أنت ؟ قال أقول : ان هذا الأمر الذي وقع دوائره التسكين.. فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء، ولا تعرّضوا له فيصرعنا الله واياكم..

وبعد أن فرغ القعقاع من كلامه قالوا : قد أصبت واحسنت فارجع فان قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح الأمر، فرجع الى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه !![4].

والذين كانوا يكرهون الصلح هم عبد الله بن سبأ وجماعته، وهؤلاء كانوا في جيش علي بدليل اعتراضهم على علي حين عزم على الرحيل قائلا : « ألا واني راحل غدا فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عن أنفسهم »[5] كما سيأتي بيانه ويؤكد الطبري هذا الوجود في خبر آخر مشيرا الى أن عبد الله ابن

---

(١) لعلهم يشيرون بذلك الى قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » المائدة، ٣٣.

(٢) يقصد بذلك قتل حكيم بن جبله ومن معه، فحكيم من أهل البصرة، وأحد العناصر المثيرة للفتنة فيها — كما في الفصل الثالث — بل لقد مر معنا خروجه في جماعة من بني عبد القيس، والتقائه بطلحة والزبير..

(٣) يوضح ابن كثير ما قصده القعقاع بقوله : يعني ان الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربا منها، فقتلهم لستمائة رجل منهم أخرج عليهم ستة آلاف.. (البداية والنهاية ٢٥٩/٧).

(٤) الطبري ج ٤٨٨/٤، ٤٨٩ عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم، البداية والنهاية ج ٢٥٩/٧ والحقيقة أن «القعقاع ابن عمر » خير من يختار لمثل هذه المهمة، فأسلوبه اللين، وهدفه تسكين الفتنة بين المسلمين، حتى قال الطبري « وأشرف القوم على الصلح — كما مر — وقال ابن الأثير : أرسل علي القعقاع إلى طلحة والزبير فعلمهما بكلام حسن حتى تقارب الناس الى الصلح (أسد الغابة ج ٤٠٩/٤) وتبدو اصابة رأي القعقاع حينما قال : ان هذا الأمر الذي وقع دوائره التسكين... الخ فكم تحمل هذه الكلمة من معنى لادراك حقيقة الفتنة بمعرفة أسبابها، وتحديد أفضل الوسائل لعلاجها..

(٥) تاريخ الطبري ج ٤٩٣/٤

سبأ كان أحد الرؤساء في « بني عبد القيس » الذين خرجوا مع علي[1].

وهنا قد يثار هذا السؤال : وكيف يرضى علي أن يكون هؤلاء في جيشه ؟.

وللاجابة على ذلك ننقل ما قاله الامام الطحاوي (٣٢١ هـ) في ذلك حيث يقول :

« وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من اظهاره كله.. »[2].

على أية حال فقد اجتمع من رؤوس الذين كرهوا الصلح جماعة ـ كان « ابن سبأ » هو المشير فيهم، واستغربوا رأي علي في قبول الصلح، ورفضه مشاركة الذين اسهموا في قتل عثمان للرحيل معهم، وقالوا : فيما بينهم ـ غدا يجتمع الناس عليكم، وانما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم ؟ وهنا قال أحدهم :

ان القوم ان اصطلحوا فانما يصطلحون على دمائنا، واذا كان الأمر كذلك فليس لنا الا أن نلحق عليا بعثمان ويرضى القوم منا بالسكوت !!، لكن ابن سبأ اعترض على هذا الرأي وقال : بئس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا، وهم انما يريدوننا.. فقام آخر وقال : بل دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد، فنمتنع بها، فرد عليه ابن سبأ، اذا يتخطفكم الناس..

وأخيرا كان الرأي لابن سبأ حيث قال : يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فصانعوهم واذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر فاذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن يمتنع، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، والناس لا يشعرون !![3]

(١) الطبري ج ٤/٥٠٥

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية نشر المكتب الاسلامي ص ٥٤٦.

(٣) الطبري ج ٤/٤٩٣، ٤٩٤ عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم، وانظر كذلك البداية والنهاية ٧/٢٦٠.

وقبل أن تكون الوقعة كان علي رضي الله عنه قد بعث الى طلحة والزبير يقول : ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلا اليه في جواب رسالته : انا على ما فارقنا القعقاع من الصلح بين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس اليهم، وبعثوا اليه محمد ابن طلحة السجاد، وبات الناس بخير ليلة..[1].

وهنا جاء دور تنفيذ الخطة التي رسمها « ابن سبأ » واتفق عليها أعوانه، ففي الوقت الذي بات فيه الناس بخير ليلة، استشرافا للعافية، ونزوعا عما اشتهاه المبطلون، بات أولئك بشر ليلة.

يقول الطبري في سياقه للخبر : « .. وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط.

قد اشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على انشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن لهم بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا الى ذلك الأمر انسلالاً وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم الى مضريهم، وربعيّهم الى ربعيهم، ويمانيهم الى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم[2] وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا الى الميمنة...

وثبتا في القلب، وقال ما هذا ؟ قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا، فقالا : قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك[3] حتى ردوهم الى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلا قريبا من علي ليخبروه بما يريدون، فلما قال ما هذا ؟ قال ذاك الرجل : مافجئنا الا وقوم منهم بيتونا فرددناهم من حيث جاؤوا فوجدنا القوم على بِجْل فركبونا وثار الناس وقال علي لصاحب ميمنته ائت الميمنة، وقال لصحاب ميسرته : ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة، وانهما لن يطاوعانا »[4].

---

(١) البداية والنهاية ج ٢٦١/٧ ـــ وجاء بعض هذا الخبر عند الطبري ج ٥٠٥/٥، ٥٠٦.

(٢) بهتوهم : أي كذبوهم

(٣) في ابن الأثير : « أولئك الكوفيين ».

(٤) تاريخ الطبري ج ٥٠٦/٤، ٥٠٧ عن سيف عن محمد وطلحة

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة، الا أن الطرفين مالبثا يملكان الرويّة حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على ألا يبدأوا بالقتال حتى يبدأوا طلبا للحجة واستحقاقا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر انشابا[1].

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول : ياأيها الناس أتنصتون ؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتونه، فما زاد أن قال : اف اف فراش نار وذبان طمع !![2] وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية ؟!

بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة، وتتولى عائشة رضي الله عنها دفع الأمر بقدر ما تستطيع، وهي في أثناء ذلك تكشف لنا بشكل أوضح دور السبئية في الوقيعة فحينما اشتد الحرب، وحمي القتال، وقتل طلحة، ورجع الزبير، ناولت كعب بن سور[3] مصحفا وقالت ادعهم اليه، فتقدم به، واستقبله مقدمة جيش الكوفيين ــ وفيه ابن سبأ واعوانه يرشقونه بالنبال حتى قتلوه، ووصلت النبال الى هودج عائشة نفسها، فرفعت يديها بالدعاء على أولئك النفر من قتلة عثمان !! فصاح الناس معها حتى قال علي : اللهم العن قتلة عثمان[4].

ولم يكن موقف علي الدعاء فحسب، بل جاء عنه أنه كان يزع[5] السبئية من خلفهم، وهم يأبون الا اقداما حتى قتلوا كعبا[6].

---

(١) المصدر نفسه ج ٥٠٧/٤

(٢) خليفة بن خياط ص ١٨٢

(٣) كعب بن سور الأزدي من كبار التابعين، قال ابن حاتم عن أبي زرعه ليست له صحبه، وقال أبو عمر كان مسلما في عهد الرسول ﷺ ولم يره، وهو معدود في كبار التابعين، وقال ابن منده إنه ادرك النبي ﷺ، ولي قضاء البصرة منذ زمن عمر بن الخطاب الى أن خرج ــ يأمر عائشة ــ يحمل المصحف بين الصفين فقتل (الاصابة، القسم الثالث ج ٣١٤/٣٠، الاعلام ج ٨٣٥٦)

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢٦٤/٧

(٥) في مختار الصحاح : وزعه، يزعه، وزعا مثل وضعه، يضعه، وضعا أي كفّه، والوزع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر (ص ٧١٩).

(٦) الطبري ج ٥١٣/٤ ــ عن محمد وطلحة عن سيف

وعلى أية حال، كان أمر الله قدرا مقدورا، وانتهت الملحمة لتسفر على مآتم الحزن والبكي فعائشة رضي الله عنها كانت اذا قرأت « وقرن في بيوتكن.. »[1] تبكي حتى يبتل خمارها[2].

وكانت حينما تذكر الجمل تقول : « وددت اني كنت جلست كما جلس أصحابي، وكان أحب اليّ أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ بضعة عشر كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام[3] ومثل عبد الله بن الزبير[4].

ولم يكن علي رضي الله عنه بأحسن حالا من عائشة يقول الشعبي :

لما قتل طلحة، ورآه علي مقتولا، جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء، ثم قال : إلى الله أشكو عجري وبجري، وبكى عليه هو وأصحابه، وقال ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[5].

ولذلك كان الحسن وجماعة اذا ذكروا يوم الجمل قالوا : هلكت الأتباع ونجت القادة[6].

من خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه « السبئية » في المعركة ويتضح بما لا يدع مجالا للشك حرص الصحابة (رضي الله عنهم) على الاصلاح وجمع الكلمة، وهذا هو الحق الذي تطمئن اليه النفوس، وتسير في اتجاهه بعض النصوص، ومنها ماكان من رواية سيف وشيوخه[7] فهم أئمة في هذا الشأن كما قال الحافظ ابن كثير[8].

---

(١) الأحزاب، آية ٣٣

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٢٤/٢

(٣) هو القرشي المخزومي، قال الزبير والواقدي : قبض الرسول ﷺ وهو ابن عشر سنين، وكان من فضلاء المسلمين وخيارهم علما ودينا وعلو قدر، شهد الجمل مع عائشة، وكان ممن أمره عثمان بكتابة المصاحف مع زيد بن ثابت، قال عنه ابن حجر أبو محمد له رؤية وكان من كبار ثقات التابعين، مات سنة ٤٣ هـ (أسد الغابة ج ٤٣١/٣، التقريب ج ٤٧٦/١.

(٤) مجمع الزوائد ج ٢٣٨/٧ ــ قال فيه الهيثمي : رواه الطبراني وفيه أبو معشر (نجيح) وهو ضعيف يكتب حديثه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٨٨/٣، ٨٩ ــ وعجري وبجري : همومي وأحزاني.

(٦) الجاحظ : العثمانية ص ٢٤٦

(٧) هو سيف بن عمر التميمي، وقد تكلم فيه، وقد سبق تفصيل الكلام في ذلك في الفصل الثاني.

(٨) البداية والنهاية ج ٢٦٩/٧، فبعد ان لخص روايات سيف في الجمل قال ما نصه : هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر ابن جرير (رحمه الله) عن أئمة هذا الشأن، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي يتلقونها بما فيها، وإذا دعوا الى الحق الواضح أعرضوا عنه، وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم، فنحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين »

علما بأن أثر السبئية في الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء، سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين أو اسماهم البعض بقتلة عثمان، أو نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو اطلقوا عليهم صراحة « السبئية ».

وهذه بعض من النصوص تؤكد ما نقول :

جاء في أخبار البصرة، لعمر بن شبه (٢٦٢هـ) أن الذين نسب إليهم (قتل عثمان « خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان »[١].

ويقول الامام الطحاوي[٢] : « .. فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وانما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين »[٣]

ويقول الباقلاني (٤٠٣هـ) : « ..وتم الصلح والتفرق على الرضاء، فخاف « قتلة عثمان » من التمكن منهم، والاحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فرقتين، ويبدأوا بالحرب سحرة في المعسكرين، ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي : غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير : غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب.. »[٤]

ونقل الهمذاني (٤١٥هـ) أقوال العلماء باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وأم المؤمنين على الصلح ووضع الحرب، واستقبال النظر في الأمر وأن من كان في العسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبروا في القاء الحرب ما هو معروف، وتم لهم ذلك..[٥].

---

(١) عن فتح الباري ج ٥٦/١٣

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامه الطحاوي، الحجري، محدث، ومجتهد ومؤرخ، وفقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في « طحا » من صعيد مصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفيا، ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨ فاتصل بأحمد بن طولون فكان من خاصته له عده تصانيف منها : شرح معاني الآثار (في الحديث) بيان السنة، وكتاب الشفعة، وأحكام القرآن، والمختصر (في الفقه) والتاريخ الكبير توفي بمصر سنة ٣٢١ هـ (معجم المؤلفين ١٠٧/٢، الاعلام ١٩٧/١)

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٦

(٤) التمهيد ص ٢٣٣

(٥) تثبيت دلائل النبوه ص ٢٩٩.

ويقول القاضي أبو بكر ابن العربي (٥٤٣هـ) : « .. وقدم علي البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا باراقة الدماء، واشتجر الحرب وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وان واحدا في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف ؟ »[١]

ونقل ابن عساكر (٥٧١ هـ) آثار السبئية في المعركة، على ضوء ما جاء عند الطبري[٢]

وكذلك فعل ابن الأثير (٦٣١ هـ)[٣]

أما الذهبي (٧٤٨ هـ) فقد قال : « ... وكانت وقعة الجمل أثارها « سفهاء الفريقين.. »[٤]

ويقول : ان الفريقين اصطلحا، وليس لعلي ولا لطلحة قصد في القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامى « أوباش الطائفتين » بالنبل، وشبت نار الحرب، وثارت النفوس..[٥].

وفي دول الإسلام : والتحم القتال من « الغوغاء » وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير[٦].

ولنا بعد ذلك أن نقول : وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرّحة بدور « السبئية » « في الجمل »، تفسّر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء ؟.

ونقول أيضا : وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية، ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع من القول ان هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ واعوانه (السبئية)، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين ؟!.

وبعد هذا كله أجدني مضطراً، وحتى تكتمل الصورة ـ الى الرجوع والتعقيب على

---

(١) العواصم من القواصم ص ١٥٦، ١٥٧
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر الدومي ج ٨٥/٧
(٣) الكامل في التاريخ ج ٢٣٥/٣
(٤) العبرج ٣٧/١
(٥) تاريخ الاسلام ج ١٤٩/٢
(٦) دول الاسلام ج ١٥/١.

النقطة التي أشرت اليها في صدر هذه الفقرة، ألا وهي ما للفتنة وأجوائها من دور في الاسهام بتلك الأحداث... فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صادقين ـ أشياء، يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج الى عناء !، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التروي والابصار !!

لقد استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعا وهو يقول : سبحان الله ! ماذا أنزل الله من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن.. ؟!(١).

ولقد قال أيضا صلوات الله وسلامه عليه : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن »(٢).

أو لم تغب عن الفاروق حين وفاة الرسول ﷺ ـ في حمأة الفتنة ـ آية بأكملها من كتاب الله، حتى اذا ذكره الصديق بقوله تعالى :

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله 'شاكرين(٣) » قال : « والله ما هو الا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت الى الأرض حين سمعته تلاها، وعلمت ان النبي ﷺ قد مات »(٤).

---

(١) صحيح البخاري (فتح الباري ج ١٣/ ٢٠)

(٢) المصدر نفسه ج ١٣/ ٤٠

(٣) آل عمران، ١٤٤

(٤) صحيح البخاري (فتح الباري ج ١٤٥/٨)

ولا نبعد كثيرا فهذا « الأحنف بن قيس » ـ وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل ـ يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة[1] فذكره بالفتنة!![2] فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين[3].

ونقترب أكثر فاذا بالزبير رضي الله عنه (وهو طرف أساسي في المعركة) يكشف لنا عن حقيقة الأمر فيقول :

« ان هذه لهي الفتنة التي كنا نحدّث عنها، فقال له مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها ؟ قال : ويحك ! انا نبصّر ولا نبصر، ما كان أمر قط الا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فاني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر !؟ »[4].

ويشير الى هذا طلحة فيقول : « .. بينما نحن يد واحدة على من سوانا، اذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا !.. »[5].

وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة : « انها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكنها مما ابتليتم »[6].

---

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي كما قال الامام احمد، وعزى هذا القول الى الأكثرين، وقيل انه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد، وقيل ان اسمه مسروح وبه جزم ابن اسحاق، وعلى كل فهو مشهور بكنيته أبي بكره، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل، وأيام صفين، قيل في سبب كنيته أنه تدلى الى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكره فاشتهر بأبي بكره، توفي بالبصرة سنة ٥٢ (أسد الغابة ٣٥٤/٥، الاصابة ٥٧١/٣، الاعلام ١٧/٩)

(٢) صحيح مسلم (شرح النووي ١٠/١٨)

(٣) ابن قتيبه : المعارف ص ١٨٧

(٤) الطبري ج ٤٧٦/٤، عن قتادة، عن أبي عمره (مولى الزبير)

(٥) المصدر نفسه ج ٤٧٦/٤ ـــ عن علقمة بن وقاص الليثي

(٦) صحيح البخاري (فتح الباري ج ٥٣/١٣)

الفصـــل الخــامس

السبئيــة طائفة واعتقادا

* نشأة السبئيـــة
* عقيـدة السبئيــة
* نماذج من السبئية ومكائدهم للمسلمين

نشــأة السبئيــة :

ذكر البغدادي (٤٢٩هـ) أن فرقة « السبئية » أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه[١] ويقول الأسفرايني (٤٧١هـ) أن ابن سبأ قال بنبوة علي في أول أمره، ثم دعا الى الوهيته، ودعا الخلق الى ذلك، فأجابته جماعة الى ذلك في وقت علي.[٢]

ونجد عند « ابن عساكر » تأكيدا على وجود هذه الفرقة أيام علي رضي الله عنه، فقد ذكر أن عليا حينما أمر بقتل ابن سبأ ـ لاعتقاده الألوهية فيه ـ ثم نزع عن ذلك ونفاه الى المدائن لمشورة بعض من كان عنده، قامت إليه طائفة السبئية معتقدين ألوهيته ـــ وكانوا أحد عشر رجلا فأمرهم بالرجوع عن ذلك فلم يرجعوا فأمر باحراقهم بالنار[٣].

ولم تكن هذه فقط هي طائفة السبئية، ويكشف لنا بقية النص أن بعضا من هؤلاء السبئية « ممن لم يكشف رأسه منهم علينا » كما يقول ابن عساكر، قالوا في علي أنه اله[٤].

وبهذا الرأي ـ نشأة السبئية في عهد علي ـ قال الهيتمي : « .. ثم اتسع الأمر أيضا في خلافة علي، فظهر في عهده فرقة السبئية »[٥].

ويرى المستشرق « فلهوزن » أن نشأة السبئية ترجع الى زمان علي والحسن[٦] مشيرا الى ما كتبه المستشرق «Hodgson » وهو يعلق على بعض النصوص الواردة في أنساب الأشراف[٧].

وهناك رأي آخر يشير الى نشأة السبئية بعد أيام علي رضي الله عنه، نستوحي ذلك من خلال حديث « الشهرستاني » (٥٤٨هـ) عن بعض معتقدات ابن سبأ، والتي أعقبها بالقول : « .. وانما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي الله عنه (الى

---

(١) الفرق بين الفرق، ص ١٥
(٢) التبصر في الدين، ص ١٠٨
(٣) تاريخ مدينة دمشق (مخطوط) ورقة ١٢٥/أ
(٤) المصدر نفسه ١٢٥/أ
(٥) الصواعق المحرقة ص ٦
(٦) الخوارج والشيعة ص ١٧٠ (طبعة الكويت ١٩٧٦).
(٧) ZDMG سنة ١٨٨٤م، مجلد ٣٨ ص ٣٩١.

رحمة الله) واجتمعت عليه جماعة »[1].

وفي شرح نهج البلاغة : « فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام اظهر (ابن سبأ) مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه.. »[2].

أما الرأي الثالث فيشير الى نشأة مبكرة للسبئية تتصل بأيام عثمان رضي الله عنه في الخلافة فالدكتور « محمود نايف » بعد أن تحدث عن اجواء الفتنة في عهد عثمان، وأجمل العوامل المؤدية الى الثورة عليه قال : « في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الاسلام، وفي هذه الأجواء المثيرة، تبرز السبئية لتلعب أخطر دور لها في تاريخ صدر الاسلام.. »[3].

وهذا الرأي قال به ـ قبل ذلك ـ الدكتور جواد علي، فالسبئية في نظره هي المسئولة عن قتل الخليفة عثمان[4].

ويؤكد ذلك بصراحة فيقول : «والظاهر أن السبئية كانت من أكثر الكتل السياسية التي ظهرت في أيام عثمان نظاما.. »[5].

وأتوقف هنا قليلا ـ قبل أن أميل الى أي من هذه الآراء المحددة لنشأة السبئية لمعرفة هذه التسمية « السبئية » وهل هناك من تسمية غيرها ؟ ولعل في هذا ما يساعد على الكشف والايضاح (عن نشأتها).

والبحث في أصل هذا المدلول يطلعنا على الحقائق الآتية :

اللفظة الغالبة هي السبائية أو السبئية[6] (بالمد والقصر) وهي تعني نسبة هذه الطائفة

---

(١) الملل والنحل ج ١/١٥٥، ١٥٦
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ج ٢/٩٩
(٣) الخوارج في العصر الأموي، ص ٤١
(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس، ص ١٠٠
(٥) المرجع نفسه ص ٨٤.
(٦) وإلى هذه مال صاحب القاموس المحيط فقال في مادة : « سبأ » « ..ووالد عبد الله المنسوب إليه السبئية من الغلاة.. » (الفيروز أبادي : القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى / مصر ج ١/١٧

الى عبد الله بن سبأ، ففي المحبّر : « عبد الله بن سبأ صاحب السبائية »[1] ويقول ابن قتيبة « السبائية من الرافضة ينسبون الى عبد الله بن سبأ »[2]، وفي مفاتيح العلوم : السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ[3]، وفي تاريخ ابن عساكر، عبد الله هو رأس الطائفة السبئية[4]. وعند الصفدي : عبد الله بن سبأ هو رأس الطائفة السبئية[5]. ومثل هذا جاء في مواعظ المقريزي[6]، وتعريفات الجرجاني[7].

وفي كتب الفرق لا تكاد تقف على طائفة السبئية الا وهي منسوبة الى عبد الله ابن سبأ، ونماذج ذلك كثير[8].

ولم يكن هذا محل اتفاق عند أهل السنة وحدهم، بل أكد علماء الشيعة على هذا في كتبهم، فالناشيء الأكبر ـ وهو من اوائل من كتب في المقالات والفرق من الشيعة ت ٢٩٣ هـ ـ يقول : « وفرقة زعموا أن عليا عليه السلام حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ.. »[9].

ويقول القمي (٣٠١ هـ) : وهذه الفرقة تسمى السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ.[10]

---

(١) ابن حبيب، المحبّر ص ٣٠٨

(٢) المعارف، ص ٢٦٧، المحققة ص ٦٢١

(٣) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٢

(٤) تاريخ مدينة دمشق ص ١٢٣ / ب

(٥) الوافي بالوفيات (مخطوط) ج ١٧/ ٢٠

(٦) المواعظ والاعتبار ج ٢/٣٥٣

(٧) لتعريفات ص ٧٩

(٨) انظر : الرازي، الزينة في الكلمات الاسلامية ٣٠٥، أبو الحسن الأشعري، مقالات الاسلاميين ج ١/٨٦، الملطي التنبيه والرد ص ١٨ ابن حزم : الفصل.. ج ٤/١٨٠، الاسفرايني : التبصر في الدين : ص ١٠٨، الشهرستاني : الملل والنحل : ج ١/١٥٥، الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (دار التراث العربي الأولى ١٤٠٠) للسكسكي، ص ٥٠.

(٩) مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات ص ٢٢

(١٠) المقالات والفرق ص ٢٠

ولم يكن هذا رأي متقدمي الشيعة فقط، وانما قال به بعض المتأخرين منهم، حتى قال أحدهم : « الغلاة أصناف منهم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ »[1].

وحتى الذين اطلقوا على « السبئية » تسمية أخرى يرجعون نسبتها الى عبد الله بن سبأ « فالطيارة » التي وصفهم بها « ابن طاهر المقدسي » قدم لها بالقول « وأما السبئية فانهم يقال لهم الطيارة لزعمهم أنهم لا يموتون، وأن موتهم طيران نفوسهم في الغلس » ثم ذكر عبد الله بن سبأ كزعيم لهذه الطائفة[2].

ونجد تأكيد هذه النسبة « السبئية » الى « عبد الله بن سبأ » في كتب الأنساب أيضا[3].

والذي نستفيده من هذا كله ارتباط هذه الطائفة (السبئية) بعبد الله بن سبأ، ارتباط يكاد يكون محل اجماع كتب المعارف العامة، واصحاب المقالات، وكتب الانساب...

ولهذا فاني أرجح الرأي القائل بنشوء طائفة السبئية قبل خلافة علي رضي الله عنه وبالتحديد في الفترة الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، وأؤكد هذا بالأدلة التالية :

١ ـــ ما سبق تقريره من ظهور ابن سبأ زمن عثمان بن عفان ـ في الفصل الثالث ـ ولئن صحّ القول بظهوره وحده في البداية فلا يلزم من ذلك بقاؤه طيلة أيام عثمان دون التفاف أنصار حوله، بل اجتمع اليه من ذوي النفوس الضعيفة، وأصحاب الأهواء، ومن لم يكن لهم في الإسلام طول عهد ولا مزيه، وتكونت منهم بذور طائفة اطلق عليها فيما بعد (السبئية).

وفي تلك الفترة (الأيام الأخيرة لخلافة عثمان) تطالعنا الكثير من النصوص وهي تشير الى

---

(١) محمد جواد مغنية. مع الشيعة الامامية ص ٤٠.
(٢) البدء والتاريخ ج ١٥/١٢٩
(٣) انظر : ابن الأثير، اللباب ج ٥٢٧/١، السيوطي : كب الألباب في تحرير الأنساب ج ١٣٢/١، السمعاني، الأنساب ج ٢٤/٧.

صنائع ابن سبأ وهم أقوام يقولون ما يعتقده، ويسيرون خلفه، ولن تكون الغالبية[١] من هؤلاء سوى طائفة السبئية. ففي الطبري ـ ضمن أحداث سنة ٣٥هـ ـ يبدو عبد الله بن سبأ كزعيم لطائفة يبث دعاته لنشر مذهبهم، ويكاتب أهل الأمصار فتستجيب له طوائف منهم ويكاتبوه، وتحاط دعوتهم بالسرية والكتمان، متسترين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعيبون ولاتهم، ويتكاتبون فيما بينهم..[٢] فهل يستطيع أحد أن يسفه عقله ويقول : ان ابن سبأ كان يقوم بهذه الأشياء وحده ؟!

بل نجد قبل ذلك، وفي أحداث سنة ٣٣هـ أن ابن سبأ حينما نزل البصرة على « حكيم ابن جبله » اجتمع اليه نفر فطرح لهم بعضا من آرائه ولم يصرّح فقبلوا منه واستعظموه..[٣] وحينما طرد من البصرة قصد الكوفة فطرد منها، فاستقر بمصر فجعل يكاتب صنائعه ويكاتبوه وتختلف الرجال بينهم[٤].

ويقول ابن كثير : ان ابن سبأ افتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا الى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الانكار على عثمان..[٥]

ويقول السيوطي : فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكان ذلك مبدأ تألبهم على عثمان[٦].

٢ ـ ويتضح هذا أكثر حينما نتبين نصوصا أخرى تؤكد قتل عثمان على يد جماعة اتفقوا على الشر كما يقول ابن سعد[٧] أوهم رؤوس شر وأهل جفاء، كما نعتهم الذهبي[٨]. ووصفهم غيره بأنهم أراذل من أوباش القبائل[٩].

---

(١) وأبدى هذا التحفظ حتى يخرج من هذا التعميم من شاركهم في آرائهم وهو لا يعلم أهدافهم ونياتهم، ظانا أنهم دعاة اصلاح !

(٢) تاريخ الطبري ج ٣٤١/٤.

(٣) الطبري ج ٣٢٦/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٣٢٧/٤

(٥) البداية والنهاية ج ١٨٣/٧

(٦) حسن المحاضرة ج ١٦٥/٢

(٧) الطبقات الكبرى ج ٧١/٣

(٨) دول الاسلام ج ١٢/١

(٩) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤٠/١

والمتأمل في تلك الفترة لا يرى جماعة يمكن أن ينسب اليها هذا العمل أقرب من طائفة السبئية ووجود ابن سبأ ـ مع ماله من أثر في تلك الفترة ـ يعزز هذا الرأي.

وفوق هذا كله فقد حفظ لنا الطبري من رواية سيف بن عمر عن شيوخه نصا يكشف فيه عن وجود هذا الطائفة في أواخر خلافة عثمان مبينا دورهم في الأحداث المؤدية الى قتل الخليفة فيقول : « .. ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل الى الخروج الى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس، ولتحقّق عليه، فتوافوا بالمدينة.. الخ »[1].

٣ ـ بالرجوع الى تاريخ الطبري وابن الأثير نجد أن أول ذكر للسبئية عند الطبري في الحصار الذي ضرب على المدينة، ثم انتهى بقتل الخليفة عثمان ـ كما تقدم ـ وهذا يعني ظهور السبئية في تلك الفترة المتقدمة على خلافة علي، أما ابن الأثير فهو وان جاء على ذكر السبئية ـ صراحة ـ في بداية أيام علي بن أبي طالب، وذلك في معرض تحذير السبئية لعلي بعد فراغه من خطبة خطبها بعدما استخلف[2] الا أنه أشار ـ تلميحا ـ الى السبئية قبل ذلك، وذلك حينما عدّ « عمير بن ضابىء » ضمن طائفة السبئية « .. فلذلك صار ابنه عمير سبئيا »، في الوقت الذي قال عنه أنه كان ممن سار الى المدينة لقتل عثمان[3].

ويكشف لنا صاحب التمهيد والبيان عن هذه النسبة (كون عمير بن ضابىء سبئيا، فيقول : « والسبئية قوم يسبون عثمان رضي الله عنه وينسبون إلى عبد الله بن سبأ.. »[4].

على أن الذي أحب أن يفهمه القارىء هنا أن الحديث منصب على جذور النشأة لدى فرقة السبأية، ولذلك حاولت تحديد أول تاريخ لنشأتها، وهذا لا يمنع القول بأن هذه الطائفة انما اتضحت أفكارها، وباتت كفرقة تواجه الناس بمعتقداتها أيام علي رضي الله عنه وبعد مماته ولم يعد الأمر مجرد آراء لابن سبأ يعلنها، ثم يلتف حوله جماعة يقولون بقوله، حتى وان كانت هذه الجماعة هي التي ظهرت للناس فيما بعد مشكلة طائفة السبئية.

---

(١) الطبري ج ٣٤٦/٤ ـ عن سيف بن عمر
(٢) بن الأثير ج ١٩٥/٣
(٣) المصدر نفسه ج ١٨٣/٣
(٤) المالقي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٦٧.

ففي عهد علي (رضي الله عنه) جاءت السبئية اليه وقالوا له : أنت أنت !! قال : ومن أنا ؟ قالوا : الخالق البارىء، فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم نارا عظيمة وأحرقهم وقال مرتجزا

لما رأيت الأمـــر أمـــرا منكـــرا أجـــجت ناري ودعـــوت قنبرا[1]

وبعد موت علي قيل لابنه الحسن : ان ناسا من شيعة أبي الحسن (علي) يزعمون أنه دابة الأرض، وأنه سيبعث قبل يوم القيامة، فقال : كذبوا، ليس أولئك شيعته أولئك اعداؤه، لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه[2].

عقيـدة السبئيـة :

من أوائل النصوص التي أبانت عن عقيدة السبئية رسالة الارجاء[3] تلك التي كتبها الحسن بن محمد بن الحنفية (بين ٩٥، ١٠٠ هـ) لكي تقرأ على الناس، ومما جاء فيها :

« ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، اذ يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي، ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن، ولو كان نبي الله كاتما شيئا مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد اذ تقول للذي أنعم الله عليه الآية[4]، وقوله : لم تحرم ما أحل الله لك

---

(١) الملطي : التنبيه والرد ص ١٨، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١٥٥/١، وانظر مناقشة هذه القضية (احراق السبئية) في الصفحات القادمة.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٣٩/٣.

(٣) خلافا لرأي الدكتور « عبد الرحمن بلوي » الذي قال : ان ما أورده سعد القمي (٣٠١ هـ) في المقالات والفرق هو أقدم خبر عن السبئية. (انظر : مذاهب الاسلاميين ج ٣٩/٢) ورسالة الارجاء هذه ضمّنها العدني في كتابه : الايمان ــ كما سيأتي ــ وقد حفظ لنا « الذهبي » بعضا من هذه الرسالة، وقال عن سبب كتابة الحسن لها : « ..وذلك أن الخوارج تولت الشيخين، وبرئت من عثمان وعلي، فعارضتهم السبائية، فبرئت من أبي بكر وعمر وعثمان وتولت عليا، فأفرطت فيه، وقالت المرجئة الأولى نتولى الشيخين، ونرجىء عثمان وعلي فلا نتولاهما ولا نتبرأ منهما.. » (تاريخ الاسلام ج ٣٥٨/٣). كما تعرض للرسالة « ابن حجر »، وأشار الى مكان وجودها فقال : « قلت المراد بالارجاء الذي تكلم الحسن بن محمد فيه غير الارجاء الذي يعيبه أهل السنة، المتعلق بالايمان وذلك أني وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور أخرجه ابن عمر العدني في كتاب الايمان.. »

(تهذيب التهذيب ج ٣٢١/٢)

وقد ذكر فؤاد سزكين هذه الرسالة في كتابه (تاريخ التراث العربي ج ٣٥٨/٢).

(٤) الأحزاب، آية ٣٧

الآية[1]، وقوله : لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا[2].. »[3].

ومن هذه النصوص القديمة عن السبئية، ما يروى عن قتادة (١١٨ هـ)[4] أنه كان اذا قرأ هذه الآية « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة.. »[5].

قال : « ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا أدري منهم.. »[6].

وكان يقول : « .. والله ان اليهودية لبدعة، وان النصرانية لبدعة، وان الحرورية لبدعة، وان السبائية لبدعة، ما نزل بهن كتاب ولا سنّهن نبي »[7].

ومن النصوص أيضا قول الجوزجاني[8] : « .. ثم السبئية اذ غلت في الكفر، فزعمت أن عليا إلهها، حتى حرقهم بالنار انكارا عليهم واستبصارا في أمرهم حين يقول :

لما رأيت الأمـــر أمـــرا منكـــرا أجـــجت ناری ودعـــوت قنبرا[9]

ونحن هنا ـ وأمام هذه النصوص ـ نتبين طرفا من عقيدة السبئية، ومن خلال النص الأول تتضح لنا عقيدتهم في « القرآن الكريم » فهم يزعمون أن نبي الله كتم عن الأمة تسعة أعشار القرآن، وهم بعد هذا يهتدون لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي !!، كما أنهم يرومون

---

(١) التحريم، آية ١

(٢) الاسراء، آية ٧٤

(٣) انظر : كتاب الايمان (مخطوط) ورقة ٢٤٩ : ب ـــ لمحمد بن يحيى بن أبي عمر المكي العدني، عالم بالحديث، وسمع منه الامام مسلم بن الحجاج، تولى قضاء عدن، وجاور بمكة، صنف المسند في الحديث، مات سنة ٢٤٣ (ابن حجر : تقريب التهذيب ج ٢١٨/٢، الزركلي : الاعلام ج ٣/٨)

(٤) هو قتادة ابن دعامه بن قتادة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب البصري، مفسر، حافظ، يقال أنه ولد ضرير، أكمه، وهو مع علمه بالتفسير كان عالما بالعربية ومفرداتها، وأيام العرب قال عنه الذهبي : حافظ مفسر، وقال ابن حجر : ثقة ثبت، اختلف في سنة وفاته، فقيل توفي سنة ١١٨ هـ، وقيل سنة ١١٧ (الذهبي : الكاشف ج ٣٩٦/٢ ابن حجر : التقريب ١٢٣/٢، الزركلي : الاعلام ٢٧/٦)

(٥) آل عمران، آية ٧

(٦) الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن (دار المعارف بمصر ج ١٨٧/٦.

(٧) المصدر نفسه ج ١٨٩/٦

(٨) هو ابراهيم بن يعقوب، أبو اسحاق السعدي، الدمشقي، محدث الشام، وأحد الثقات الحفاظ، نسبته الى « جوزجان » في خراسان مات بدمشق سنة ٢٥٩، وقيل قبل ذلك سنة ٢٥٦ هـ، وله مصنفات منها : كتاب في الجرح والتعديل، والمتجرم وفيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة ـــ كما قال الحافظ ابن كثير.. (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣٦/١١، الزركلي : الاعلام ج ٧٦/١، كحالة، معجم المؤلفين ج ١٢١/١)

(٩) الجوزجاني : الضعفاء (مخطوط) ورقة ٣ : ب

اتباع المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وهذه المقالة التي اعتقدتها السبئية، ترجع أصولها الى زعيمهم « عبد الله بن سبأ » الذي زعم أن القرآن جزء من تسعة اجزاء وعلمه عند علي، فضربه علي ونفاه بعد ما كان هم به[١].

وفي النص الآخر نقف على معتقد آخر من معتقدات السبئية ـ لا يقل خطرا عن سابقه ـ وذلك باعتقاد السبئية ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالغين في ذلك منتهى الغلو والتطرف، ومنتهين الى حد أودى بعلي الى احراق بعضهم..

وهذه العقيدة عند السبئية تؤكدها أغلب المصادر الموجودة بين أيدينا أمثال : ابن قتيبة[٢] وأبي الحسن الأشعري[٣]، والأسفرايني[٤]، والبغدادي[٥] والملطى[٦] والشهرستاني[٧]، وابن عساكر[٨]، وابن حجر[٩]، والكشي[١٠]، والرازي[١١]، والمامقاني[١٢] .. ونحوهم.

ومن هنا يكون رأي « عبد الرحمن بدوي » بأن القول بألوهية علي المنسوبة الى ابن سبأ، والسبئية من بعده انما هو تزيد من البغدادي ـ صاحب الفرق بين الفرق ـ وأن ذلك لم يرد الا في كلامه هو[١٣] وقوله ـ البدوي ـ « يغلب على الظن أن السبئية لم يقولوا بألوهية علي ابن أبي طالب، وانما قالت بهذا أصناف عديدة من غلاة الشيعة.. »[١٤] بعيد كل البعد عن الصواب

---

(١) الجوزاني، الضعفاء ق ٣/ب
(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٧٣، المعارف ص ٦٢١
(٣) مقالات الاسلاميين ج ٨٦/١
(٤) التبصر في الدين ص ١٠٨
(٥) الفرق بين الفرق ص ٢١، ٢٣٣
(٦) التنبيه والرد ص ١١٨
(٧) الملل والنحل ج ١٥٥/١
(٨) تاريخ مدينة دمشق ق ١٢٥/أ
(٩) لسان الميزان ج ٢٩٠/٣
(١٠) رجال الكشي ص ٩٩، ١٠٠، معرفة أخبار الرجال ص ٧٠
(١١) الزينة في الكلمات الاسلامية ص ٣٠٥
(١٢) تنقيح المقال ج ١٨٣/٢
(١٣) مذاهب الاسلاميين ج ٤٣/٢
(١٤) المرجع نفسه ج ٤٥/٢

وهو مدين بتلك النصوص التي تؤكد ما قاله البغدادي، لاسيما وأن جزءا منها سابق للبغدادي[1] امثال ابن قتيبة، والجوزجاني، وابو الحسن الأشعري والطبري.. وغيرها.

وتأتي عقيدتا « الوصية » و « الرجعة » في مقدمة العقائد التي قال بها عبد الله بن سبأ وأصبحت بعد ذلك ضمن عقيدة السبئية.

والرجعة يفسرها لنا الأشعري باجمال فيقول : والسبئية يقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون الى الدنيا..[2].

ويوضحها « ابن سبأ » بقوله : « لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله عز وجل : « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد »(*) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها »[3].

ونجد في « عقد الجمان » أن ابن سبأ دخل مصر وطاف في كورها، وأظهر الأمر بالمعروف، وتكلم في الرجعة، وقررها في قلوب المصريين[4].. » والسبئية يعتقدون برجعة علي الى الدنيا قبل يوم القيامة، وأنه سينزل الى الأرض فيملأها عدلا كما ملئت جورا..[5].

وفي « البرهان » كان ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة الى الدنيا بعد الموت، وهو أول من قال بذلك[6].

ومن مقتضيات عقيدة الرجعة عندهم القول بأن عليا حي لم يمت، والسبئية يعتقدون هذا، ويقولون بأن عليا لم يقتل ولم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه[7].

---

(١) على أن البدوي رجع قليلا حينا قال : « إلا إذا أولنا ما أورده يعني البغدادي من قول عبد الله بن سبأ لعلي : أنت أنت بمعنى أنت الإله » ٤٣/٢.
(٢) مقالات الاسلاميين ج ٨٦/١
(٣) الطبري ج ٣٤٠/٤ (*) والآية من سورة القصص، آية ٨٥
(٤) العيني : عقد الجمان ج ٩ / القسم الأول ص ١٦٨.
(٥) مقالات الاسلاميين ج ٨٦/١
(٦) السكسكي : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٥٠
(٧) القمي : المقالات والفرق ص ١٩.

وحينما بلغهم خبر موته قالوا للذي نعاه اليهم : كذبت يا عدو الله، لو جئتنا بدماغه في صرّة، وأقمت على مقتله سبعين عدلا ما صدقناك، ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض.(١)

واذا كان ابن سبأ يعلن أن المقتول لم يكن عليا، وانما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وقال كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى، كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي. (٢).

اذا كانت تلك مقالة ابن سبأ، فان أحد السبئية (رشيد الهجري)(٣) يدخل على علي بعد موته وهو مسجى فيسلم، ويقول لاصحابه : انه ليفهم الكلام ويرد السلام ويتنفس نفس الحي، ويعرق تحت الدثار الوثير، وإنه الإمام الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما. (٤)

ويقول القمي بعد أن ساق قريبا من هذا الكلام : « فهذا مذهب السبائية ومذهب الحربية وهم أصحاب عبد الله بن عمر الحرب الكندي في علي عليه السلام » (٥).

والسبئية يعللون اختفاء علي « بالغيبة » ولذلك قالوا بغيبته بعد موته(٦) ومن هنا كانوا يعتقدون أن الرعد صوته، وأن البرق سوطه، وأنه في السحاب واذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة قاموا اليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون : قد مرّ عليّ بنا في السحاب..(٧).

واذا سمعوا صوت الرعد قالوا : وعليك السلام ياأمير المؤمنين !، وفيهم قال الشاعر :

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزّال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب(٨)

---

(١) المقالات والفرق ص ٢١، الفرق بين الفرق ص ٢٢٤.
(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣، ٢٢٤
(٣) سيأتي التعريف برشيد في « نماذج من السبئية » من هذا الفصل
(٤) الناشيء الأكبر. مسائل الامامة ص ٢٣
(٥) المقالات والفرق ص ٢١.
(٦) الفرق الاسلامية / ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني ص ٣٤
(٧) الملطي : التنبيه والرد ص ١٨
(٨) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٣٤

جاء في مسائل الامامة أن السبئية تزعم أن الله عز وجل رفع عليا اليه، كما رفع المسيح، قالوا : انما رفعه لغضبه على أهل الأرض اذ خالفوه ولم يطيعوا أمره ![1].

أما « الوصية » فقد وضعها ابن سبأ للسبئية حينما قال : « إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ.. »[2].

وكان ابن سبأ يقول وهو في يهوديته في « يوشع بن نون » بعد موسى، مثل ما قال في علي بعد رسول الله ﷺ[3].

وينشأ عن القول بالوصية القول بفرض امامة الموصى له، واذا كانت السبئية تقول بالوصية وأن عليا هو خاتم الأوصياء، فصاحب السبئية (ابن سبأ) هو أول من شهد بالقول بفرض امامة علي كما يقول القمي[4].

وأول من أظهر القول بالنص بامامة علي كما يقول الشهرستاني[5].

كما أن السبئية هي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي ﷺ من هذه الأمة[6] وهم يسمون انتظار ظهور الامام بالتوقف[7].

السبئية وعقيدة ختم النبوة :

يقول الملطي : « والصنف الذي يقال لهم السبائية يزعمون أن عليا شريك النبي ﷺ في النبوة وأن النبي مقدم عليه اذا كان حيا، فلما مات ورث النبوة، فكان نبيا يوحى اليه، ويأتيه جبريل ـ عليه السلام ـ بالرسالة.. »[8].

---

(١) الناشيء الأكبر، مسائل الامامة ص ٢٣

(٢) الطبري ج ٤/٣٤٠

(٣) الزينة في الكلمات الاسلامية ٣٠٥، المقالات والفرق ٢٠، الملل والنحل ج ١/١٥٥.

(٤) المقالات والفرق ص ٢٠، وانظر أيضا : الزينة في الكلمات الاسلامية ص ٣٠٥.

(٥) الملل والنحل ج ١/١٥٥

(٦) المقالات والفرق ص ٢٠

(٧) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٨٠

(٨) التنبيه والرد ص ١٥٨

ونقل البغدادي عن ابن سبأ زعمه أن عليا كان نبيا[1].

وفي تنقيح المقال : ان ابن سبأ كان يزعم ان عليا اله وانه نبي..[2].

ولعلنا من خلال ذلك نتبين أن الذين قالوا بجواز النبوة بعد النبي ﷺ هم السبئية، وانهم هم الذين انتقلوا بعد ذلك الى القول بألوهية علي، وأنه لم يكن هناك قسمان من الغلاة أوجبت أحدهما النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، وقالت الأخرى بالألوهية لغير الله عز وجل، كما ذكر ذلك ابن حزم...[3].

سب الصحابـة :

ذكر القمي، والنوبختي : أن عبد الله بن سبأ كان أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان، والصحابة وتبرأ منهم[4].

وتدين السبئية من بعده بهذه العقيدة، ففي « الطبقات » أن رجلا كان يأتي ابراهيم النخعي فيتعلم منه، فيسمع قوما يذكرون أمر علي وعثمان فقال : أنا أتعلم من هذا الرجل وأرى الناس مختلفين في أمر علي وعثمان فسأل ابراهيم النخعي عن ذلك فقال : ما أنا بسبأي ولا مرجىء[5].

وفي نص آخر أن رجلا قال لابراهيم : علي أحبّ اليّ من أبي بكر وعمر فقال له ابراهيم، أما أن عليا لو سمع كلامك لأوجع ظهرك، اذا كنتم تجالسوننا بهذا فلا تجالسونا[6].

وجاء في أنساب الأشراف أن رجالا ـ فيهم ابن سبأ ـ أتوا عليا يسألونه عن أبي بكر وعمر ! فقال : أو قد تفرغتم لهذا..؟[7].

---

(١) الفرق بين الفرق : ص ٢٣٣

(٢) المامقاني ـ تنقيح المقال ج ١٨٣/٢

(٣) الفصل في الملل والنحل ج ١٨٣/٤

(٤) المقالات والفرق : ص ٢٠، فرق الشيعة ص ٤٤

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١٩٢/٦

(٦) المصدر نفسه ج ١٩٢/٦.

(٧) البلاذري، أنساب الاشراف ص ٣٨٢

وذكر ابن حجر أن سويد بن غفلة [1] دخل على علي في امارته فقال : اني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر، يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ ـ وهو أول من أظهر ذلك ـ فقال علي : مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال، معاذ الله أن اضمر لهما الا الحسن الجميل، ثم أرسل الى ابن سبأ فسيره الى المدائن، ونهض الى المنبر حتى اذا اجتمع الناس اثنى عليهما خيرا، ثم قال : ألا ولا يبلغني عن أحد بفضلني عليهما الا جلدته حد المفترى.. [2].

ويقول ابن تيمية : انه روى عن علي بأسانيد جيدة أنه قال : لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا جلدته حد المفتري، وقد طلب ابن سبأ لما بلغه عنه ذلك ليقتله فهرب منه [3].

وفي الصواعق المحرقة : ان السبئية كانوا يسبون أصحاب رسول الله ﷺ الا قليلا وينسبونهم الى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم، ولذا سموا أيضا « بالتبرئية » [4].

ويقول صاحب حركات الشيعة المتطرفين : « لا شك أن هذا الذي لقنه ابن سبأ وأوحى به كان تطورا خطيرا في النظر الى السابقين الأولين، وهم الصحابة جلة المسلمين، وأن تجريحهم انما كان تشجيعا وحضا على تمزيق لباس الهيبة والجلال الذي أضفاه عليهم تاريخهم في الإسلام، كان فتحا للطريق وتمهيدا لمن لم يتمكن الإسلام في قلبه ليمرق منه، وذلك ما نلحظه في هذه الطائفة التي اتبعت تعاليمه ونسبت اليه وسميت « السبئية ».. » [5].

---

(١) هو سعيد بن بخفلة الجعفي، من مذحج، ولد عام الفيل، وقدم المدينة حين دفنوا رسول الله ﷺ، وهو من كبار التابعين نزل الكوفة قال عنه الذهب : ثقة إمام زاهد قوام، توفي سنة ٨١ هـ أو قبلها بسنة (الكاشف ج ٤١٢/١، تقريب التهذيب ج ٣٤١/١)

(٢) لسان الميزان ج ٢٩٠/٣

(٣) الفتاوي ج ٤٧٥/٢٨

(٤) ابن حجر الهيتمي : الصواعق المحرقة ص ٦

(٥) انظر : محمد جابر عبد العال : حركات الشيعة المتطرفين... (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ) ص ٢٢

الحلــول والتناســـخ :

جاء في فرق البغدادي « أما السبئية فانما دخلت في جملة الحلولية لقولها بأن عليا صار إلهاً بحلول روح الاله فيه »[1].

ولما قتل علي ـ رضي الله عنه ـ زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن فيه الجزء الالهي.[2] كما كان يزعم أن روح الله حل فيه[3].

أما طائفة السبئية فقد كان فيهم من يزعم أن روح القدس كانت في النبي ﷺ، كما كانت في عيسى، ثم انتقلت الى علي ثم الحسن ثم الى الحسين، ثم كذلك في الأئمة[4].

يقول أبو زهرة : من السبئية من كان يقول : ان الاله حل في علي، ومنهم من يقول : ان الاله قد تجسد فيه[5].

وقال غيره : ان السبئية كانت تقول بحلول جزء الهي في علي، وأنه اتحد بجسده، وبه يعلم الغيب[6].

وإذا كانت عقيدة الحلول قال بها بعض السبئية، فقد قال بالتناسخ عامة السبئية[7]

والتناسخ ـ عندهم ـ يعني تناسخ الجزء الالهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه، كما حكاه الشهرستاني[8] أو هو انتقال هذا الجزء الالهي بنوع من التناسخ من امام الى امام كما ذكره محمد جواد مغنيه[9].

ومن عقائد السبئية « البداء » والسبئية يقولون بذلك، زاعمين أن الله تبدو له « البداوات » أو كلام قريب من هذا استعظمه صاحب « التنبه والرد » وقال ان هذا كلام لا استجيز شرحه في كتاب، ولا أقدم النطق به[10].

---

(١) الفرق بين الفرق (ط بيروت ١٩٧٧ ص ٢٤١.
(٢) الفرق الاسلامية، ذيل كتاب شرح المواقف ص ٣٤
(٣) البشبيشي : الفرق الاسلامية ص ٢٧
(٤) مطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ج ١٢٩/٥
(٥) المذاهب الاسلامية ص ٦٥
(٦) محمد جواد مغنية : مع الشيعة الامامية ص ٣٩، ٤٠
(٧) ابن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ج ١٢٩/٥
(٨) الملل والنحل ج ١٥٥/١، ١٥٦
(٩) مع الشيعة الامامية ص ٤٠
(١٠) الملطي، التنبيه والرد ص ١٩

تلك هي أبرز المعتقدات التي جاء بها « عبد الله بن سبأ »، وقالت بها « السبئية » ذكرتها ـ في الغالب ـ مجردة عن التعليق، اذ هي في نظري من التهافت والسقوط بحيث لا تحتاج الى مزيد تعليق.

وأختم الحديث عن عقيدة السبئية بعرض ومناقشة قضية **احراق علي لطائفة من هؤلاء السبئية**، اذ أن هذه القضية ترتبط بحجم الفرية في حق علي رضي الله عنه، ومجاوزة الحد في الغلو المخرج لاصحابه من الملة، وهل بعد أن يعلم علي ـ رضي الله عنه ـ بأن هناك ـ من هذه الطائفة ـ من يقف على باب المسجد مدعين أن عليا ربهم، فيدعوهم علي ويقول لهم : ويلكم ما تقولون ؟! قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال، ويلكم انما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، ان اطعت الله أثابني ان شاء، وان عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر (مولى علي) فقال : قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال : أدخلهم، فقالوا كما كانوا يقولون، فلما كان الثالث قال : لئن قلتم ذلك لاقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا الا ذلك، فقال، يا قنبر : ائتني بفعلة معهم مرورهم فخدْ لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر، وقال احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال : اني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها حتى اذا احترقوا قال :

اني اذا رأيت الأمـر أمـرا منكـــرا   أو قدت ناري ودعـــــوت قنبرا[1]

وخبر احراق علي لطائفة من السبئية تؤكده الروايات الصحيحة، وكتب المعارف العامة، وأصحاب المقالات والفرق.

جاء في صحيح البخاري عن عكرمة رضي الله عنه : « أن عليا رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي ﷺ قال : لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ : من بدل دينه فاقتلوه »[2]

وفي كتاب استتابة المرتدين عن عكرمة أيضا قال : أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ « لا تعذبوا بعذاب الله »

---

(١) ابن حجر : فتح الباري ج ١٢/ ٢٧٠ ـ واسناد الخبر حسن، كما قال ابن حجر.

(٢) صحيح البخاري ج ٤/ ٢١

ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : من بدل دينه فاقتلوه »[1] .

و « ابن عباس » الذي خالف « عليا » في احراق هؤلاء ـــ كما جاء في الخبرين ـــ هو نفسه الذي نهى عليا عن قتل ابن سبأ حينما بلغه عنه غلوه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى « المدائن » حتى لا تختلف عليه أصحابه، لا سيما وهو عازم على العود الى قتال أهل الشام..[2] .

ولفظه « الزندقة » الواردة في الخبر الثاني ليست غريبة على عبد الله بن سبأ، والسبئية، يقول الذهبي : عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل، أحسب أن عليا حرقه بالنار..[3].

ويقول ابن حجر : « عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. »[4]، ويقول عن طائفته : « وله اتباع يقال لهم السبئية معتقدون الالهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته »[5] بل ان احد معاني الزندقة : الادعاء بأن مع الله الها آخر ـ كما فسره بعض الشراح ـ[6] وهذا المعنى قال به ابن سبأ، وطائفته السبئية ـ كما تقدم.

وممن روى حادثة الاحراق أبو داود في سننه، في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد[7] ورواها النسائي في سننه[8]، والترمذي في جامعه في كتاب الحدود، باب ما جاء في المرتد[9] وروى الطبراني في معجمه الأوسط من طريق« سويد بن غفله» أن عليا بلغه أن قوما ارتدوا عن الإسلام فبعث اليهم فأطعمهم، ثم دعاهم الى الإسلام فأبوا، فحفر حفيرة ثم أتى بهم فضرب أعناقهم، ورماهم فيها، ثم ألقى عليهم الحطب فأحرقهم ثم قال : صدق الله ورسوله[10].

---

(١) المصدر نفسه ج ٨/٥٠

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٢٥

(٣) ميزان الاعتدال ج ٢/٤٢٦، وحسب الذهبي في احراق علي لابن سبأ غير صحيح، لثبوت وجد ابن سبأ بعد موت علي، كما سيأتي عند الحديث عن احراق السبئية.

(٤) لسان الميزان ج ٣/٣٨٩

(٥) المصدر نفسه ج ٣/٢٩٠

(٦) ابن حجر، الفتح ج ١٢/٢٧٠

(٧) سنن أبي داود ج ٤/١٨٠ (المكتبة التجارية الكبرى بمصر)

(٨) سنن النسائي (المجتبى) ج ٧/١٠٤ (المكتبة التجارية الكبرى بمصر)

(٩) سنن الترمذي ج ٤/٥٩ (ط الحلبي)

(١٠)انظر فتح الباري ج ١٢/١٧٠

كما روى خبر الاحراق « أبو حفص بن شاهين »[1] بسنده عن الشعبي أن عليا حرق جماعة من غلاة الشيعة ونفى بعضهم، ومن المنفيين عبد الله بن سبأ..[2].

كما روى هذا الخبر : أبو عاصم خشيش بن أصرم[3] في كتابه « الاستقامة » وعنه نقله « أبو عمرو الطلمنكي الأندلسي (٤٢٩ هـ) في كتابه الأصول[4].

وقبل هؤلاء ذكر « ابن قتيبة » خبر الاحراق في أكثر من موضع، ففي المعارف : « السبائية من الرافضة ينسبون الى عبد الله بن سبأ، وكان أول من كفر من الرافضة وقال علي رب العالمين فأحرق علي أصحابه في النار »[5].

وفي تأويل « مختلف الحديث » ان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي فأحرق علي أصحابه بالنار[6]

وذكر « الجورجاني » خبر الاحراق هذا في كتابه : الضعفاء[7].

أما ابن تيمية فقد قال : انه ثبت عن علي أنه أحرق غالية الرافضة الذي اعتقدوا فيه الالهية[8] وذكر في موضع آخر أن الذين أحرقهم علي، قد سجدوا له، فقال ما هذا ؟ قالوا أنت هو، قال من أنا ؟ قالوا أنت الله الذي لا اله الا هو...[9].

(١) عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي، من حفاظ الحديث، وصاحب التصانيف، حتى عدّله نحو من ثلاثمائة مصنف، منها التفسير الكبير، ومنها المسند، ومنها في « تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم » مات سنة ٣٨٥ هـ. (طبقات الحفاظ ج ٩٨٧/٣، الاعلام للزركلي ج ١٩٦/٥.

(٢) منهاج السنة ج ٧/١

(٣) هو ابن الأسود النسائي، من حفاظ الحديث، وقال عنه ابن حجر : ثقة حافظ، من مصنفاته الاستقامة في الرد على أهل البدع، مات بمصر سنة ٢٥٣ هـ. (تقريب التهذيب ج ٢٢٣/١ الاعلام للزركلي ج ٣٥٣/٢ معجم المؤلفين ج ٩٩/٢.

(٤) ابن تيمية : منهاج السنة ج ٧/١

(٥) المعارف ص ٢٦٧

(٦) تأويل مختلف الحديث ص ٧٣

(٧) الضعفاء ص ٣/ب

(٨) الفتاوي ج ٤٧٥/٢٨

(٩) منهاج السنة ج ٨٣/١

أما أصحاب المقالات والفرق فيؤكدون خبر الاحراق، ومن هؤلاء :

الأسفرايني[١]، والملطي[٢]، والبغدادي[٣] والرازي[٤].

بعد هذه النصوص، وبعد جملة تلك الاستدلالات ـ يبقى مجانبا للصواب رأي « الشيبي » القائل بأن خبر احراق السبئية مزعوم مخترع من أصله وأنه لم يرد في أي كتاب موثوق ومعتبر به من كتب التاريخ[٥].

وحتى لو فرضنا ـ جدلا ـ أن قصد الشيبي ـ صاحب الرأي ـ بالكتب الموثقة لديه ما يخص كتب الشيعة ـ وهي التي ينتمي اليها الشيبي عقيدة ومذهبا ـ فان الرد لا يعوز الباحث اذ يجد في كتب الشيعة المعلومات الآتية :

جاء في شرح عقائد الصدوق « الحديث عن الغلاة من المتظاهرين بالإسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته الى الألوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين (علي) بالقتل والتحريق بالنار[٦].

وفي معرفة أخبار الرجال : أن ناسا أتوا عليا وقالوا له : أنت أنت، فقال لهم : اني لست كما قلتم، انما أنا عبد مخلوق، فأبوا عليه، فقال لهم : ان لم ترجعوا أو تتوبوا لأقتلنكم، فأبوا ذلك، فأمر أن يحفر لهم آبارا فحفرت ثم خرق بعضها الى بعض فقذفهم فيها، ثم طمّ رؤوسها ثم ألهب النار في بئر ليس فيها أحد، فدخل الدخان عليهم فماتوا[٧].

وفي « تنقيح المقال » أن عليا حرّق عبد الله بن سبأ، في جملة سبعين رجلا ادعوا فيه الالهية والنبوة[٨].

---

(١) التبصر في الدين ص ١٠٨
(٢) التنبيه والرد ص ١٨
(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢٣
(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧
(٥) الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع ص ٩٠.
(٦) الشيخ المفيد، شرح عقائد الصدوق ص ٢٥٧
(٧) الكشي : معرفة أخبار الرجال ص ٧١
(٨) المامقاني : تنقيح المقال ج ١٨٤/٢

وإذا كان احراق علي لطائفة من السبئية قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ـ كما قدمنا ـ فان مسألة احراق عبد الله بن سبأ نفسه، مما اختلف فيه الآراء والتوجيهات، والقول الشائع المشهور هو نفي ابن سبأ دون احراقه، وفي ذلك يقول ابن قتيبة : « .. فأحرق علي أصحاب (ابن سبأ) بالنار »[1] ويقول الجوزجاني : ان عليا نفى عبد الله بن سبأ بعدما كان همّ به[2]، وفي المقالات والفرق أن عليا سأل ابن سبأ عن آرائه المنكرة فأقرّ بها، فأمر بقتله فصاح الناس اليه من كل جانب.. فسيره الى المدائن[3] وفي الملل والنحل : « السبائية أصحاب عبد الله ابن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه : أنت أنت، يعني أنت الاله فنفاه الى المدائن.. »[4].. الى غير ذلك.

وهناك من وضع مسألة احراق عبد الله بن سبأ موضع الشك، وفي ذلك قال الذهبي : « أحسب أن عليا حرقة بالنار »[5].

أما الطائفة الثالثة فقد جزمت باحراق « ابن سبأ »، وممن قال بذلك الكشي، وقد نقل أكثر من رواية تنص على أن عليا حينما بلغه غلو ابن سبأ ودعواه الألوهية فيه، دعاه وسأله فأقر بذلك، وطلب اليه أن يرجع عن ذلك، فأبى، فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار..[6]، كما قال بذلك ـ أيضا ـ المامقاني[7] كما تقدم.

وإذا كنت أميل الى الرأي الأول (نفي ابن سبأ) فان مما يؤكد ذلك أخبار عبد الله ابن سبأ بعد موت علي، ويكفي الباحث ان يقف على هذه العبارة التي نجدها في كثير من المصادر، وهي قول ابن سبأ لمن جاءه بنعي علي : « لو أتيتنا بدماغه في سبعين صرة ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت، وإنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.. »[8].

---

(١) المعارف : ص ٢٦٧، تأويل مختلف الحديث ص ٧٣

(٢) الضعفاء، ورقة ٣/ب

(٣) القمي، المقالات والفرق ص ٢٠

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١٥٥/١

(٥) ميزان الاعتدال ج ٤٢٦/٢

(٦) رجال الكشي ص ٩٨، ٩٩، ١٠٠

(٧) تنقيح المقال ج ١٨٤/٢

(٨) انظر هذا النص عند الناشيء الأكبر (٢٩٣ هـ) : مسائل الامامة.. ص ٢٢، وانظر في دلالة العبارة، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٤، ابن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ١٢٩/٥ وغير ذلك.

ويقول الصفدى (٧٦٤هـ) : « فلما قتل علي كرم الله وجهه زعم ابن سبأ أنه لم يمت لان فيه جزءا الهيا.. »[١] .. الى غير ذلك من النقولات التي تثبت وجود ابن سبأ بعد موت علي...

نماذج من السبئية ومكائدهم للمسلمين

١ ـ كنانة بن بشر التجيبي (٣٦هـ)

وهو أحد قنائص عبد الله بن سبأ في مصر[٢] وكان أحد النفر الذين استمالوا عمارا حين بعثه الخليفة عثمان رضي الله عنه ليتبين حقيقة ما يشاع في أقطار الخلافة من بوادر الفتنة[٣]. ثم كان أميرا على أحد الفرق الأربع التي خرجت من مصر في شوال سنة ٣٥هـ للزحف على المدينة[٤] كما كان له دور بارز ضمن الذين حاصروا عثمان في داره، فهو في طليعة الذين اقتحموا الدار على عثمان، وبيده شعلة من نار، ثم دخلت الشّعل على أثره تنضح بالنقط، حتى اشتعل الخشب والخليفة يقول : ما بعد الحريق شيء !![٥].

وأخيرا استشهد الخليفة عثمان بسهام الموتورين، وكان من أبرزها سهام « كنانة » حتى قال عبد الرحمن بن الحارث (٤٣هـ) : الذي قتل الخليفة كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي[٦].

وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا الى الحج، وما علمنا لعثمان بقتل، حتى اذا كنا بالعرج سمعنا رجلا يتغنى تحت الليل.

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل « التجيبي » الـذي جاء من مصر[٧]

كانت نهاية كنانة سنة ٣٦هـ، حينما طلبة « معاوية » بدم عثمان، وقبض عليه بمصر، وسجنه مع من سجن بفلسطين فهربوا من السجن، فأدركهم والي فلسطين فقتلهم[٨].

---

(١) الوافي بالوفيات ج ٢٠/١٧

(٢) محب الدين الخطيب. حاشية العواصم من القواصم لابن العربي ص ١١٢

(٣) تاريخ الطبري ج ٣٤١/٤

(٤) المصدر نفسه ج ٣٤٨/٤

(٥) المصدر نفسه ج ٣٨٠/٤

(٦) المصدر السابق ج ٣٩٤/٤

(٧) المصدر نفسه ج ٣٩٤/٤

(٨) الزركلي : الأعلام ج ٩٤/٦

٢ ـ عمير بن ضابئ (٨٥ هـ) :

هو عمير بن ضابئ البرجمي، الحنظلي، من تميم، شاعر، ومن سكان الكوفة[١] جاء في تاريخ الطبري، وابن الأثير الاشارة الى سبئيته، فبعد الحديث عن أبيه « ضابئ بن الحارث » وسجن عثمان له حتى مات في السجن، أوردا النص التالي : « .. فلذلك صار ابنه عمير سبئيا »[٢].

ويكشف لنا « المالقي » الحقيقة أكثر فيقول : « فكذلك صار عمير بن ضابئ سبئيا، والسبئية قوم يسبون عثمان رضي الله عنه، وينسبون الى عبد الله بن سبأ »[٣].

وعن أخباره وبعض آثاره، يحدثنا الطبري أن عميراً هذا كان أحد النفر الذين أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بتسييرهم من الكوفة والحاقهم بمعاوية، نتيجة ما أحدثوه في مجلس والي الكوفة « سعيد بن العاص » من فتنة ـ سبق بيانها ـ[٤] أحوجت أهل الكوفة الى أن يكتبوا الى عثمان في أمرهم، ولم يجد عثمان بدا من تسييرهم والكتابة الى معاوية بشأنهم ومما قاله فيهم : « ان أهل الكوفة قد أخرجوا اليك نفرا خلقوا للفتنة، فرعهم وقم عليهم، فان آنست منهم رشدا فاقبل منهم، وأن أعيوك فارددهم عليهم.. »[٥].

وعن أثر « عمير » في الفتنة ومقتل عثمان، يُروى أنه ركب هو و « كميل بن زياد » الى المدينة لقتل عثمان، لكنه نكل عنه، وجسر صاحبه..[٦].

وفي خبر آخر أن عميرا أقبل على عثمان ـ بعد ما قتل ـ وهو موضوع على باب، فنزا عليه وكسر ضلعا من أضلاعه وهو يقول : سجنت ضابئا حتى مات في السجن ![٧].

وتؤكد نهاية عمير اشتراكه في قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، فحينما قدم « الحجاج » الكوفة واليا عليها خطب الناس فهدد وتوعد، وأمرهم ـ فيما أمرهم به ـ أن يلحقوا

---

(١) الزركلي. الأعلام ج ٥/٢٦٥
(٢) تاريخ الطبري ج ٤/٤٠٣، الكامل لابن الأثير ج ٣/١٨٣
(٣) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ص ٦٧
(٤) انظر الفصل الثالث
(٥) الطبري ج ٤/٣١٨
(٦) الطبري ج ٤/٤٠٣
(٧) الطبري ج ٤/٤١٤.

« بالمهلب » الذي كان قد بعث لقتال الخوارج، فلما كان اليوم الثالث قام اليه « عمير » فقال « أصلح الله الأمير أنا في هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل، وهذا بنيّ وهو أشبّ منّي، قال : ومن أنت ؟ قال : عمير بن ضابئ التميمي، قال أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم، قال : ألست الذي غزا أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : بلى، قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبي وكان شيخا كبيرا، قال : أو ليس يقول :

هممت ولم أفعل وكـدت وليتنـي تركت على عثمان تبكـي حلائلـه

اني لأحسب في قتلك صلاح المصرَين، قم اليه يا حرسي فاضرب عنقه، فقام اليه رجل فضرب عنقه وأنهب ماله »[1] ويقال ان عنبة بن سعيد قال للحجاج : أتعرف هذا ؟ قال : لا، قال : هذا أحد قتلة عثمان، فقال الحجاج : يا عدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ! ثم أمر بضرب عنقه[2].

٣ ـ رشيد الهجري :

جاء في « مسائل الامامة » عن رشيد الهجري هذا الخبر : « وروي عن رشيد الهجري ـ وكان ممن يذهب مذهب السبئية ـ أنه دخل على علي بعد موته وهو مسجّى، فسلّم وقال لاصحابه : انه ليفهم الآن الكلام، ويرد السلام، ويتنفس نفس الحي، ويعرق تحت الدثار الوثير، وانه الامام الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما.. »[3].

وعن حبيب بن صهبان قال : سمعت عليا على المنبر يقول : دابة الأرض تأكل بفيها وتحدث بإستها، فقال رشيد الهجري، أشهد أنك تلك الدابة فقال له علي قولا شديدا[4]

ويقول ابن حبان : كان رشيد يؤمن بالرجعة[5].

وسئل الشعبي أتعرف رشيد الهجري ؟ قال : نعم، وذكر من خبره أنه حدّث عن نفسه فقال : استأذنت على سيد المسلمين (يعني عليا) فقيل له هو نائم، والمجيب يظن ان

---

(١) الطبري ٦/٢٠٧

(٢) الطبري ٦/٢٠٧

(٣) الناشيء الأكبر. مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الاوسط في المقالات ص ٢٢، ٢٣.

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢/٥٢

(٥) ابن حبان : المجروحين ج ١/٢٩٨

السؤال عن الحسن فقال رشيد : لست أعني الحسن، انما اعني أمير المؤمنين، وامام المتقين، وقائد الغر المحجلين فقيل له : أو ليس قد مات ؟! فقال اما والله إنه الآن ليتنفس بنفس حي، ويعرق من الدثار الثقيل، فقيل له : اما اذا عرفت سرّ آل محمد فادخل وسلّم عليه واخرج، فدخلت على أمير المؤمنين فأنبأني باشياء تكون !!"[1].

هذه بعض أخبار رشيد، واذا كان قد دخل في الاسناد ـ ضمن من دخل ـ نتيجة لما جاء به من أخبار، وحدّث من أحاديث، فقد أبان عنه وكشف حقيقته علماء الجرح والتعديل فابن معين يروى عنه في رشيد قوله : ليس يساوي حديثه شيئا"[2].

ونقل العقيلي عن الشعبي قال : رشيد الهجري، وحبة العرني والأصبغ بن نباته ليس يساوي هؤلاء كلهم شيئا"[3].

ويقول الجوزجاني في رشيد : كذاب غير ثقة"[4].

كما نقل عن ابن معين أيضا : رشيد الهجري عن أبيه ليس برشيد ولا أبوه، وكان يقول في رشيد : ليس بشيء"[5].

٤ ـ المغيرة بن سعيد (١١٩هـ) :

هو أبو عبد الله المغيرة بن سعيد البجلي، الكوفي، كان يعتقد بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد سأله الأعمش : أكان علي يحي الموتى ؟ فقال : أي والذي نفسي بيده لو شاء أحيا عادا وثمود"[6].

وفي المجروحين : عن الأعمش قال : بلغني عن المغيرة بن سعيد وما يقول فأتيته فقلت

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٨٤/١
(٢) ابن حجر : تعجيل المنفعة ص ١٣٠
(٣) العقيلي : الضعفاء (مخطوط) ص ١٢٦
(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٥١/٢
(٥) ابن حيان : المجروحين ج ٢٩٨/١
(٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ١٦١/٤

له : أكان علي بن أبي طالب يقدر أن يحي انسانا ؟ فقال : والذي خلق الحبّة، وبرأ النسمة، لقد كان قادرا على أن يحي ما بينك وبيني الى آدم[1].

وقد ذكر الشهرستاني[2] ، وابن حزم[3] غلو المغيرة في علي، وادعاءه الالهية فيه. وفي مقابل ذلك كان « المغيرة » رافضيا يشتم صحابة الرسول ﷺ، فكان اذا مر على أبي بكر وعمر يلعنهما[4].

ويزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر، فلما كفر قال اني بريء منك »[5]، ونقل « الزركلي » أن المغيرة كان يقول بتأليه علي، وتكفير أبي بكر وعمر، وسائر الصحابة، الا من ثبت مع علي[6].

والى جانب هذه العقائد، فقد ادعى « المغيرة » النبوة، وقتل على ادعائها، وكان أشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبذة حتى أجابه خلق[7].

وذكر الطبري في حوادث سنة (١١٩هـ) مقتل المغيرة على يد خالد بن عبد الله القسري[8]. وفي « المحبر » أن خالدا صلب المغيرة، وحرّق (المغيرية) بالنار[9].

فوق هذا وذاك فقد قال ابن عبد ربه بصريح العبارة : « وكان المغيرة بن سعد[*] من السبئية الذي أحرقهم علي رضي الله تعالى عنه بالنار.... وخرج لخالد بن عبد الله فقتله خالد وصلبه بواسط.. »[10] وقبله قال ابن قتيبة «وأما المغيرة فكان مولى لبجيله وكان سبئيا.. »[11]،

(١) ابن حبان : المجروحين ج ٨/٣

(٢) الملل والنحل ــ حاشية الفصل ــ ج ١٣/٢

(٣) الفصل.. ج ١٨٤/٤

(٤) ابن حجر : لسان الميزان ج ٧٦/٦

(٥) الملل والنحل ــ حاشية الفصل ــ ج ١٤/٢ ــ والآية رقم ١٦، سورة الحشر

(٦) الاعلام ج ١٩٩/٨

(٧) ميزان الاعتدال ج ١٦١/٤

(٨) تاريخ الطبري ج ١٢٨/٨

(٩) المحبر ــ ص ٤٨٣

(*) هكذا «سعد» عند ابن عبد ربه، وفي المصادر الأخرى اسمه « المغيرة بن سعيد »

(١٠) العقد الفريد ج ٢١٩/٢

(١١) عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ) ج ١٤٩/٢

ومن الآثار السيئة التي خلفها « المغيرة » أنه كان يضع الحديث[1].

ومن نماذج ذلك ـ فوق ما تقدم ـ أنه كان يقول في قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل : علي، والاحسان فاطمة، وايتاء ذي القربى : الحسن والحسين، وينهى عن الفحشاء والمنكر : قال فلان أفحش الناس، والمنكر فلان[2] حتى قال فيه ابن عدى : لم يكن بالكوفة ألعن من المغيرة ابن سعيد فيما يروى عنه من الزور عن علي، هو دائم الكذب على أهل البيت، ولا أعرف له حديثا مسندا[3].

ومن آثاره ـ أيضا ـ أنه خلف فرقة نسبت اليه، وهم « المغيرية » الذين قالوا بنبوته، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة[4].

٥ ـ جابر الجُعفي (١٢٨هـ) :

هو ابن يزيد بن الحارث الجَعفي الكوفي، وهو خليفة « المغيرة بن سعيد » بعد أن أحرقه القسري على ما قيل[5]

ذكره « ابن حبان » في عداد السبئية حيث قال : كان جابر سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول : ان عليا ـ عليه السلام ـ يرجع إلى الدنيا[6].

أما القول بالعقيدة « السبئية » للجعفي فلم تكن قصرا على ابن حبان وحده، فقد روي عن ابن عيينة أن جابر الجعفي كان يقول : علي دابة الأرض[7] وعاب أقوام على الجعفي قوله : حدثني وصي الأوصياء ! فقال سفيان : هذا أهونه[8]. وعن محمد بن سليمان بن فارس، ثنا

---

(١) ابن حبان : المجروحين ج ٧/٣، وفي فصل خاص عقده ابن حبان في ذكر انواع جرح الضعفاء قال : « فأما النوع الأول من أنواع الجرح في الضعفاء. فهم الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء..» ثم ذكر المغيرة بن سعيد ضمن هذا النوع (المجروحين ج ٦٢/١ـ٦٣

(٢) ميزان الاعتدال ج ١٦١/٤

(٣) الميزان ج ١٦٢/٤ ـ لسان الميزان ج ٧٧/٦.

(٤) ابن حزم، الفصل ج ١٨٤/٤

(٥) ابن حزم، الفصل ج ١٨٤/٤

(٦) المجروحين ج ٢٠٨/١

(٧) ميزان الاعتدال ج ٣٨٤/١

(٨) المرجع نفسه ج ٣٨٣/١

محمد ابن اسماعيل البخاري ثنا الحميدي، سمعت سفيان بن عيينة يقول : جابر الجعفي يؤمن بالرجعة[١] وأورد الامام « مسلم » في مقدمة صحيحه أكثر من رواية تؤكد عقيدة الرجعة عند الجعفي[٢]. وقال جرير بن عبد الحميد[٣] : لا أستحل أن أحدث عن جابر الجعفي، كان يؤمن بالرجعة[٤].

ومما يؤكد عقيدة الرجعة عند الجعفي ما روي أنه سئل عن قوله تعالى « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي »[٥] قال لم يجيء تأويلها بعد !، وهو بهذا يشير إلى عقيدة الرجعة، وأن عليا في السماء لا يخرج مع من يخرج من ولده، حتى ينادي مناد من السماء : اخرجوا مع فلان، حتى قال سفيان بن عيينة ـ وهو يسوق هذا التأويل عند الجعفي ـ كان يؤمن بالرجعة، لا ترووا عنه كذباً، بل كانوا اخوة يوسف[٦].

وفوق قول الجعفي بأن عليا دابة الأرض، واعتقاده بالوصية والرجعة ـ وهي من عقائد السبئية ـ فقد كان رافضيا يشتم اصحاب النبي ﷺ ![٧].

أما عن مدى صحة ما ينقله من أخبار أو أحاديث فيقول الامام أبو حنيفة ـ عليه رحمة الله ـ : ما لقيت فيمن لقيت اكذب من جابر الجعفي، ما أتيته بشيء قط من رأي الا جاءني فيه بحديث، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث عن رسول الله ﷺ لم ينطق بها ![٨].

---

(١) المجروحين ج ٢٠٩/١

(٢) صحيح مسلم (بشرح النووي) ج ١٠١/١، ١٠٢

(٣) هو جرير بن عبد الحميد الضبي، محدث الري في عصره، رحل إليه المحدثون لسعة علمه، كان ثقة صحيح الكتاب، له مصنفات كثيرة، مولده ووفاته بالري، وهو كوفي الأصل مات سنة ١٨٨ هـ (الكاشف ج ١٨٢/١، التقريب ج ١٢٧/١ الاعلام ج ١١١/٢)

(٤) ميزان الاعتدال ج ٣٨٠/١

(٥) سورة يوسف، آية

(٦) ميزان الاعتدال ج ٣٨٢/١، التهذيب ج ٤٩/٢

(٧) التهذيب، لابن حجر ج ٤٩/٢

(٨) المجروحين ج ٢٠٩/١

ولهذا ذكره الامام مسلم ـ رحمه الله ـ في مقدمة صحيحة في باب « الكشف عن معايب رواة الحديث »، ثم ساق الخبر بسنده الى الجرّاح بن مليح قال : سمعت جابرا يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر[1] عن النبي ﷺ كلها[2].

ويقول سلاّم بن أبي مطيع : جابر الجعفي يقول عندي خمسون ألف حديث عن النبي ﷺ [3]

كما وضعه « ابن حبان » ضمن أنواع المجروحين حينما عده من المبتدعة الذين يدعون الناس الى بدعتهم، والتي يلزم الباحثين معرفتها ليعرفوا أصحابها..[4].

ويقول ابن سعد : كان يدلس وكان ضعيفا في رأيه ورؤيته[5] ولهذا كله قال النسائي وغيره : متروك، لا يكتب حديثه ولا كرامة[6]، وقال بعضهم : كنت اذا مررت بجابر الجعفي سألت ربي العافية[7].

والذي يبدو من هذا كله أن جابرا كان يروي الموضوعات والغرائب، ويؤكد هذا أن « شعبه » حينما سأل عنّ الرواية عنه مع تركه لغيره قال : روى أشياء لم نصبر عنها[8].

كانت وفاة الجعفي سنة ١٢٨هـ على ما ذكره ابن حبان[9] وذكر الذهبي أنه مات سنة ١٦٧هـ[10] أما ابن حجر فهو أقرب الى ما ذكر ابن حبان حيث قال ان وفاته سنة ١٢٧هـ، وقيل سنة ١٣٢هـ[11].

---

(١) أبو جعفر هذا هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالباقر، لأنه بقر العلم أي شقه وفتحه فعرف أصله وتمكن فيه، وهو خامس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية، توفي سنة ١١٤ هـ (النووي على صحيح مسلم ١٠٢/١ والاعلام للزركلي ج ١٥٣/٧)

(٢) صحيح مسلم (شرح النووي ج ١٠٢/١

(٣) المرجع نفسه شرح النووي ج ١٠٢/١

(٤) المجروحين ج ٨١/١، ٨٢

(٥) انظر : ابن حجر، تهذيب التهذيب ج ٤٩/٢

(٦) ميزان الاعتدال ج ٣٨٠/١

(٧) المصدر نفسه ج ٣٨٠/١

(٨) المجروحين ج ٢٠٩/١

(٩) المجروحين ج ٢٠٨/١

(١٠) ميزان الاعتدال ج ٣٨٤/١

(١١) تقريب التهذيب ج ١٢٣/١.

٦ ـ الكلبي : (ت ١٤٦هـ) :

هو أبو النضر محمد بن السائب الكلبي، صاحب التفسير، والنسابة المشهور، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها، وهو من « كلب بن وبره » من « قضاعه »، شاهد الكلبي وقعة « دير الجماجم » مع ابن الأشعث، توفي سنة ١٤٦هـ[١].

لن أستطرد في الحديث عن الكلبي في مجال نشأته وحياته، والذي يهمني التعرف على فكره ومعتقده، ثم الالتفات الى آثاره وما خلفه، وخاصة في مجال التفسير والحديث ذؤابة التراث الاسلامي.

جاء في المجروحين : « وكان الكلبي سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ »[٢] وفي وفيات الأعيان : « .. وكان الكلبي المذكور من أصحاب عبد الله بن سبأ.. »[٣] ويقول يزيد ابن زريع[٤] : رأيت الكلبي يضرب صدره ويقول : أنا سبائي، أنا سبائي[٥]. وعن التبوذكي، سمعت هماما يقول : سمعت الكلبي يقول : أنا سبائي[٦].

واذا كان الأمر كذلك في معتقده، فان معرفة آثاره ترتبط بمعرفة ما قيل فيه جرحا أو تعديلا.

---

(١) وفيات الأعيان ج ٣٠٩/٤، الاعلام للزركلي ج ٣/٧
(٢) المجروحين ج ٢٥٣/٢
(٣) وفيات الاعيان ج ٣١٠/٤
(٤) هو الحافظ يزيد بن زريع البصري، أبو معاوية، محدث البصرة في عصره، قال عنه الامام أحمد : إليه المنتهي في التثبت في البصرة، قال عنه صاحب التقريب ثقة ثبت، توفي سنة ١٨٢ هـ (الكاشف ج ٢٧٧/٣، تقريب التهذيب ج ٣٦٤/٢، الاعلام ج ٢٣٥/٩).
(٥) تهذيب التهذيب ج ١٧٩/٩.
(٦) ميزان الاعتدال ج ٥٥٨/٣

قال معتمر بن سليمان عن أبيه : كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي[1] . ويقول ابن الجوزى : « ..والكذابون والوضاعون خلق كثير... وكان من كبار الكذابين وهب بن وهب القاضي[2] ومحمد بن السائب الكلبي.. »[3].

وقال الساجي : متروك الحديث، وكان ضعيفا جدا لفرطه في التشيع وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع..[4] ويقول الحاكم : انه روى عن أبي صالح أحاديث موضوعه[5].

وذكره صاحب « تذكرة الموضوعات » في عداد الوضاعين الكذابين[6] ويقول أبو حاتم عن الكلبي : مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج الى الاغراق في وصفه[7]. بل قد اعترف الكلبي على نفسه بالكذب روى البخاري ـ بسند صحيح ـ عن سفيان الثورى قال : قال لي الكلبي : « كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب »[8].

فان قيل فما بال الثورى يروي عنه ـ وهو بهذه المنزلة ؟ فالجواب ما ذكره الثورى نفسه : اتقوا الكلبي فقيل : فانك تروي عنه، قال : أنا أعرف صدقه من كذبه[9].

ولم تكن أكاذيب الكلبي وموضوعاته من القلة بحيث لا تحتاج الى مزيد من البيان، وكما كان يضع في الحديث، فقد كانت له أكاذيب في التفسير، حتى إن اشهر المفسرين أبا جعفر الطبري تحاشا النقل عنه، وعن أمثاله في تفسيره (جامع البيان) كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن

---

(١) التهذيب ج ١٧٨/٩

(٢) هو أبو البختري وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعه.. من قريش، كان عالما بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ في المدينة، ثم انتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، متهم بوضع الحديث، قال عنه الامام أحمد : هو أكذب الناس وقال ابن الجارود : كان عامة الليل يضع الحديث، وقال فيه المعافي التميمي :

ويــــل وعـــــول لأبي البختـــــــري ... إذا توافى النـــــــاس في المحضر

كانت وفاته سنة ٢٠٠ هـ (الزركلي. الأعلام ١٤٠/٩)

(٣) الموضوعات ج ٤٧/٧

(٤) التهذيب ج ١٨٠/٩، ١٨١

(٥) المرجع نفسه ج ١٨١/٩

(٦) قانون الموضوعات والضعفاء (ذيل كتاب تذكرة الموضوعات) لمحمد طاهر علي الفتني الهندي ص ٢٩٠

(٧) المجروحين ج ٢٥٥/٢

(٨) ميزان الاعتدال ج ٥٥٧/٣، الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (المكتب الاسلامي) المجلد الأول ١١/٢.

(٩) ميزان الاعتدال ج ٥٧٧/٣

تيمية[1] وياقوت الحموي[2] ويروى عن الامام أحمد قوله : ثلاثة كتب ليس لها أصول : المغازي، والملاحم والتفسير[3]، وفسّر قوله هذا بأنه محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، ومن أشهر كتب التفسير في هذا المجال : كتابا الكلبي ومقاتل، كما حكى ذلك الخطيب في جامعه[4].

ويؤيد هذا اجابة أحمد حينما سأل : أيحل النظر في تفسير الكلبي ؟ قال : لا[5] وكان يقول : تفسير الكلبي من أوله الى آخره كذب[6].

وكيف يمكن الثقة بتفسيره، وقد روي عنه قوله : كان جبرائيل يملي الوحي على النبي ﷺ، فلما دخل النبي ﷺ الخلاء جعل يملي على علي !![7]

كما روي عنه قوله : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد فتفلوا في فيّ، فحفظت ما كنت نسيت[8].

وكان أبو اسحاق النظام يقول : « لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين، وإن نصبوا أنفسهم للعامة، وأجابوا في كل مسألة، فان كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب اليهم، وليكن عندكم « عكرمة، والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر بن الأصم في سبيل واحدة فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن الى صوابهم.. »[9].

وكأنه بهذا يشير الى الضعف في الكلبي وأمثاله، وان اندسوا مع كثير من المفسرين الموثقين. وفوق ذلك كله فقد كان الكلبي ممن عرف بنعوت واسماء مختلفة يظن أنها نعوت

---

(١) الفتاوي ج ١٣/٣٨٥
(٢) معجم الأدباء ج ١٨/٦٤
(٣) الملا علي القاري : الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (مؤسسة الرسالة) ص ٣٣٩
(٤) المرجع نفسه ص ٣٩٩
(٥) ميزان الاعتدال ج ٣/٥٥٨
(٦) الأسرار المرفوعة ص ٤٠٠
(٧) ميزان الاعتدال ج ٣/٥٥٨
(٨) تهذيب التهذيب ج ٩/١٧٩
(٩) الجاحظ، الحيوان ج ١/٣٤٣

لأناس كثيرين فهو محمد السائب الكلبي صاحب التفسير وهو أبو النضر الذي روى عنه محمد بن اسحاق حديث « ذكاة كل مسك دباغة » وهو أبو سعيد الذي يروي عنه « عطية العوفي »، في التفسير يدلس به موهما أنه أبو سعيد الخدري[1].

وبالجملة فهذا لا يعني حصر نماذج السبئية كلها، كما لا يعني حصر آثارهم بجملتها، فنحن نطالع – مثلا – نصين في الطبري يشير أحدهما الى خوض السبئية وطعنها على عليّ من وراء وراء[2] وذلك بعد أن قسّم علي على من شهد معه وقعة الجمل، من المال الذي وجده في بيت المال.

أما النص الآخر فيكشف عن خطر آخر للسبئية، فهم يستعجلون عليا عن المقام بالبصرة، ويرتحلون بغير إذنه ثم يرتحل عليّ في آثارهم ليقطع عليهم أمرا كانوا أرادوه[3].

كما أن هناك نصوصاً أخرى تؤكد وجود جماعة من الناس تأثرت بابن سبأ، وافتتنت به ففي البصرة وحينما طرح ابن سبأ بعض أفكاره ولم يصرح على نفر من أهلها قبلوا منه واستعظموه[4]. وفي الكوفة ومصر يقول ابن كثير : « .. فافتتن به (يعني ابن سبأ) بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا الى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة فتمالؤوا على ذلك.. »[5].

وأخيرا فهناك نصوص ثالثة تبين عن جماعة من الناس كانت وراء الفتنة التي انتهت بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه. فابن سعد يقول ان مقتل عثمان كان على يد جماعة اتفقوا على الشر ![6].

وقال عنهم الذهبي : رؤوس شر وأهل جفاء[7].

وليس بمستبعد أن يكون من هؤلاء أو أولئك من يشكل نموذجا، أو نماذج من السبئية، تضاف الى النماذج السابقة.

---

(١) ابن الصلاح، علوم الحديث (نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة) ص ٢٩٠، ٢٩١، البغدادي موضح أوهام الجمع والتفريق (دائرة المعارف العثمانية الهند) ج ٣٥٥/٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥٤١/٤

(٣) تاريخ الطبري ج ٥٤٣/٤، ٥٤٤

(٤) تاريخ الطبري ج ٣٢٦/٤

(٥) البداية والنهاية ج ١٨٣/٧

(٦) الطبقات ج ٧١/٣

(٧) دول الاسلام ج ١٢/١

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أكمل الله به الرسالات.. وبعد : فان الذي يبرز من خلال البحث عدة نقاط نجملها فيما يلي :

١ — البحث يكشف عن حقيقة وجود « عبد الله بن سبأ » وجودا تؤكده الروايات القديمة وتفيض به كتب المقالات والفرق، والغالبية من كتب التراث وأخبار الشيعة المتقدمين، وسار على نهج هؤلاء المحققون من الباحثين المحدثين.

٢ — يبدو أن أول من شكك في وجود « ابن سبأ » بعض المستشرقين، ثم دعّم هذا الغالبية من الشيعة المحدثين، وأنكر بعضهم وجوده، وبرز مع هذه المجموعة من أولع بآراء المستشرقين ومن تأثر بكتابات الشيعة المحدثين، ولكن هؤلاء وأولئك ليس لهم من دعائم الشك الا الشك ذاته وقد سبق البيان..

٣ — التوصل الى حقيقة وجود « ابن سبأ » يكشف لنا عن الغموض المكتنف لبعض روايات الفتنة، ويجلّي عاملا خطيرا من عوامل الفتنة المنتهية بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

٤ — كما يكشف البحث ـ أيضا ـ أثر ابن سبأ وأعوانه في الفتنة في خلافة علي رضي الله عنه مبرزا الدور الذي قاموا به في « وقعة الجمل »، ويستمر دورهم في الافساد حتى بعد أن استقر الأمر لعلي وأمّر عبد الله ابن عباس على البصرة، وولي زياد ابن أبي سفيان الخراج وبيت المال، فالسبئية يعجلون عليا عن القيام ويرتحلون بغير إذنه، فيرتحل علي في أثرهم ليقطع عليهم أمرا ان كانوا أرادوه[1].

وقبل ذلك وحينما فرغ علي رضي الله عنه من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فاذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل خمسمائة خمسمائة، وقال : لكم إن أظفركم الله بالشام مثلها الى اعطياتكم » وخاض في ذلك السبئية وطعنوا على علي من وراء وراء »[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥٤٣/٤، ٥٤٤

(٢) المصدر نفسه ج ٥٤١/٤

٥ ـ ونقف في الأخير على حقيقة اتباع ابن سبأ، فهو ليس وحده بل هناك طائفة تقول بقوله وتعتقد ما يعتقده، وقد نسبت اليه واطلق عليها « السبئية ».

٦ ـ البحث وان كان ينتهي دون أن يحدد نهاية ابن سبأ، بعد أن يثبت وجوده بعد استشهاد علي، اذ أنه قال لمن جاء ينعى اليه قتل علي : لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا أنه يموت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا !!، نقول مع هذا الغموض في تحديد النهاية [1] الذي يقابله غموض في المبدأ والنشأة، فان ذلك لا ينتصب دليلا على الانكار أو حتى عاملا من عوامل التشكيك وقد سبق توضيح ذلك.

ومع ذلك فانني أخلص من هذا البحث مؤكدا النتائج الآتية :

أولا : أن عبد الله بن سبأ هو أصل التشيع، والبراهين على ذلك ما يلي :

أ ـ عقائد الشيعة لا تختلف كثيرا عن الأفكار والمعتقدات التي جاء بها عبد الله بن سبأ، فمثلا اذا قال الشيعة في القرآن ـ كما جاء في الكافي ـ معزواً الى أبي عبد الله (جعفر الصادق)[2] أنه قال :

وان عندنا لمصحف فاطمة عليه السلام، قال أبو بصير (راوي الخبر) قلت وما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[3].

اذا قال الشيعة ذلك وجدنا أصل معتقدهم هذا قد جاء به عبد الله بن سبأ حينما قال : ان القرآن جزء من تسعة اجزاء وعلمه عند علي.. [4].

واذا كان من عقائد الشيعة المغالاة في الأئمة ـ وخاصة علي ـ حتى عقد فخر

---

(١) ترجم الزركلي لابن سبأ في الاعلام، فلم يحدد مولده، أما وفاته فقال : نحو سنة ٤٠ هـ (ج ٤/٢٢٠).

(٢) هذه الرواية كغيرها من الروايات الكثيرة التي ينسبها الشيعة كذبا وزورا إلى جعفر الصادق ـ عليه رحمة الله ـ ذلك الرجل الذي أخذ عنه الامامان أبو حنيفة ومالك، وقال عنه أبو حنيفة ما رأيت أفقه منه، وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني للمنصور، كما قيل عنه أنه فقيه، إمام، توفي سنة ١٤٨ هـ.
(انظر الكاشف للذهبي ١/١٨٦، تقريب التهذيب ج ١/١٣٢، معجم المؤلفين ج ٣/١٤٥).

(٣) الكليني : الكافي ج ١/٢٣٩

(٤) الجوزجاني : الضعفاء ٣ / ب

الشيعة : الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ في احدى كتبه بابا سماه : « القول في علم الأئمة (ع) بالضمائر والكائنات، واطلاق القول عليهم بعلم الغيب، وكون ذلك لهم في الصفات »(١).

وقبله قال الكليني (٣٢٨هـ) : « ان الامام اذا شاء أن يعلم علم »(٢) وعقد بعد ذلك بابا » ان الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون الا باختيار منهم »(٣).

ومن الشيعة المحدثين يقول الخميني : « ان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون(٤) ويقول أيضا : « وان من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل »(٥).

اذا اعتقد المتقدمون والمتأخرون من الشيعة بهذه العقيدة، التي تعطي الأئمةصفات الألوهية فاننا نجد أن « ابن سبأ » هو الذي وضع لهم أساس هذه العقيدة ـ كما تقدم بيانه ـ حتى قال ابن قتيبة : عبد الله بن سبأ أول من كفر من الرافضة وقال علي رب العالمين(٦).

وإذا كان من بين العقائد التي جاء بها « ابن سبأ » القول بالوصية والرجعة (كما تقدم) وجدنا الشيعة يدينون بها، ففي الأصول : « .. فكان علي عليه السلام، وكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر، وميراث العلم، وآثار علم النبوه.. »(٧)

ويقول الشيعة عن الرجعة : « واتفقت الامامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وان كان بينهم في معنى الرجعة خلاف.. »(٨)

---

(١) أوائل المقالات (منشورات المكتبة الحيدرية / النجف ١٣٩٣ هـ ـــ ١٩٧٣ م، ص ٨٠
(٢) الأصول من الكافي للكليني ج ٢٥٨/١
(٣) المصدر نفسه ج ٢٥٨/١
(٤) الحكومة الاسلامية ص ٥٢
(٥) الحكومة الاسلامية للخميني ص ٥٢
(٦) المعارف ص ٢٦٧
(٧) الكليني : الأصول من الكافي ج ٢٩٤/١
(٨) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٥١

واذا كان عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم[1] وجدنا كتب الشيعة تمتلىء بسب الصحابة والبراءة من أعمالهم حتى قال شيخهم المفيد :

« واتفقت الامامية والزيدية والخوارج على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين « ع »، وأنهم بذلك في النار مخلدون »!![2].

ويقف الكليني عند الآية « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم »[3] ليقول : انها نزلت في فلان وفلان وفلان آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية[4].

وهو يقصد في فلان وفلان وفلان : أبو بكر وعمر وعثمان، كما أبان عن ذلك شارح الكافي[5].

والقول « بالبداء » من عقائد السبئية، كما أشار الى ذلك الملطي وغيره[6] والشيعة يقولون بالبداء، حتى عقد « الكليني » في كتاب التوحيد «باب البداء » وساق فيه من الأخبار : « ما تنبأ بني قط حتى يقر لله خمس خصال : بالبدأ، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة »[7].

ونقل أيضا : « لو يعلم الناس ما في القول بالبدأ من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه » [8].

ولعل في ذلك كفاية لبيان الحقيقة، والا فقد يجد الدارس لأفكار عبد الله بن سبأ عند المقارنة بينها وبين عقائد الشيعة أشياء غير هذه..

---

(١) القيمي : المقالات والفرق ص ٢٠، النوبختي : فرق الشيعة ص ١٩

(٢) أوائل المقالات ص ٤٨

(٣) الملاحظ أن هذه الآية التي ذكرها الكليني جزء من آية ١٣٧، النساء وجزء من آية ٩٠ في سورة آل عمران.

(٤) الأصول من الكافي ج ٣٢٠/١

(٥) الصافي شرح الكافي ط ايران (بالفارسية) نقلا عن احسان الهي ظهير : الشيعة والسنة ص ٤٢.

(٦) الملطي : التنبيه والرد ص ١٩ وانظر : احسان الهي ظهير : الشيعة والسنة ص ٦٣.

(٧) الأصول من الكافي : ج ١٤٨/١.

(٨) المصدر نفسه ج ١٤٨/١.

ب ــ ولا يستطيع الشيعة البراءة من ابن سبأ والسبئية، ذلك لأن من بين السبئية أفراد، بل علماء من الشيعة فجابر الجعفي (أحد السبئية) يقول عنه الذهبي : « من أكابر علماء الشيعة »[1] كما أشار الى رافضيته ابن حجر العسقلاني[2].

والمغيرة بن سعيد قال عنه ابن حبان : شيخ من حمقى الروافض[3] وفي لسان الميزان ما يؤكد ذلك[4].

أما الكلبي (وهو واحد من السبئية أيضا) فالذي حفظ عنه علماء الجرح والتعديل هو : افراطه في التشيع[5].

جـ ــ وفوق هذا وذاك فهناك نصوص صريحة تدل ــ من قريب أو بعيد ــ على أن عبد الله بن سبأ هو أصل الرافضة، فابن قتيبة ــ كما مر ــ يقول : وكان ابن سبأ أول من كفر من الرافضة، ويقول الاسفرايني عن ابن سبأ : كان من غلاة الرافضة[6]، ونقل مثل ذلك الذهبي[7].

ويكشف ابن تيمية الحقيقة أكثر فيقول : « .. وأول من ابتدع الرفض كان منافقا.. »[8].

وينقل في موضع آخر قول أهل العلم : « إن مبدأ الرفض انما كان من الزنديق عبد الله ابن سبأ »[9].

ويقول في منهاج السنة : « .. ان أول من ابتدع الرفض والقول بالنص على علي وعصمته كان منافقا زنديقا أراد افساد دين الإسلام.. »[10].

---

(١) الكاشف ج ١٧٨/١

(٢) تهذيب التهذيب ج ٤٩/٢، التقريب ج ١٢٣/١

(٣) المجروحين ج ٧/٣

(٤) ابن حجر : لسان الميزان ج ٧٦/٦

(٥) تهذيب التهذيب ج ١٨٠/٩

(٦) التبصير في الدين ص ١٠٨

(٧) المغني في الضعفاء ج ٣٣٩/١

(٨) الفتاوي ج ٣٥٣/٣

(٩) المصدر نفسه ج ٤٨٣/٢٨

(١٠) منهاج السنة ج ٢٦١/٣.

ولم تكن هذه التصريحات قصرا على أهل السنة وحدهم، بل ذكرها بعض علماء الشيعة، فالقمي ـ مثلا ـ أثناء حديثه عن ابن سبأ وما جاء به يقول : « .. فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية[1] دون أن يعلق على ذلك شيئا في موضعه ومثل ذلك يصنع « النوبختي » في فرقه[2].

ويربط ابن المرتضي (وهو معتزلي ينتسب لآل البيت، ومن أئمة الشيعة الزيدية)[3]، مباشرة بين التشيع وظهوره بعبد الله بن سبأ فيقول : « وأما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول، ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي جلي متواتر، ولا في اثني عشر كما زعموا.. وقد مر أن أول من أحدث هذا القول عبد الله بن سبأ ولم يظهر قبله »[4].

وأخيرا يقول المستشرق الألماني « فلهوزن » : « ان مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ على أنه مؤسسه انما يرجع الى اليهود أقرب من أن يرجع الى الايرانيين.. »[5].

---

(١) المقالات والفرق ص ٢٠
(٢) فرق الشيعة ص ٢٠
(٣) انظر : عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ص ٥
(٤) ابن المرتضي : فرق وطبقات المعتزلة (دار المطبوعات الجامعية / الاسكندرية ١٩٧٢ م) ص ١٣.
(٥) الشيعة والخوارج ص ١٧٠، ١٧١.

ثانيا : من خلال الموازنة والتحقيق يتبين أن السبئية أصل تفرعت عنه فرق أخرى من فرق الضلال التي نبتت في مجتمع المسلمين، كما أن ابن سبأ لم ينته شأنه بموته وانما استمرت آثاره ـ في مجتمع المسلمين ـ بفعل من جاء بعده متأثرا بأفكاره، ومتشبعا بمعتقداته وسنذكر نموذجين لذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ :

١ ـ طائفة المغيرية : وهذه منسوبة الى المغيرة بن سعيد ـ أحد السبئية كما مر معنا ـ فالمغيرة الذي توفي في القرن الثاني (١١٩هـ) لم يأت بشيء جديد وهو يعلن الأفكار التي سبق أن بيناها (في الفصل الخامس) وانما سبقه اليها، ووضع جذورها له عبد الله بن سبأ على أن الأمر لا يتعلق بذات المغيرة، فقد كان أتباع (المغيرة) يسلمون القياد له في حياته، وحينما قتل اختلفوا فيه، فمنهم من قال بانتظاره رجعته، ومنهم من قال بانتظار امامة محمد بن عبد الله ابن الحسن (الخارج بالمدينة) كما كان يقول المغيرة بانتظاره فقد قال لهم : انتظروه فانه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام[١].

وهؤلاء الذين قالوا بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن أنكروا قتل جند المنصور له بالمدينة وقالوا ان المقتول انما كان شيطاناً تمثل للناس بصورة محمد بن عبد الله بن الحسن »[٢].

وقبل ذلك قال ابن سبأ حينما نعي اليه خبر قتل علي فقال : ان المقتول لم يكن علي وانما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي..[٣] فهل تعدو أكفار هذه الطائفة أفكار عبد الله ابن سبأ ؟!

واذا كان «خالد بن عبد الله القسري» قد أراح المسلمين من باقي شره، حينما قتله، فصاحب «المحبّر» يقول ان خالدا حرّق المغيرية بالنار[٤] ويقول ابن كثير بعد أن ذكر احراق خالد للمغيرة : «وكذلك فعل ببقية أصحابه»[٥]وأصحابه هؤلاء «المغيرة» كان لهم عدد ضخم بالكوفة كما يقول ابن حزم[٦].

---

(١) الملل والنحل (حاشية الفصل ج ٢/١٢٠ـــ١٢٢
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣٢
(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٣
(٤) محمد بن حبيب ـــ المحبر ص ٤٨٣
(٥) البداية والنهاية ج ٩/٣٦٣
(٦) الفصل.. ج ٤/١٨٤

٢ ــ المختار بن أبي عبيد الثقفي :

من أهل الطائف، وانتقل الى المدينة مع أبيه في زمن عمر رضي الله عنه، وتوجه أبوه الى العراق فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعا الى بني هاشم، ثم كان مع علي رضي الله عنه بالعراق، وسكن البصرة بعد علي[١].

وتتوالى الأحداث عن المختار، ويعظم شأنه، ويكثر أتباعه، ويعلن آراءً غريبة.. ولسنا هنا بصدد سرد هذه الأحداث ــ فذلك لا يعنينا ــ وانما نسجل هنا ما يساعدنا على كشف حقيقته ومدى ارتباطه بالسبئية، وتأثره بعبد الله بن سبأ.

فهو في البداية أحد الغلاة من الرافضة، كما ذكر ذلك ابن قتيبه[٢] وهو في ذلك تابع لابن سبأ زعيم الغلاة.

كما قيل انه ادعى النبوه، وأعلن أن الوحي ينزل عليه، فعن رفاعة القتباني[٣] قال : دخلت على المختار فألقى لي وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل، قام عن هذه لألقيتها لك[٤]، وحينما قيل لابن عمر رضي الله عنه : ان المختار يزعم أن الوحي يأتيه قال : صدق، قال تعالى : وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم[٥].

كما كان عكرمة رضي الله عنه، يعرّض بدعوى المختار للوحي فيقول : قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني عنده وكان يتعاهد مبيتي بالليل، قال : فقال لي : اخرج فحدث الناس، قال : فخرجت فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي ؟ فقلت الوحي وحيان قال الله تعالى «بما أوحينا إليك هذا القرآن» وقال تعالى «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا» قال : فهموا أن يأخذوني فقلت : مالكم وذاك ! اني مفتيكم وضيفكم فتركوني..[٦]

---

(١) الزركلي : الاعلام ج ٧٠/٨

(٢) المعارف ص ٢٦٧

(٣) هو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس القتباني (ووقع عند ابن كثير القبابي، ولعل ذلك خطأ مطبعي) أبو عاصم الكوفي، وثقه ابن حجر، وعده من كبار الطبقة الثالثة (الذهبي : الكاشف ج ٣١١/١، ابن حجر : التقريب ج ٢٥١/١)

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣١٣/٨

(٥) المصدر نفسه ج ٣١٣/٨

(٦) المصدر نفسه ج ٣١٣/٨

وإذا كانت تلك دعوى المختار في النبوة، وتصديق اتباعه له فيها، فقد سبقهم إلى ذلك ابن سبأ وطائفته السبئية حينما قالوا بنبوة علي رضي الله عنه — كما تقدم، على أننا بالاستقراء نصل إلى حقائق أكثر، فالسبئية هم الذين حملوا المختار على دعوى النبوة حينما قالوا له :

«أنت حجة هذا الزمان، وحملوه على دعوى النبوة فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه..»[1].

ولم تقف مفتريات «المختار» عند هذا الحد، بل قال بالبداء، تلك العقيدة التي ترجع في أصولها الى «ابن سبأ» و «السبئية» كما أشار الى ذلك الملطي[2].

وقد قال المختار بالبداء حينما انهزم أمام جيش «مصعب بن الزبير» فقال له أتباعه ألم تكن قد وعدتنا بالنصر ؟ فقال : ان الله وعدني بالنصر لكنه بداله !! وقرأ قوله تعالى : «يمحو الله ما يشاء ويثبت»[3] حتى قال ابن الأثير : «فقيل أن المختار أول من قال بالبداء»[4].

وللمختار اتباع يقال لهم : «الكيسانية»، وعنهم قال ابن قتيبه : الكيسانية من الرافضة هم أصحاب المختار بن أبي عبيد..[5] وهذه الفرقة وان كانت قد افترقت فرقا — فهي تجتمع على أمرين : القول بامامة محمد بن الحنفية — الذي كان يدعو له المختار — والقول بجواز البداء على الله[6] تعالى الله عما يقول المبطلون علوا كبيرا.

وإذا كنا قد أبنّا شيئا عن تأثر «المختار» «بعبد الله بن سبأ»، فمن المرجح أن يكون للسبئية وجود بين أتباعه. وهذا الوجود كان يظهر بين الفينة والأخرى، ويبلغ من قوته أن يملي على المختار مواقف معينة، وقد مر معنا — قبل قليل — أن السبئية هم الذين حملوا المختار على

---

(١) البغدادي : الفرق بن الفرق ص ٣٤
(٢) التنبيه والرد ص ١٩
(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٦، وابن الأثير : الكامل فيالتاريخ ج ٤/٢٧١
(٤) الكامل ج ٤/٢٧٢
(٥) المعارف : ص ٢٦٧
(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٧

دعوى النبوة، ونضيف هنا أن صوت السبئية كان ظاهرا في خرافة الكرسي[1]، التي تشبّث بها المختار قائلا :

«انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الأمة مثله، وانه كان في بني اسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وان هذا (يعني الكرسي) فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه فكشفوا عنه أثوابه، وقامت السبئية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا، فقام شبث ابن ربعي وقال : يا معشر مضر لا تكفرنّ، فنحّوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه..»[2].

وفي ذلك قال الشاعر :

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وأني بكم يا شرطة الشرك عارف
وأقسم ماكر سيكم بسكينة ... وان كان قد لفّت عليه اللفائف

... الخ[3]

وأقرب ما نستنتجه من ذلك أن السبئية كانوا أبرز جنود المختار، ولعل مما يؤيد ذلك ما ذكره «البغدادي» ان السبئية مع عبيد أهل الكوفة كانوا هم السند الذين اعتمد عليهم المختار حينما خرج عليه أهل الكوفة بسبب تكهّنه..[4].

وجملة القول فليس بمستغرب ـــ بعد ذلك ـــ أن يقول المستشرق «فلهوزن» ـــ وهو يتحدث عن قتال المختار للعرب، مستعينا عليهم بالموالي والسبئية : «.. ومن هنا اضطر المختار

---

(١) في بيان حقيقة هذا الكرسي وسبب اتخاذ المختار له نقل الطبري عن « طفيل بن جعدة بن هبيره» قوله : « أعدمت مرة من الورق فإني لكذلك إذ خرجت يوما فإذا زيّات جارٌ لي، له كرسي قد ركبه وسخ شديد فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا ! فرجعت فأرسلت الى الزيات : أرسل اليّ بالكرسي، فأرسل إليّ به، فأتيت المختار فقلت : إني كنت أكتمك شيئا لم استحلّ ذلك، فقد بدا لي أن أذكره لك، قال : وما هو ؟ قلت : كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من علم، قال : سبحان الله ! فأخرت هذا الى اليوم ! ابعث إليه، ابعث إليه، قال : وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرّب الزيت، فخرج يبصّ، فجيء به وقد غشي، فأمر لي باثنى عشر ألفا، ثم دعا الصلاة جامعة » (تاريخ الطبري ج ٦/٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦/٨٣

(٣) المصدر نفسه ج ٦/٨٣

(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٥.

إلى خوض الكفاح ضدهم، والى الارتماء بكليته في أحضان الموالي والسبئية»[١].

بل لعله يكشف لنا الحقيقة أكثر حينما يقول في موضع آخر :

«والحقيقة أن السبئية لم يصبح لهم شأنهم التاريخي الا على يد المختار التقفي، وان كانوا قد كانوا موجودين قبل ذلك..»[٢].

نكتفي بهذين النموذجين، ونعود مرة أخرى لنؤكد امتداد السبئية واستمرار آثار ابن سبأ على من قال بقوله، ونؤكد ذلك بنصين، أورد إحداهما أبو حاتم الرازي (٣٢٢ هـ) وهو يتحدث عن السبئية فقال :

«.. ومن السبئية انشعبت أصناف الغلاة وتفرقوا في المقالات ومنهم أصناف الكيسانية، ومن الغلاة البيانية والنهدية..»[٣]

وأورد النص الآخر «الشهرستاني» وهو يتحدث عن ابن سبأ فقال : «.. ومنه انشعبت أصناف الغلاة..»[٤].

كما نؤكد ــ أيضا ــ صلة الفرق الباطنية كالاسماعيلية والقرامطة.. بعبد الله بن سبأ والسبئية، حتى قال ابن حزم ــ وهو يتحدث عن ابن سبأ والسبئية : «ومن هذه الأصول الملعونة حدثت الاسماعيلية والقرامطة..»[٥].

ويقول ابن عساكر بعد أن تحدث عن نفي علي لابن سبأ الى ساباط المدائن : «فثمّ القرامطة والرافضة..»[٦].

وهذه النقولات التي دونها العلماء ذات معان دقيقة، وهي تشير الى أصول المذاهب الباطنية، والفرق المنحرفة، وهو أمر جدير بالبحث والبيان.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واخوانه وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

---

(١) الخوارج والشيعة ص ١٧٦

(٢) تاريخ الدولة العربية ص ٤٧٥

(٣) الزينة في الكلمات الاسلامية / القسم الثالث ص ٣٠٥

(٤) الملل والنحل / حاشية الفصل ج ٢/١١٦

(٥) الفصل في الملل والنحل ج ٢/١٠٩

(٦) تاريخ مدينة دمشق ق ١٢٥ / ب

المصـــادر والمراجـــع

أولا : المخطوطات

- **الجوزجاني : ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق (٢٥٩ هـ، وقيــل توفي سنة ٢٥٦ هـ)**

١ ــ الضعفاء : مخطوط في المكتبة الظاهرية / دمشق، رقم ٣٤٩ (حديث)

- **الصفدي : خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (٧٦٤ هـ)**

٢ ــ الوافي بالوفيات ج ١٧، نسخة مصورة في المجمع العلمي بدمشق

- **العدني : محمد بن يحيى بن أبي عمر (٢٤٣ هـ)**

٣ ــ الايمان، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم : ضمن مجموع ١٠٤

- **ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (٥٧١ هـ)**

٤ ــ تاريخ مدينة دمشق : مخطوط في المكتبة الأزهرية في القاهرة، برقم (٧١٤) ١٠٦٧٠ وفي المجمع العلمي بدمشق صورة منها، ومنها أخذت ترجمة بن سبأ (من حرف العين)

- **العقيلي : أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت ٣٢٢ هـ)**

٥ ــ الضعفاء : مخطوط في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، برقم ١١٤٦ ف

- **العيني : محمود بن أحمد بن موسى (٨٥٥ هـ)**

٦ ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان
مخطوط في دار الكتب المصرية، رقم ١٥٨٤ (تاريخ)

ثانيا : المصـــادر :

- **ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (٦٣٠ هـ)**

٧ ــ الكامل في التاريخ

طبعة دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م
٨ ــ اللباب في تهذيب الأنساب
مكتبة القدس / القاهرة ١٣٥٧ هـ
٩ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة
تحقيق : محمد ابراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد ــ طبعة الشعب / القاهرة

• **الاسفرايني : أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١ هـ)**

١٠ ــ التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين
علق على حواشيه : محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٤ ــ ١٩٥٥ م.

• **الأشعري : أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٣٠ هـ)**

١١ ــ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، نشر : مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة : الثانية.
١٢ ــ اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع
صححه وعلق عليه : د . حمود غرابه، مطبعة مصر ١٩٥٥ م

• **الباقلاني : أبوبكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ)**

١٣ ــ التمهيد في الرد على الملحده المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة
تعليق : محمود محمد الخضيري، محمد عبد الهادي أبو ريده
الناشر : دار الفكر العربي، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ ــ ١٩٤٧ م.

• **البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)**

١٤ ــ التاريخ الصغير
تحقيق محمود ابراهيم زايد
دار الوعي بحلب، دار التراث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م
١٥ ــ صحيح البخاري (الجامع الصحيح)
المكتبة الاسلامية، محمد أوزدمير / استانبول / تركيا

• **البغدادي : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩)**
١٦ ــ الفرق بني الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبع المدني، مصر
• **البستي : أبو حاتم محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ)**
١٧ ــ الثقات
دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ
١٨ ــ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين
تحقيق محمود ابراهيم زايد
دار الوعي : حلب
• **البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جبّار (ت ٢٧٩)**
١٩ ــ أنساب الأشراف
الجزء الخامس أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة جامعة القدس ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨.
وجزء آخر من الكتاب : حققه : محمد باقر المحمودي، نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م.
٢٠ ــ فتوح البلدان
مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان، طبع : دار الكتب العلمية / بيروت
نشر : دار الباز للنشر والتوزيع / مكة المكرمة.
• **الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره (ت ٢٧٩ هـ)**
٢١ ــ سنن الترمذي
الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ
٢٢ ــ التستري : محمد تقي بن حسن (ت ١٣٢٧ هـ)
قاموس الرجال في تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم
الناشر : مركز نشر الكتاب / طهران ١٣٨٢ هـ
• **ابن تيميه : شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ)**
٢٣ ــ الفتاوي (مجموع فتاوي شيخ الاسلام بن تيمية)

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، وابنه محمد
الناشر : مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ
٢٤ ــ مناهج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية
الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر ١٣٢١ هـ

• **الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)**
٢٥ ــ البيان والتبيين
تحقيق : عبد السلام هارون، الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة
الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ ــ ١٩٤٩ م
٢٦ ــ العثمانية
تحقيق وشرح : عبد السلام هارون، مطابع دار الكتاب العربي بمصر
١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م

• **الجرجاني : علي بن محمد بن علي (٨١٦ هـ)**
٢٧ ــ التعريفات
المطبعة الوهبية / بمصر، سنة الطبع ١٢٨٣ هـ

• **ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)**
٢٨ ــ الموضوعات
تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان
نشر : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م.

• **ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أميه الهاشمي (ت ٢٤٥ هـ)**
٢٩ ــ المحبّر
اعتنت بتصحيحه الدكتوره : ايلزه ليختن شتيتر، منشورات، دار الآفاق الجديدة / بيروت

• **ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)**
٣٠ ــ الاصابة في تمييز الصحابة
نشر، دار التراث العربي / بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ
٣١ ــ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة

مطبعة مجلس ادارة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن
الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ

٣٢ ــ تقريب التهذيب
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف
نشر : دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

٣٣ ــ تهذيب التهذيب
الطبعة الأولى، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، حيدر أباد، سنة ١٣٢٦ هـ.

٣٤ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري
تصحيح وتحقيق : فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز
نشر : رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

٣٥ ــ لسان الميزان
نشر : مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند / حيدر أباد الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ

- **ابن أبي الحديد : أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٥ هـ)**

٣٦ ــ شرح نهج البلاغة
تحقيق : حسن تميم
نشر : مكتبة الحياة / بيروت ١٩٦٣ م

- **ابن حزم : أبو محمد على بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦ هـ)**

٣٧ ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل
نشر : دار الباز / مكة المكرمة، دار المعرفة / بيروت

- **الحلي : أبو محمد الحسن بن علي بن داود (ت ٧٤٠ هـ)**

٣٨ ــ كتاب الرجال
تحقيق : السيد محمد صادق آل بحر العلوم
نشر : المطبعة الحيدرية / النجف ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢

- **الحمادي : محمد بن مالك (ت نحو ٤٧٠ هـ)**

٣٩ ــ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

تحقيق : محمد زاهد الكوثري
الناشر : السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م

• **الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٢ هـ)**

٤٠ ـ معجم الأدباء
مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر، طبع دار المأمون

٤١ ـ معجم البلدان
دار احياء التراث العربي / بيروت

• **الحميري : أبو سعيد نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ)**

٤٢ ـ الحور العين
مكتبة الخانجي / مصر، ١٩٤٨ م

• **ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ)**

٤٣ ـ المسند
تحقيق : أحمد محمد شاكر، أتمه د . الحسيني عبد المجيد هاشم
دار المعارف ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

• **الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ)**

٤٤ ـ العزلة
نشر لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م

• **الخطيب البغدادي : أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣ ه)**

٤٥ ـ موضح أوهام الجمع والتفريق
مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن / الهند ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م

• **ابن الخطيب : فخر الدين بن محمد الرازي (ت ٦٠٦ هـ)**

٤٦ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين
راجعه : علي سامي النشار، نشر مكتبة النهضة المصرية، طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٨ م.

• ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)

٤٧ ــ وفيات الأعيان وأنباء الزمان
تحقيق د . احسان عباس
نشر دار صار / بيروت

• الحاجّ خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ هـ)

٤٨ ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
من منشورات : مكتبة المثنى / بغداد

• الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)

٤٩ ــ تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام
الناشر : مكتبة القدس / القاهرة ، ١٣٦٧ هـ

٥٠ ــ دول الاسلام
مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية / حيدر أباد، الطبعة الثانية ١٣٦٤ هـ

٥١ ــ سير أعلام النبلاء
تحقيق ابراهيم الأبياري
نشر : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٧ م

٥٢ ــ العبر في خبر من غبر
تحقيق : د . صلاح الدين المنجد، نشر : دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٠ م

٥٣ ــ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة
تحقيق : عزت علي عيد عطيه، موسى محمد علي الموشي
نشر : دار الكتب الحديثة / القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م

٥٤ ــ المشتبه في الرجال : أسمائهم وأنسابهم
تحقيق : علي محمد البجاوي
الناشر : دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٦٢ م

٥٥ ــ المغني في الضعفاء

تحقيق : نور الدين عتر
الناشر : دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م
٥٦ ــ ميـزان الاعتـدال
تحقيق : علي محمد البجاوي
الناشر : دار احياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م

• **الرازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ)**
٥٧ ــ الزينة في الكلمات الاسلامية العربية
تحقيق د . عبد الله سلوم السامرائي، جعله ملحق لكتابه (الغلو والفرق الغالية)
دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة / بغداد ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م

• **الرازي : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)**
٥٨ ــ الجـرح والتعديـل
نشر : مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية / حيدر أباد الدكن ط الأولى ١٣٦٠ هـ

• **السجستاني : أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)**
٥٩ ــ سنن أبي داود (مختصر سنن أبي داود للمنذري)
تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقي
دار المعرفة / بيروت ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م

• **ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠ هـ)**
٦٠ ــ الطبقات الكبرى
طبعة دار صار / بيروت.

• **السكسكي : عباس بن منصور (ت ٦٨٣ هـ)**
٦١ ــ البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان
تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج
دار التراث العربي، الطبعة الأولى ١٩٨٠ م

• **السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ)**
٦٢ ــ الأنساب
تحقيق : محمد غوامه

الناشر : محمد أمين دمع، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م

• **ابن سيد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد**

٦٣ ــ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير
نشر : دار المعرفة / بيروت

• **السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)**

٦٤ ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
نشر مصطفى أفندي فهمي وأخويه / القاهرة ١٣٢١ هـ

٦٥ ــ لب الألباب في تحرير الأنساب
نشر : مكتبة المثنى / بغداد

• **الشاطبي : أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت ٧٩٠ هـ)**

٦٦ ــ الاعتصــام
الناشر : المكتبة التجارية الكبرى / مصر

• **الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ)**

٦٧ ــ الملل والنحل (على هامش الفصل لابن حزم)
الناشر : دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت
الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م.

• **ابن الصلاح : تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ)**

٦٨ ــ مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح
تحقيق : د. عائشة عبد الرحمن
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ١٩٧٤ م

• **الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)**

٦٩ ــ تاريخ الأمم والملوك
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر : دار المعارف بمصر

٧٠ ــ جامع البيان عن تأويل القرآن
تحقيق : محمود محمد شاكر، وتخريج أحمد محمد شاكر

نشر : دار المعارف بمصر

• **الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)**

٧١ ــ تهذيب الأحكام
تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان
نشر : دار الكتب الاسلامية / طهران، الطبعة الثالثة

٧٢ ــ رجال الطوسي
حققه وعلق عليه : محمد صادق آل بحر العلوم
نشر : المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ ــ ١٩٦١ م

• **ابن عبد ربه : أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ)**

٧٣ العقد الفريد
تحقيق : محمد سعيد العريان
نشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٩ هـ ــ ١٩٤٠ م

• **ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣ هـ)**

٧٤ ــ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ
تحقيق : محب الدين الخطيب
نشر : الدار السعودية، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ

• **ابن أبي العز : علي بن علي الحنفي (ت ٧٩٢ هـ)**

٧٥ ــ شرح العقيدة الطحاوية
تحقيق : جماعة من العلماء، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ

• **العصفري : خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)**

٧٦ ــ تاريخ خليفة بن خياط
تحقيق : د . أكرم ضياء العمري
نشر : دار القلم / دمشق، مؤسسة الرسالة بيروت
الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م

• **ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)**

٧٧ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب
نشر : المكتب التجاري للطباعة والنشر / بيروت

العيني : أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ)

٧٨ ــ عمدة القارىء (شرح صحيح البخاري)
عنيَ بنشره وتصحيحه والتعليق عليه شركة من العلماء بمساعدة ادارة الطباعة المنيريه / بصمر

• **الفتّني : جمال الدين محمد طاهر الصديقي (ت ٩٨٦ هـ)**

٧٩ ــ قانون الموضوعات والضعفاء (ذيل كتاب تذكرة الموضوعات للمؤلف)
ادارة الطباعة المنيرية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ.

• **أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ)**

٨٠ ــ المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء)
القاهرة : المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ

• **الفرّاء : أبو يعلى محمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)**

٨١ ــ الأحكام السلطانية
صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقبي
نشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه
الطبعة الثانية ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م

• **الفيروز أبادي**

٨٢ ــ القاموس المحيط
المكتبة التجارية الكبرى / مصر، الطبعة الرابعة ١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٨ م

• **القاري : الملا علي بن سلطان بن محمد (ت ١١٠٤ هـ)**

٨٣ ــ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة
تحقيق : محمد الصباغ
دار الأمانة / بيروت ــ مؤسسة الرسالة ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م

• **ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)**

٨٤ ــ الإمامة والسياسة (المنسوب لابن قتيبة)
تحقيق : د . طه الزيني
طبعة : سجل العرب / القاهرة

٨٥ ــ تأويل مختلف الحديث
صححه وضبطه : محمد زهري النجار

٨٦ ــ عيـون الأخبـار
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
سلسلة (تراثنا) ١٩٦٣

٨٧ ــ المعـارف
تصحيح وتعليق : محمد اسماعيل الصاوي
نشر : دار احياء التراث / بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م

• **القرشي : يحيى بن آدم (ت ٢٠٣ هـ)**

٨٨ ــ الخــراج
نشر المكتبة السلفية ١٣٤٧ هـ

• **القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ)**

٨٩ ــ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان
تحقيق : ابراهيم الأبياري
نشر : دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م

• **القمي : أبو خلف سعد بن عبد الله الأشعري (ت ٣٠١ هـ)**

٩٠ ــ المقالات والفـرق
صححه وقدم له وعلق عليه : د . محمد جواد مشكور
نشر : مؤسسة مطبوعاتي عطائي / طهران ١٩٦٣ م

• **القمي : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ)**

٩١ ــ الخصــال
تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري
نشر : مكتبة الصدوق / طهران ١٣٨٩ هـ

٩٢ ــ من لا يحضره الفقيــه
تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان
نشر : دار الكتب الاسلامية / طهران، الطبعة الخامسة

• **ابن القيم : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ)**
٩٣ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد
تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط
مؤسسة الرسالة / بيروت، مكتبة المنار الاسلامية / الكويت
الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م

• **ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)**
٩٤ ــ البداية والنهاية
تحقيق ومراجعة : محمد عبد العزيز النجار
مؤسسة دار العربي للنشر والتوزيع / الرياض، طبع مطبعة السعادة
٩٥ ــ تفسير القرآن العظيم
دار الفكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه / مصر
٩٦ ــ النهاية أو : الفتن والملاحم
تحقيق : د . طه الزيني
دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى

• **الكرماني : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد البغدادي (ت ٧٨٦ هـ)**
٩٧ ــ شرح المواقف (الفرق الاسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني)
تحقيق : سليمه عبد الرسول
نشر : مطبعة الارشاد / بغداد، بمساعدة جامعة بغداد، سنة ١٩٧٣ م

• **الكشــي : أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت نحو ٣٤٠ هـ)**
٩٨ ــ رجال الكشــي
قدم له وعلق عليه : أحمد الحسيني
نشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / كربلاء

• **الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٨ هـ)**
٩٩ ــ أصـول الكـافي

تعليق : علي أكبر الغفاري
نشر : دار الكتب الاسلامية / طهران، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ

• **الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ)**

١٠٠ ـــ الخـــراج
المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ

١٠١ ـــ الولاة والقضـاة
تهذيب وتصحيح : فن كست
طبع بمطابع الآباء اليسوعيين / بيروت، سنة ١٩٠٨

• **المالقي : محمد بن يحيى بن أبي بكر الأشعري (ت ٧٤١ هـ)**

١٠٢ ـــ التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان
تحقيق : د . محمد يوسف زايد
نشر : دار الثقافة / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م

• **الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ)**

١٠٣ ـــ الأحكام السلطانية والولايات الدينية
نشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،
الطبعة الثانية : ١٣٨٦ هـ ـــ ١٩٦٦ م

• **ابن المرتضى : أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ)**

١٠٤ ـــ طبقات المعتزلة
تحقيق : سوسنه ديفشلد ـــ فلزر
الناشر : فرانز شتاينر فيسبادن، المطبعة الكاتوليكية / بيروت

• **مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١ هـ)**

١٠٥ ـــ صحيح مسلم (بشرح النووي)
المطبعة المصرية ومكتبتها / القاهرة

• **المفيد : الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣)**

١٠٦ ـــ أوائل المقالات في المذاهب المختارات
نشر : المطبعة الحيدرية / النجف، الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٣ هـ

١٠٧ ــ شرح عقائد الصدوق (وهو ضمن كتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات / المتقدم)

١٠٨ ــ وقعة الجمل أو (كتاب النصرة لسيد العشرة في حرب البصرة)
المطبعة الحيدرية / النجف، الطبعة الثانية

• **المقدسي : مطهر بن طاهر (ت ٣٥٥ هـ أو بعدها)**

١٠٩ ــ البدء والتاريخ
ترجمة من الفرنسية الى العربية كلمان هوار
نشر : مكتبة المثنى / بغداد

• **المقريزي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)**

١١٠ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
الناشر : دار الطباعة المصرية / بولاق، وأعاد طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد، سنة ١٩٧٠ م

• **الملطي : أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت ٣٧٧ هـ)**

١١١ ــ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
تقديم وتعليق : محمد زاهد الكوثري
الناشر : مكتبة المثنى ببغداد، ومكتبة المعارف ببيروت : سنة الطبع ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م

• **الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣)**

١١٢ ــ مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات
تحقيق وتقديم، يوسف فان اس
نشر : دار النشر فرانتس شتاينر بقيسبادن / بيروت ١٩٧١ م

• **ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت ٤٣٨ م)**

١١٣ ــ الفهرست
نشر : المكتبة التجارية الكبرى / مصر

• **النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)**

١١٤ ــ الضعفاء والمتروكين (ضمن كتاب التاريخ الصغير والضعفاء الصغير للبخاري)

الطبعة الأولى / في الهند / سنة ١٣٢٥ هـ

١١٥ ــ سنن النسائي (المجتبى)

نشر : المكتبة التجارية الكبرى / مصر

• **أبو نعيم : أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)**

١١٦ ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة بمصر ١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٧ م

• **النوبختي : أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠ هـ)**

١١٧ ــ فــرق الشيعة

تصحيح : هـ . ريتــر

استانبول / مطبعة الدولة، ١٩٣١ م

• **ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣ هـ)**

١١٨ ــ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

تعليق : محمد محي الدين عبد الحميد

توزيع : رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد / الرياض

• **الهمذاني : أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي (ت ٤١٥ هـ)**

١١٩ ــ تثبيت دلائل النبوة

تحقيق : د . عبد الكريم عثمان

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت

١٢٠ ــ المغنى في أبواب التوحيد والعدل

طبع القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة : تــراثنــا.

• **الهيثمي : أحمد بن حجر المكي (ت ٩٧٤ هـ)**

١٢١ ــ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة

تقديم وتعليق : عبد الوهاب عبد اللطيف

الناشر : مكتبة القاهرة، طبع دار الطباعة المحمدية / القاهرة، ١٣٧٥ هـ

• **اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت بعد ٢٩٢ هـ)**
١٢٢ ـــ تاريخ اليعقوبي
دار صادر ، دار بيروت ١٣٧٩ هـ ـــ ١٩٦٠ م

ثالثا : المراجـــع

• **ابراهيم علي شعوط**
١٢٣ ـــ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ
نشر : مكتبة الكليات الأزهرية / القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م،
ابراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر

• **محمد علي النجـار**
١٢٤ ـــ المعجـم الوسيـط
مجمع اللغة العربية مصر

• **احسـان الهي ظهيـر**
١٢٥ ـــ الشيـعة والسنـة
نشر : ادارة ترجمان السنة / لاهور، الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م

• **أحمد حسين شرف الدين**
١٢٦ ـــ اليمـن عبر التـاريـخ
مطابع البادية للأوفست / الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠ م

• **أحمد راتب عرمـوش**
١٢٧ ـــ الفتنة ووقعـة الجمل
دار النفائس / بيروت / الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ـــ ١٩٧٢ م

• **أنـور الجنـدي**
١٢٨ ـــ الإسلام والدعوات الهدامة
دار الكتاب اللبناني / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٤ م
١٢٩ ـــ طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام

دار الاعتصام، الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ

• **جولد تسيهر : أجناس**

١٣٠ ــ العقيدة والشريعة في الاسلام

ترجمة وتعليق : د . محمد يوسف موسى، د . على حسن عبد القادر، الاستاذ عبد العزيز عبد الحق.

نشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، الطبعة الثانية

• **حسن إبراهيم حسن**

١٣١ ــ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي

نشر مكتبة النهضة المصرية / القاهرة، الطبعة السابعة ١٩٦٤ م

• **خير الدين الزركلي**

١٣٢ ــ الأعلام، الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م

١٣٣ ــ روح الله الخميني : الحكومة الاسلامية، الجمهورية الاسلامية الايرانية، وزارة الارشاد

• **روتلدسن : دوايت م.**

١٣٤ ــ عقيدة الشيعة

تعريب ع . م

نشر : مكتبة الخانجي / مصر ١٣٦٥ هـ ــ ١٩٤٦ م

• **سعيد الأفغاني**

١٣٥ ــ عائشة والسياسة

دار الفكر / بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م

• **شكري فيصل**

١٣٦ ــ حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول

دار العلم للملايين / بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٤ م

١٣٧ المجتمعات الاسلامية في القرن الأول

دار العلم للملايين / بيروت

• **صالح العلي**

١٣٨ ــ محاضرات في تاريخ العرب
مكتبة المثنى / بغداد، الطبعة السادسة

• **طه حسين**

١٣٩ ــ الفتنة الكبرى (عثمان)
دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة ١٩٧٠ م

١٤٠ ــ علي وبنوه
دار المعارف / مصر، الطبعة السابعة ١٩٦٩ م

• **عبد الباسط أفندي**

١٤١ ــ تحفة الأنام، مختصر تاريخ الاسلام
نشر : المكتبة الأهلية، بيروت ١٣٢٠ هـ.

• **عبد الرحمن بدوي**

١٤٢ ــ شخصيات في الاسلام
نشر : وكالة المطبوعات / الكويت، الطبعة الثالثة ١٩٧٨ م

١٤٣ ــ مذاهب الاسلاميين
دار العلم للملايين / بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م

• **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**

١٤٤ ــ مكائد يهودية عبر التاريخ
دار القلم / دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م

• **عبد الله السامرائي**

١٤٥ ــ الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية
دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة / بغداد ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م

• **عبد الله الفياض**

١٤٦ ــ تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة من نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت / الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م

• **عبد الله بن محمد المامقاني**

١٤٧ ـــ تنقيح المقال في أحوال الرجال

نشر : المطبعة المرتضوية / النجف ١٣٤٨ هـ.

• **عرفان عبد الحميد**

١٤٨ ـــ دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية

نشر : مطبعة الارشاد / بغداد، بمساعدة جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ ـــ ١٩٦٧ م

• **عزت عطية**

١٤٩ ـــ البدعة

دار الكتب الحديثة / القاهرة

• **علي سامي النشار**

١٥٠ ـــ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م

• **علي الوردي**

١٥١ ـــ وعاظ السلاطين

طبعة بغداد ١٩٥٤ م

• **عمار الطالبي**

١٥٢ ـــ آراء الخوارج

نشر المكتب المصري الحديث / الاسكندرية

• **عمر رضا كحالة**

١٥٣ ـــ معجم المؤلفين

نشر : مكتبة المثنى ببغداد، دار احياء التراث العربي ببيروت

• **فؤاد سزكين**

١٥٤ ـــ تاريخ التراث العربي

نقله إلى العربية : د . محمود فهمي حجازي، د . فهمي أبو الفضل

نشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ م

• **فلهــوزن : يـوليـوس**

١٥٥ ــ تاريخ الدولـة العربيــة

ترجمة وتعليق : د . محمد عبد الهادي أبو ريده

راجع الترجمة : د . حسين مؤنس

نشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ١٩٥٨ م.

١٥٦ ــ الخوارج والشيعــة

ترجمه عن الألمانية د . عبد الرحمن بدوي

نشر : وكالة المطبوعات / الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٦ م

• **فلــوتـن : فـــان**

١٥٧ ــ السيادة العربية والاسرائيليات في عهد بني أميه

ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه : د . حسن ابراهيم حسن، محمد زكي ابراهيم.

نشر : مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٥ م.

• **كامـل مصطفى الشيبي**

١٥٨ ــ الصلة بني التصوف والتشيع

دار المعارف / مصر، الطبعة الثانية

• **لويس : بـرنارد**

١٥٩ ــ أصـول الاسماعيليــة

نقله الى العربية : خليل أحمد جلّو، جاسم محمد الرجب

نشر : مكتبة المثنى / بغداد

• **محب الدين الخطيب**

١٦٠ ــ ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه

المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ

• **محمد أبـو زهـره**

١٦١ ــ المذاهب الإسـلاميـة

نشر : مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمافيرت

• **محمد باقر الخوانساري**

١٦٢ ــ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات
تحقيق : أسد الله اسماعيليان
نشر : مكتبة اسماعيليان / طهران

• **محمد جابر عبد العال**

١٦٣ ــ حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق أبان العصر العباسي الأول
مطابع السنة والمحمدية ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م

• **محمد جــواد مغنيــه**

١٦٤ ــ مع الشيعة الامامية
نشر : مكتبة الأندلس / بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م

• **محمد الحسين آل كاشف الغطاء**

١٦٥ ــ أصل الشيـعة وأصـولها
الطبعة الثانية

• **محمد حميــد الله**

١٦٦ ــ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة
دار الارشاد / بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م

• **محمد الصـادق عرجـون**

١٦٧ ــ الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان
مكتبة الغزالي / دمشق ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م

• **محمد الطاهر النيفـر**

١٦٨ ــ أهم الفـرق الاسلامية
نشر : الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤ م

• **محمـد عمـــاره**

١٦٩ ــ الخلافة ونشأة الأحزاب الاسلامية
المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت، الطبعة الأولى

• **محمد مرتضى الزبيدي**

١٧٠ ــ تاج العروس في شرح القاموس

دار ليبيا للنشر والتوزيع / بنغازي، الطبعة الأولى ١٣٠٦ هـ

• **محمد ناصر الدين الألباني**

١٧١ ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعه وأثرها السيء في الأمة

المكتب الاسلامي / دمشق ــ بيروت

• **محمود البشبيشي**

١٧٢ ــ الفرق الاسلامية

المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠ هـ ــ ١٩٣٢ م

• **محمود قاسم**

١٧٣ ــ دراسات في الفلسفة الاسلامية

دار المعارف / مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٦ م

• **مرتضى العسكري**

١٧٤ ــ عبد الله بن سبأ بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص اسلامية أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم

المطبعة العلمية في النجف ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م

١٧٥ ــ عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى

دار الغدير / بيروت ــ طهران، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م

نايف محمود معروف

١٧٦ ــ الخوارج في العصر الأموي

دار الطليعة / بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م

• **نجيب العقيقي**

١٧٧ ــ المستشرقون

دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٦٥ م

• نكلس : رينولد
١٧٨ ــ تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الاسلام
ترجمة وتحقيق : د . صفاء خلوصي
مطبعة المعارف / بغداد ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م

• يوسف العش
١٧٩ ــ الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، من مشورات جامعة دمشق ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م

رابعا : الدوريات العربية

• جواد علي
١٨٠ ــ عبد الله بن سبأ
مقال كتبه في الرسالة
السنة ١٦ (١٩٤٨) الأعداد : ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨
١٨١ ــ عبد الله بن سبأ
مقال كتبه في مجلة المجمع العلمي العراقي
المجلد السادس (١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ م)

• سعدي الهاشمي
١٨٢ ــ عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال
مقال كتبه في مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة (محاضرات الجامعة)
النسة : ٩٨ / ١٣٩٩ هـ

• علي البصري
١٨٣ ــ من طلاب الشهرة علي الوردي
مقال في مجلة الثقافة الاسلامية (بغداد)
السنة الأولى (١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م) العدد ١١

• محمــود شــاكــر

١٨٤ ــ الفتنــة الكبــرى

مقال كتبه في الرسالــة المصريــة

السنــة ١٦ (١٩٤٨) العدد ٧٦١

خامسا : المراجع الأجنبيــة

185 — Pierson Parker, Encyclopaedia International, 1976, Vol. 11, p. 557

186 — R. J. Z. W., Encyclopaedia Britannica, 1975, Vol., 11 pp. 1017 - 1022

187 — M.G.S. Hodgson, Abdallah B. Saba, The Encyclopaedia of Islam New Editon, Vol. 1, 1960, p. 51

سادسا : الدوريات الأجنبية

188 — Israel Fred Landre, Abdallah B. Saba, der Begrunder der Sia, und sein Judisher ursprung, ZA, 23, 1909, pp. 296-327, 24, 1910, pp. 1-46

189 — G. Levi Della Vida : «Il Califfato di'Ali Secondo Kitab «Ansab Al-Ashraf di 189 Al-Baladuri», 1913 - p. 495.

190 — E. Windisch, «Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen

فهرست الموضوعات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابـع

الفصل الخـامس